من أعلام الخليج العربي

٧

مبارك سيف الناخي

رجل ... ومولد قرن

(١٩٠٠ - ١٩٨٢)



مبارك الخاطر

منشورات دائرة الثقافة والإعلام ، الشارقة ١٩٩٧

من أعلام الخليج العربي

٧

مبارك سيف الناخي

رجل ... ومولد قرن

(١٩٠٠ - ١٩٨٣)

مبارك الخاطر

١٩٩٧

الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م
منشورات دائرة الثقافة والإعلام
حكومة الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

التصميم والإخراج : محمد باعشن



"مبارك الناخي"

الإهداء..

إلى صاحب السمو الشيخ الدكتور

سلطان بن محمد القاسمي

عضو المجلس الأعلى للإتحاد ـ حاكم الشارقة، راعي هذا المؤلف الذي يأتي ضمن مبادرة سموه الكريمة في اقامة وتنمية جسور ثقافية حديثة بين دول مجلس التعاون الخليجي.

مبارك الخاطر

بسم الله الرحمن الرحيم

الشارقة في ١١ ذي القعدة ١٣٩٥ هـ
الموافق ١٤/١١/١٩٧٥ م

حضرة الأخ الفاضل الأديب والشاعر المبدع مبارك الحاطب المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. مع السؤال الكثير عنكم لا زلتم وكافة أفراد اسرتكم الكريمة وجميع الإخوان حائزين على أتم الصحة والعافية والسرور والرفاهية والتوفيق وذلك على ممر الأيام. وبعد أشكركم على زيارتكم الأخيرة لأجل الاطمئنان على صحتي التي هي في تقدم بعون الله. وحيث قد زرتنا بهذه المناسبة وإننا نود أن نتبادل معكم بعض المعلومات عن علاقة شباب الشارقة والساحل الفكرية خلال النصف من القرن العشرين وختاماً نسأل الله لكم التوفيق في القيام بكتابة سلسلة اعلام الخليج العربي

والله يحفظكم ويرعاكم والسلام

أخوكم المخلص
مبارك بن سيف
الناخي

تمهيد

تأتي كتابتي هذه عن الأستاذ المعلم الشيخ مبارك سيف الناخي مكللة ومتوجة برعاية كريمة وتوجيه أريحي من لدن صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي عضو المجلس الأعلى لإتحاد الامارات العربية المتحدة - حاكم الشارقة الذي حرص على متابعة هذه الكتابة المتواضعة باهتمام كبير عبر اتصالي المباشر بسموه خلال النصف الأول من هذا العام ١٩٩٧ الذي هو بالتحديد المساحة الزمنية التي استغرقتها هذه الكتابة المتواضعة في حق ثقافة وأدب الشارقة والامارات العربية المتحدة.

إنني إذ أتقدم بتقديري وشكري لسمو الشيخ الكريم بأن مكنني ان اقدم باقة متواضعة من حقل حبي واعتزازي لجزء حبيب وعزيز علي من خليجنا العربي، فإني أحتفل الآن بكوني استطعت ان أركز عموداً في قاعدة جسر التواصل الكلي بين مناطق الخليج متمثلا في كتابتي هذه عن الاستاذ مبارك الناخي، وما شملته من ذكر رفاقه الاماراتيين على درب التنوير في التعليم والثقافة والأدب بالامارات خلال ثلاثة ارباع القرن العشرين. مؤملاً اقامة عمل مؤسسي حضارياً

لتنمية وصيانة جسور الثقافة والفن والأدب بين مناطقٍ الخليج العربي.. فمنذ مفتتح خمسينات القرن العشرين وهم هذا التواصل في التاريخ الأدبي والثقافي يكتنفني من كل جانب، يتقمصني.. يمسني برحمته مرة ويلسعني بناره أخرى. ظل هاجس كتابتي فيه يشتد اواره ويتفاقم ليتحول الى شوق ملح للكشف عن حيثياته كلما قلبت يدي صحائف لمثقفين وأدباء وشعراء قضوا حياة أدبية وثقافية حسب ظروفهم وأمكنتهم.. قضوا حياة يحسبها بعض فارغي القلوب ليست شيئاً مذكوراً.. لقد غادرونا بعد ان اعطوا ما استطاعوا اليه سبيلا من خير وتضحية وفكر وأدب وتعليم.. كانوا يعيشون مناخهم ذلك بروح إيثارية لا تعرف الطريق الى طلب التميز ولا تنشده.. ربما كانوا لا يعلمون انهم وصلة في جسر الثقافة والأدب في الخليج العربي الذي سيبقى ممتداً.. ممتداً عبر خلَفهم ان شاء الله.

لذلك فإن هاجس كتابتي في ذلك المناخ - كما قلت - كان يشتد ويتحول الى شوق ملح الى الاستغراق في الكشف عن مزبورات اصحاب ذلك التاريخ الأدبي والثقافي وتقديمها للقراء هي واصحابها والمناخ الأدبي والثقافي.. وحتى

الانثروبولوجي الذي عاشوا فيه لاطلاع القراء على ما فاتهم الاطلاع عليه من حركة مثقفي وأدباء هذا الخليج العربي إبان أواخر القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين.

ولذلك ايضاً فإن كتابتي هذه عن الأستاذ المعلم الشيخ مبارك سيف الناخي تأتي اضافة في ذلك المجال.. ربما تختلف في كيفية العرض والتقديم في بعض جوانبها عما اصدرته من سلسلة اعلام الخليج العربي، ولكنها لا تخرج عن اطار الهدف الذي كتبتها من أجله وهو - كما قلت - اطلاع القراء على ما فاتهم الاطلاع عليه من مواد ذلك التاريخ الأدبي والثقافي الذي بدأت أجمع اوراقه وأنا طالب ابتدائي اواخر اربعينات هذا القرن.. أما ما يتعلق ببعض مناطق الخليج كالامارات والكويت والسعودية وعمان فقد كان بدءاً من ستينات هذا القرن.

وعليه فإن الكتابة التاريخية في حياة وحركة أعلام الثقافة والفن والأدب تنفرد بخصائص تختلف في نواح عدة عن مثيلتها في اعلام السياسة والزعامة والحرب والسلام إلا انه من الممكن ان يشترك هذان الصنفان في الجمع بين بعض هذه الخصائص.. فيقال مثلا من أعلام السياسة والأدب.. أو

من ارباب السيف والقلم.

إذاً، فالكتابة التاريخية في هذين الصنفين تكاد تكون متشابهة في سرد حكاية حياتهما في النشأة والتربية والتصرفات لأنها تسجل حياة وحركة افراد عاديين.. قد لا تهم الكثيرين ما لم يتميزوا في الفكر والثقافة والابداع، أو في القيادة والسياسة والشجاعة والانجازات العظيمة. أما الكتابة في أعلام الثقافة والفن والأدب فتختلف في الاتجاه والطرح عن مثيلتها في السياسة فهي تهتم بالعطاء الانساني والروحي والفكري الموجه للتنمية الحضارية.. أي انها غير مثيلتها في السياسة تلك التي تسجل احداثاً وظواهر تغييرية.. ربما قسرية في المجتمعات مثل احداث الحروب والتنازع وما يورث ذلك من كوارث وهجرات.

وهنا يمكن الأخذ بالاعتبار ما يعنيه فولتير من قوله: «ان بعض المؤرخين يهتم بالحروب والمعاهدات.. ولكن بعد قراءة وصف مئات من المعاهدات ووصف ما بين ثلاثة أو اربعة آلاف معركة.. لم أجد نفسي أكثر حكمة مما كنت قبلها حيث لم اتعرف إلا على مجرد حوادث لا تستحق عناء المعرفة».. ان ما يعنيه فولتير هنا هو الحض على كتابة التاريخ

الحضاري الشامل الذي يهتم بالثقافة والفن والأدب كركيزة أولى في حياة الانسان.

وفي حالة كحالة توصيف أعلام الفن والثقافة والأدب المتميزين في الدول النامية أو الفقيرة.. فإن غالبيتهم العظمى يوسمون بأنهم أعلام محليون مهما قدموا من منجزات حضارية.. ربما لن تكون مفيدة حتى تحتاج لها الدول الكبرى الاستعمارية قديماً وحديثاً وإلا فإن الانسانية ستخسرها ما لم يتهيأ لها مناخ حضاري ليخرجها الى الوجود للاستفادة منها.. وحين يحاول أحدهم أو أي مؤسسة حضارية في تلك الدول النامية أو الفقيرة كسر حاجز المحلية التي توصم بها من قبل الدول الغربية بغير حق والخروج الى أفق أرحب فإن مناخ التخلف الذي يعيش فيه هذا المفكر المتميز أو المؤسسة الحضارية المتميزة قد يشدهما الى المراوحة فيه.

ان لمناخ التفوق الحضاري - كما اسلفنا - دوراً مهماً في صياغة فكر أي علم وتميزه ووضعه في المكانة التي يستحقها وهو يرتبط بعلو رفعة شأن بلاده في العالم. وفي حالات تكاد تكون قليلة.. ربما نادرة تصبح العملية معكوسة

إذ يقوم العَلم المفكر المتميز اذا استطاع - وخاصة في البلاد النامية أو الفقيرة - بدور رئيسي في لفت نظر الآخرين الى بلاده بسبب ما انجزه او ينجزه من أعمال متميزة حيث يصل في ذلك الى درجة ان تعرف بلاده به لا ان يعرف هو بها. ومن المفارقات المشهودة والمتكررة ان بلاده تلك أو أمته التي ينتسب اليها لا تدري أو لا تريد ان تدري، أو لا تعلم على أحسن تقدير انه من ابنائها، وانها قد تستعين من الخارج بمن هو أقل منه معرفة واخلاصاً في ادارة مرفق من مرافقها.

وحين نلتفت الى منطقتنا - الخليج العربي - لا نجد ونحن على مشارف القرن الحادي والعشرين غير ضعف في الدراسات الخليجية في الثقافة والفن والأدب والاجتماع للقرنين التاسع عشر والعشرين.. قرني التحولات الحضارية السريعة.

ولعلي لا أكون مجافياً الحقيقة اذا قلت ان هناك آلافاً من المتخرجين حتى الآن من جامعاتنا ومعاهدنا في الخليج ليس لديهم إلا النزر اليسير.. ثقافة وأدباً وفناً واجتماعاً وما يتفرع عن الأخير من سلالات وهجرات وهو مما يندرج تحت مسمى تاريخ الوطن الذي نبتوا فيه ويعيشون على ظهره.

ولرب سائل يقول: ولماذا الدعوة الآن الى تعرف انسان

الخليج العربي على تاريخه الحديث وخاصة خلال القرنين الماضيين وهو في شغل الآن بحضارة مكنونات الأرض ومكنونات الفضاء من طاقة متعددة الأنواع تورث فيما تورث المال والدعة والرفاهية والقوة. ان مقولة كهذه مجردة من معرفة الانسان بتاريخ أرضه التي نبت فيها تعوقه عن معرفتها.. ألفة ووعياً وتجذراً.. ثم انصهاراً في حمأة عشقها ليصبح هذا العشق محور افتداء أي شبر فيها هو دفاعاً عن النفس والعرض والمال. ان مقولة كتلك وامثالها - مجردة كما قلنا - ستبقينا كالنزليين المؤقتين في أوطاننا وهو ما يترتب عليه خسارة أنفسنا واوطاننا.. ربما كما اراد لنا آخر مستعمر غربي لأرضنا.

ان الذي ليس له إلمام بالحقب التاريخية التي مرت ببلاده، وليس له حظ من المعرفة بأدبيات واجتماعيات واقتصاديات تلك الحقبة فستنطبق عليه صفة النزليِ المؤقت في وطنه.. ذلك الذي يصبح ضعيف الوشائج بأرضه التي يعيش عليها مما يعرضه للاقتلاع منها بسهولة.

لقد كانت مواد منهج التاريخ في مدارس الخليج العربي منذ مفتتح القرن العشرين.. تلقننا دروساً في تاريخ الهكسوس والجرمان والفايكنج والتتار، وحضارة اليونان

والرومان والقوط.. ولا تعطينا شيئاً مما يتعلق بتاريخ وحضارة وثقافة الأرض التي انبتتنا سلالات وأقواماً واحداثاً.. لولا ان قدر لنا وصغت قلوبنا الى أصوات انيسة صادرة عن قلوب بعض اساتذتنا الغيورين.. تقول: ان لكم تاريخاً وحضارة .. ثقافة وأدباً وفناً.. اقتصاداً وزراعة ورياً، ولم يكتفوا بالقول بل اعطونا منذ مفتتح هذا القرن وخمسيناته جرعات من ذلك التاريخ وتلك الحضارة ووقفوا من خلفنا، ثم بلوروا ذلك ليصبح جزءاً من عمل ثقافي واجتماعي مؤسسي عبر المؤسسات الثقافية الأولى في الخليج ١٩١٣ ـ ١٩٤٠، والمؤسسات الثقافية الثانية منذ ١٩٣٨، فكان حظ بعضهم منافي وسجوناً وتضييقا في الحركة والنمو من قبل المستعمر، ان القائمة لتنوء بأسماء هؤلاء الاساتذة لا من كثرتهم ولكن من حجم أعمالهم للوطن والأمة العربية الخليجية.. كان من بين هؤلاء معلمنا الأديب الكاتب الشيخ مبارك بن سيف الناخي.

لقد تعرفت على الأستاذ الناخي عبر لقاءاتي في قطر والشارقة منذ ستينات القرن العشرين.. ولكن تعرفي عليه كان أكبر وأوسع من خلال ما خصني به رحمه الله في

السبعينات من أوراقه المهمة، ثم ما أتحفتني به اسرة الناخي الجليلة ممثلة في السيدة المصونه الاستاذة شيخة مبارك الناخي من ملف كانت قد أعدته عن والدها. وكذلك ما هيأه لي زوجها الأستاذ سالم بن حمد الشامسي من مناخ اسري كريم من اجل اتمام هذه الكتابة عن مبارك الناخي فلهما جزيل شكري وامتناني لما احاطاني به من جو كريم وثقة غالية اعتز بها.

ثم انه ليس من نافلة القول، بل من فرضه، ان اتقدم الى أستاذنا الجليل صديقي الشيخ محمد بن علي المحمود الذي شجعني ودعمني معرفياً منذ سبعينات هذ القرن بمعلومات عن الحركة الثقافية والتعليمية بالامارات العربية المتحدة.. بالشكر الجزيل والتجلة والاحترام.. داعياً الله له بطول العمر ومواصلة العطاء.

وانه ليشرفني ويسرني جدا ان أنوه هنا بجهد ومعاونة واهتمام الاساتذة من مديرين وباحثين في دائرة الثقافة والاعلام وفي مقدمتهم: الأستاذ عبدالرحمن حسن عبيد - المدير العام السابق والاستاذ ماجد عبدالله بوشليبي - المدير العام، والاستاذ راشد أحمدالشيخ - مدير عام الديوان

الأميري بالشارقة، والاستاذ الدكتور حسن مدن، والأستاذ الدكتور يوسف عيدابي، والأستاذ عبدالعزيز المسلم - مدير ادارة التراث بالوكالة، والأستاذ محمد باعشن - المصمم الفني، والأستاذة ليلى سعيد، وكذلك الاستاذ خليفة ياسين بن عربي المدرس بجامعة البحرين، والاستاذ هاني طايع من وزارة التربية بقطر. الذي تكرم علينا ببعض المعلومات والصور

والى الأخوة والاخوات الذين سيفتقدون الاستاذ الشيخ مبارك الناخي في رسائل منه واليه ضمن هذا المؤلف، عليهم ان يتكرموا باعطائي فرصة لاخراج هذه الرسائل في كتابة خاصة بمؤلف خاص، وذلك بسبب تعددها وتنوعها مما حتم تخصيصها بذلك الإفراد، اضافة الى ما وصلت اليه من قناعة - اثناء اعداد هذا المؤلف للطبع - بعدم تحمل دفتيه لحمل رسائل الناخي دراسة وتحقيقاً.

إني إذ انهي هذا التمهيد لآمل ان يسهم مؤلف (رجل .. ومولد قرن) بسد بعض فراغ في مكتبة تاريخ الثقافة والفن والأدب في الخليج العربي .. والله من وراء القصد.

مبارك الخاطر
١٩٩٧

مبارك سيف الناخي في سطور

بقلم: الأستاذة

شيخة مبارك سيف الناخي

* ينتمي نسبه من جهة الأب الى تميم ومن جهة الأم الى نعيم والشوامس.
* ولد في الشارقة - منطقة الحيرة.

والحيرة كانت مسقط رأسه هو وكثير من رجال العلم والمعرفة امثال/ الشاعر سالم بن علي العويس، والشيخ علي بن محمد المحمود، صاحب أول مدرسة في الشارقة.. المدرسة التيمية/ وعلي بن عبدالله العويس.

* تلقى تعليمه الديني في مدرسة صهره الشيخ/ علي المحمود التي كانت المنطلق الواضح للتربية والتعليم آنذاك في الشارقة.
* ارسل في بعثة دراسية الى قطر ضمن البعثة التي ارسلت لاستكمال تعليمهم على يد عالم نجد الشيخ/ محمد عبدالعزيز المانع.

كان من ضمن البعثة الشيخ محمد بوخاطر، عبدالله بن ثاني، محمد سعيد غباش.

* تلقى علم الحديث والتفسير واللغة والتوحيد، واستمر في هذه البعثة عدة أعوام. عاد بعدها الى الشارقة ليمارس حياته، متاجراً باللؤلؤ ومتنقلاً بين امارة الشارقة ودبي والهند والبحرين.
* درس شيئاً من اللغة الانجليزية في الهند بحكم تردده عليها متاجراً وكان يقيم فيها عدة شهور.
* وكانت أسفاره في حد ذاتها سبباً الى كسب المعارف والأصدقاء وقد اتصل بعدد من رجال الدعوة والفكر في العالم العربي والاسلامي رغم صعوبة الاتصال في تلك الفترة المبكرة.. من امثال الشيخ/ محب الدين الخطيب، الشيخ محمد رشيد من مصر/ مجد الزهاوي من العراق، الشيخ بهجت البيطار، وأمير البيان/ شكيب ارسلان من زعماء الشام والأخير نفي الى لوزان بسويسرا وله اتصالات عديدة برجال العلم في المغرب العربي والهند كالشيخ العلامة أبي الحسن الندوى.. واشترك في مجلة

الفتح الزهراء.. وجريدة الشورى لصاحبها محمد علي الطاهر بمصر، مجلة الشهاب في سوريا لصاحبها محمد علي القباني، ومجلة العرب التي تصدر في باكستان ومن الصحف الخليجية مجلة الكويت لعبدالعزيز الرشيد وجريدة البحرين لصاحبها عبدالله الزايد.

كان رحمه الله يتابع باستمرار كل ما ينشر عن الثقافات الاسلامية والعربية في مختلف اقطار الدول العربية والاسلامية، كما استأثر الوطن وهمومه بكل مشاعره وعواطفه، وكان طبيعياً ان يتعمق هذا الاحساس لديه، وهو الوطني الغيور الذي رأى وطنه يعيش في سراديب الجهل والتأخر والبعد عن العلوم، فنظم القصائد يحث قومه فيها على الأخذ بأسباب العلم والحضارة، ويطلب من الشعوب ان تنشر أغرسة العلم ليكون المستقبل زاهراً بهم يقول:

متى أرى الوطن المحبوب منتبهاً
من الرقاد مجداً غير وسنان
محلقاً في سماء العز متبعاً
رب النجاة وما في أرضه وان
يسعى وينشر في الأنحاء أغرسه
غرساً من العلم لا غرساً من البان

كما يقول في قصيدة أخرى يحث صديقه الشاعر الشيخ/ عبدالله بن صالح المطوع من علماء الشارقة على نشر الآداب والسفر:

فأنهض بالقريض لكل قوم   فما كالشعر للأقوام نار

ثم يذكر التطور والنهضة التي وصلت اليها الدول العربية والاسلامية عندما اخذت بأسباب الآداب والعلوم:

وتلك الشام أمست بعد ذل   لها العز المحلق والوقار
ولا تنسى الكنانة كيف نالت   وكيف اليوم صار لها الفخار

ـ زار رحمه الله تعالى كثيراً من الأقطار العربية والاسلامية مثل مصر بصحبة حاكم الشارقة سمو الشيخ صقر بن سلطان القاسمي في الخمسينات.. للتهنئة بقيام ثورة ٢٣يوليو، وكذلك فلسطين ولبنان وسوريا.

ـ كما كان من اوائل الداعين الى الاعتصام يداً واحدة أمام الأعداء والتطلع الى الدول السباقة في مجال النهضة والتقدم كاليابان يقول:

هيا بني وطني للاعتصام يداً
هيا بني وطني للخير أعوان
صونوا البلاد عن الأعداء واتحدوا
فالخلف ذل وتمزيق وخسران
خذوا مثالا من اليابان نهضتها
حتى غدت ولها في الغرب ترنان
أهاب بالقوم (ميكادوا) وعلمهم
ان الحياة صناعات وعرفان

ثم يحث أمته بشدة على تعليم ابنائها وتشييد المدارس:

شيدوا المدارس للتعليم واندفعوا
الى التعلم أفواجاً ووجدان

على ان يكون هذا التعليم مرتبطاً بالدين:

لا أبتغي نهضة والدين منفصل
عنها كما نهضت ترك وايران

ويستيعد أمجاد أمته السابقة عندما كان العلم رائدها:

كنا قديماً وكان العز يتبعنا
وكل أقطارنا بالعلم تزدان

ويعد من أصحاب الرأي والحكمة، يستشيره الحكام ويأخذون برأيه، فيقدم نصائحه لهم خالصة، ويدعو الى الاصلاح الداخلي والقضاء على الفتن التي تنخر المجتمع وقف يوماً أمام الشيخ سلطان بن سالم القاسمي حاكم امارة رأس الخيمة يندد بقطاع الطرق ويطلب منه الضرب على أيديهم ليعم الهدوء والأمن البلاد. يقول:

ما في السكون وفي الاناءة راحة
فانهض وجرد للشرور حساما
فاذا ركبت فكل شر قابع
اذا غضبت رأيتهم ألا آما

كما تظهر علاقته بالمناضلين من خلال الرسالة التي بعثها المناضل البحريني (عبدالوهاب بن حجي الزياني) الذي نفته السلطات البريطانية الى بومباي والهند ومات بها، وذلك رداً على رسالة الشيخ مبارك اليه يحدثه فيها على استمرار النضال في المنطقة ضد الاحتلال ويذكر فيها فرحه بقيام دولة آل سعود في أرض الحجاز.

لم يكتف الشيخ مبارك بن سيف الناخي بالدعوة الى العلم في بلاده واشرافه على افتتاح اول مدرسة في الشارقة فقد استدعاه الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني حاكم قطر مع صهره الشيخ محمد بن علي المحمود، ليقوما بالتدريس هناك ويشارك في افتتاح أول معهد ديني في قطر وانشاء أول مكتبة قطرية.

تخرج على يديه كثير من طلبة قطر والامارات والذين يشغلون مناصب هامة في كل من قطر والامارات.

قضى رحمه الله عشرين عاماً من حياته ناشراً العلم وداعياً الى الخير.. وحاملاً هموم مواطنيه.

كان مجلسه عامراً بعلماء افاضل من مختلف الجنسيات العربية والاسلامية، كان سفيراً متحركاً يستقبل العلماء ويودعهم في حركة دائبة لا يمل ويهدأ الى ان وافته المنية في الشارقة عام ١٩٨٢ وقد رثاه اصدقاؤه ومحبوه رثاء حاراً صادقاً.. ومنهم الشاعر محمد سعيد الفضلي.

ـ ولقد انتخب الشيخ مبارك سيف الناخي مديراً للمكتبة العامة التي أنشئت آنذاك في أكبر مدرسة في قطر.

***

يقول العم محمد بن علي المحمود عنه

ـ كان الشيخ مبارك رحمه الله تاجراً وأديبا وفقيهاً.

ـ كان من اصدقائه الأدباء، سالم بن علي العويس، وعلي بن عبدالله العويس، أحمد بن سلطان بن سليم، والشاوي، والغربلي اللذان كانا آنذاك من تجار وأدباء دبي في الأعوام التي هي في الاربعينات من الهجرة ١٣٤٠هـ وقبلها.

وكذلك الكثير من العلماء والأدباء في الامارات وغيرهم تربطهم معهم صداقة ومن بعضهم التاجر الأديب في البحرين عبدالوهاب الزياني، وكذلك وجهاء النادي الاسلامي في المنامة، والكثير من أهل الأدب والعلم.

والطريف في الذكر ان المترجم عنه كان ولله الحمد أبرز في ذاك الأوان الشباب النجباء وظهر عليهم في تنوره ومدنيته وله مقالات نثرية وقصائد شعرية يؤسفنا ان الأكثر منها ضاع، ولدينا القليل منها.

بعض مقالاته نشرها في مجلة الفتح الذي كان يصدرها محب الدين الخطيب في القاهرة.

وبما ان محب الدين يعرف المشترك معرفة تامة ففي أول سفرة سافرها من الشارقة الى مصر مع سمو الشيخ صقر بن سلطان القاسمي استحسن ان يصحبه المترجم عنه الشيخ مبارك في هذه الزيارة فزاروا البلاد العربية، مصر والشام.

ولما كان في القاهرة، توجه الشيخ مبارك الى مركز محب الدين الخطيب بالمنيل في القاهرة للسلام عليه والاجتماع به، فلما وصل الى باب بيته ورن الجرس، نزل الكلام فقال له الشيخ مبارك قل لمحب الدين الخطيب ان الذي حضر هو مبارك بن سيف الناخي، فما ان أبلغه حتى قام مهرولاً لمعرفته بالرجل واجتمع به.

وعنه ايضا يقول الشيخ محمد بن علي المحمود: انه طلق اللسان، شجاع القلب، طيب الصحبة والعشرة وفي، سخي، ذو

غيرة دينية وسلوك حسن وعقل راجح.

هذا ما وددت ان أضيفه من التعريف بوالدي رحمه الله، واتمنى لمؤلف هذا الكتاب كل توفيق ونجاح.

شيخة مبارك الناخي
سبتمبر ١٩٩٧

الفصل الأول

رصدات تاريخية

لا يسعني وأنا في مفتتح الكتابة عن مبارك سيف الناخي أحد رموز الثقافة والأدب في الامارات العربية المتحدة إلا ان أعطي صورة مصغرة عن مناخ الثقافة والتعليم والاجتماع والاقتصاد في الخليج العربي في اطار تجربتي الذاتية في رصد هذا المناخ الخليجي الذي نشأ الناخي فيه وعاش زهرة شبابه في ظله.. لقد عشت أنا نهايات هذا المناخ.

كان الزمان أواخر أربعينات القرن العشرين، وكان من ضمن ما لفت نظري وشد انتباهي من ظواهر حضارية جديدة فيه ظاهرة غدو الطائرات الحربية البريطانية من مطار المحرق الى البصرة أو الشارقة، وكذلك ظاهرة وجود اخواننا ابناء الساحل الاماراتي، وكذلك ابناء عُمان وقطر الذين جاؤوا للعمل في البحرين، فأصبحت اعدادهم فيها ان لمٍ تكن بالألوف فبالمئات.. كانت الشريحتان الكبيرتان من هؤلاء عمانية ثم تأتي الاماراتية فالقطرية، ولكم طرق سمعي من الاماراتيين - مراراً - ذكر شعراء وأدباء اماراتيين مبرزين، كان الاماراتيون المقيمون في البحرين يترنمون ببعض أشعارهم وأزجالهم.. منها أهازيج ومواويل يقولون عنها انها لشاعر اماراتي يدعى الماجدي بن ظاهر(١).

وابتداء من خمسينات هذا القرن بدأت حصيلتي المعرفية عن هؤلاء تنمو وتتوسع نتيجة استفادتي من لقاءاتي بالاستاذ عبدالله محمد الطائي نزيل البحرين آنذاك الذي كتب عن بعضهم - كما ذكرت - في مجلة «صوت البحرين» ١٩٥٠ - ١٩٥٤، تلك الكتابة التي أصبحت الاشارة الثالثة عنهم بعد الاشارة الأولى من قبل الشيخ

عبدالعزيز الرشيد في مجلته «الكويت» ١٩٢٨ ـ ١٩٣٠ الذي أشار اليهم تعميماً لا تخصيصاً في حديثه عن شاعر عُمان سالم بن ناصر الرواحي، وبعد الاشارات الكثيرة التي ارسلتها جريدة «البحرين» ١٩٣٩ ـ ١٩٤٤ عنهم عبر بعض نتاجاتهم التي نشرتها.

لقد حفزتني حصيلتي المتواضعة هذه في مجال الاهتمام بشعراء وأدباء خليجيين محليين، ان أنشر أول كتابتي في حلقتين في هذا المجال، وكانتا بعنوان: شذرات من حياة عبدالله الزائد الأدبية، كان ذلك في «الخميلة» البحرينية يناير ١٩٥٢ وسني لم تتجاوز الخامسة عشرة(٢).

كذلك فإن مما دفعني لانتهاج هذا الطريق البحثي الصعب آنذاك الذي ربما كنت فيه سباقاً دون غيري من مثقفي الخليج آنذاك الذين لم يكونوا مهتمين بعد بهذا المنحى في تاريخ الثقافة والأدب واعلامهما. اللهم فيما عدا الشيخ المؤرخ عبدالعزيز الرشيد عبر مجلته في عشرينات هذا القرن، وكذلك الاستاذ عبدالله علي الزائد في جريدته «البحرين» ١٩٣٩ ـ ١٩٤٤.. ثم الاستاذ عبدالله الطائي في صوت البحرين، كما ذكرنا مسبقا، لذلك فقد كان اهتمامي كبيراً في هذا المنحى من أجل استمرار سعيي في تجميع مواد أدبية وثقافية خاصة به، وقد نجحت في ذلك الى حد ما، مما أهلني ابتداء من ستينات القرن العشرين للكتابة عن اعلام الثقافة والفكر والأدب في الخليج ابتداء بمن ظهروا في البحرين، اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين.

لقد مكنني هذا الاتجاه من التعرف على أهم الرموز الاعلامية في الخليج العربي آنذاك. وخاصة ما أنا بصدده الآن من الكتابة لا عن واحد من أنشط هؤلاء الرموز ثقافياً ألا وهو الاستاذ مبارك الناخي فحسب، بل على التعرف على أهم هؤلاء الاعلام في

الامارات العربية المتحدة مثل الشعراء سالم بن علي العويس(٣)، أحمد بن سليم(٤)، والشيخ صقر بن سلطان القاسمي(٥)، ومبارك بن أحمد العقيلي(٦)، وخلفان بن مصبح(٧)، وآخرين لا استطيع ان اوفيهم حقهم الآن في هذه الكتابة التي اكثر ما تكون التصاقاً وخصوصية بالاستاذ الناخي. فلقد سبق وان قدمتهم عام ١٩٨٨ الى القراء في دراسة موسعة عن شعراء النهضة الحديثة في الامارات العربية المتحدة التي هي جزء من دراسة شاملة وعامة عن شعراء النهضة العربية الحديثة في الربع الأخير من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين. وهي تعنى بالشعراء النهضويين في دول منطقة الخليج العربي عامة.

واذا ما كان لهؤلاء الشعراء حركتهم النهضوية التي يتسمون بها.. فهل لا تكون لزملائهم من المثقفين والأدباء قبل ذلك، آنذاك، أم ان جهاز النهضة العربية الحديثة يفضل يومها الشعراء على غيرهم في توزيع تياره بين الناس، ويهمل مواد اخرى جيدة التوصيل يتميز بها المثقفون والأدباء والفنانون الذين يشملهم المناخ النهضوي هم واخوانهم الشعراء جميعا، ان هؤلاء وان لم يتميزوا بالشعر وحده، إلا ان اكثرهم كان يبدع الشعر ويلقيه وربما تميز بقصيدة أو بأخرى على شاعر نهضوي آخر في وقته.

ان الاستاذ مبارك الناخي هو واحد ممن يشمله هذا التصنيف(٨) الأخير.. لذلك فإننا حين نحاول اكتشافه لابد من معرفة الطريق اليه عبر دهاليز أو قنوات وربما أزقة تؤدي الى الوصول الى مناخ الثقافة والأدب الذي نبت فيه وتأثيره فيه، وتأثره هو - كمعلم وكاتب - به.

زيارات.. ولقاءات

وحين بدأت في الدخول الى هذا المناخ.. جئت للتعرف عليه عن كثب.. فكان ان وفقني الله وقصدت الشارقة في زيارة أولى لها كان ذلك ـ على ما اذكر ـ عام ١٩٦٠. كان الهدف من ذلك ان اكتشف مواقع للثقافة والأدب جديدة عليَّ الذين قيل لي انهم على معرفة جيدة بالاستاذ عبدالله الزائد الذي كنت مهتماً به من أجل اصدار كتاب عنه آنذاك.

جئت الى الشارقة وليس في ذهني غير التوجه الى منزل فضيلة الشيخ عبدالله بن علي المحمود الذي كنا نسمع عنه في البحرين انه رجل الدعوة الاسلامية الكبير في الشارقة وساحل عمان. ولقد استضافني رحمه الله. وفي لقائي الأول معه بدت على وجهه الدهشة من ان يتحمل فتى مثلي التجوال في الخليج من اجل تجميع معلومات عن فرد واحد(٩)، لقد حدثني لا عن عبدالله الزائد فحسب، بل عن زياراته المتعددة الى البحرين واشتراكه في المنتدى الاسلامي بالمنامة(١٠)، ثم جمعني بعد ذلك ـ ولعدة مرات ـ ببعض رواد الثقافة والأدب بالشارقة مثل الشاعر ابراهيم بن محمد المدفع، والاستاذ مبارك بن سيف الناخي ومحمد بن علي المحمود الذين استفدت منهم كثيراً جداً، بحيث أصبح ما جئت من أجله شيئاً متواضعاً بالنسبة لما استوعبته منهم من حيثيات العلاقة الفكرية والشخصية ذات التواصل المستمر بينهم وبين أدباء وشعراء ليس من البحرين فحسب، بل مع نظراء لهم في أقطار الخليج العربي والبلاد العربية الأخرى المشرقية والمغربية، مما سأوفيه بعض حقه عند الكتابة المباشرة لخصوصيات حركة الاستاذ مبارك الناخي الفكرية والأدبية.

ولست هنا الآن معنياً بذلك ولا بما حظيت به من حفاوة الأساتذة الشارقيين الثلاثة المحمود والمدفع والناخي، وتسهيل لمهمتي في زيارتي الأولى هذه الى الشارقة.. ولا ما عدت به من انطباعات عن الحياة الانثروبولوجية والديمغرافية فيها آنذاك.. أهم ما عدت به هو حصيلة معلومات مضى على تسجيل حيثياتها قرابة أربعين عاماً. لقد أصبحت بعض هذه الحيثيات اللبنات الأولى المهمة في مساعدتي لبناء جسر من الاتصال - فيما بعد - مع من التقيت بهم من بعض رموز الثقافة والأدب في الشارقة مما ذكرت اسماءهم مسبقاً. هذا الجسر حفزني الى تكرار زياراتي الرصدية الى الامارات العربية المتحدة عامة والشارقة بخاصة خلال الأعوام ٦٨ و٧٢ و٧٥ و١٩٧٩. تلك الزيارات التي لا يدخل فيها عدد المرات التي زرت فيها الشارقة مروراً في مهمات ثقافية أخرى بدءا من ١٩٨٣ الى يونيو ١٩٩٦.

ولقد تتوجت هذه الزيارات بالدعوة الكريمة التي وجهها اليَّ سمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي حاكم الشارقة، وعضو المجلس الأعلى لحكام الامارات العربية المتحدة التي وقعت بين ١٠ و٢٦ ديسمبر ١٩٩٦ حيث غمرني بفيض من حدبه ورعايته وتشجيعه لما قمت وأقوم به من محاولة الاسهام في بناء جسور للثقافة والفن والأدب والاجتماع بين دول الخليج العربية.. مثقفين وأدباء وشعراء وكتّاب.

وعلى ضوء نجاحات زياراتي المتكررة للشارقة فقد توطدت علاقتي الثقافية بالأربعة من الرموز في مسيرة الثقافة والأدب والتعلم في الشارقة خاصة والامارات عامة وهم كما ذكرت المدفع والناخي والمحمودان عبدالله ومحمد الذين اصبحوا فيما بعد من بين رواتي المعدودين في الخليج.. فعلى ضوء علاقتي بهؤلاء

الشارقيين ضمنت آخر فصول كتابي (الكتابات الأولى الحديثة لمثقفي البحرين) الصادر في القاهرة عام ١٩٧٨ ببعض ما أملوه عليّ من معلومات عن حركة الثقافة والأدب والتعليم الأهلي في الشارقة اوائل القرن العشرين.. وعن شيء من حياة ونشاط اصحاب هذه الحركة في خدمة وطنهم.. وعن هؤلاء وامثالهم من رواتي في البحرين والخليج استفدت في اثراء بحوثي في الثقافة والأدب والاجتماع الخاصة بمنطقة الخليج مثل:

١ ـ بحثي عن التبشير في البحرين والخليج الذي اشتركت به في مؤتمر الدعوة الاسلامية بليبيا في يوليو ١٩٧٣.

٢ ـ بحثي عن المؤسسات الثقافية الأولى في الخليج العربي من ١٩١٣ ـ ١٩٤٠ ـ قسم الكويت الذي صدر في الكويت في ابريل ١٩٩٧.

٣ ـ بحثي الموسع بعنوان (مقدمة في التطور الفكري لمثقفي البحرين) اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين.. تلك المقدمة التي اشتركت بها ـ كبحث ـ في المؤتمر الثالث للمؤرخين العرب الذي أقيم في المجمع الثقافي بأبوظبي عام ١٩٧٩.

٤ ـ وكذلك بحثي الذي ألقيته في البحرين، ثم نشرته المجلة الخيرية وهو دراسة في نشأة وحركة المثقفين الاصلاحيين في الخليج العربي اواخر القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين.

وعلى ضوء من التقاءاتي المتكررة بهؤلاء الرموز الشارقيين شاركت في الندوة التي اجرتها جريدة «الاتحاد» الظبيانية عام ١٩٨٣ شاركني فيها كل من الدكتور فالح حنظل والاستاذين عبدالله النويس ونجيب الشامسي، والدكتور محمد مرسي عبدالله.

ولقد كان اولئك الرواة من المعينين لي في بحثي الموسوم بـ (شعراء النهضة الحديثة في الامارات العربية المتحدة).

وأشد ما يؤلمني كثيراً ان تكون زيارتي الأخيرة للشارقة عام ١٩٧٩ هي الأخيرة في زياراتي لرواتي الشارقيين الثلاثة المدفع والناخي وعبدالله المحمود الذين هم من أهم الفقرات في سلسلة التنوير في الامارات العربية المتحدة.

لقد رحل هؤلاء التنويريون تباعاً اوائل ثمانينات هذا القرن، ولا شك اني لم إستطع تفريغ كل ما حوته ذواكرهم النيرة في اشرطة تسجيلية أو حتى تسجيلها كلها بالقلم، لقد رحلوا وغالبية المثقفين التنويريين الشارقيين وبقيت بعض معالم آثارهم.. مساكن.. مكتبات.. مجالس استضافة.. حفظها وصانها ونماها سمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي حاكم الشارقة عضو المجلس الأعلى لدولة الامارات العربية المتحدة.

هذا الرمز المثقف التنويري الذي يؤدي رسالته التنويرية في دأب وصلابة من اجل ان تصبح الشارقة الموقع الحصين للتنمية الثقافية والفنية والأدبية والاجتماعية في الخليج العربي. انك لتشعر باحساس مكين بجدية هذا الحاكم الابداعي في الاحتفال بآثار هؤلاء المثقفين التنويريين من تلك الشواهد التي تمثل مَعْلم بيت النابودة الأثري الأصيل، ومدرسة الاصلاح الأهلية التي مر على ظهورها أكثر من نصف قرن، وكذلك مؤسسة مكتبة الداعية التنويري الشيخ عبدالله بن علي المحمود، ومجلس الشاعر ابراهيم بن محمد المدفع، ومثل سوق الشارقة القديم، ومَعْلم بيت الناخي، وما لا يعد من قيام هذا الحاكم التنويري بصيانة قلاع بلاده وحصونها ومعالمها التاريخية الأخرى مثل موقع الحصن بالشارقة.

فبأي قوة بصر وبصيرة يمكن تقدير وتثمين ما يقوم به سمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي من حركة ابداعية ذات

أحزمة اشعاعية يبعثها مبدعها ـ باستمرار ـ رسالة تلو الأخرى الى الأجيال، ان ما يمارسه هذا الحاكم من ابداع عملي مستمر لهو شعر شاعر متماه بين الرومانسية والواقعية.

هو شاعر لكن يحب بلاده   أفؤادكم يا قوم مثل فؤاده

وان هو إلا فنان تشكيلي مسكون بعشق بلاده، وان هو الا نقاش دلموني الاختام.. آشوري المسمار.. فرعوني الازميل، فبأي مفهوم اصطلاحي في نظرية الجمال يمكن ان تُخاطَب به بلاد يحكمها شاعر فنان.. انه مفهوم الشعور بالسعادة التي تغمر من يعيش في ظل ادارة هذا الحاكم المؤرخ، الذي استطاع ان يوظف المنحيين الانثروبولوجي، والديمغرافي في كتاباته في التاريخ السياسي وهي قدرة شمولية توفر لمن يطلع على كتاباته تلك.. الالمام بالحياة التاريخية للمواقع الحضرية التي يكتب عن احداثها. ولسنا معنيين هنا بهذا الطرح ويمكن استخلاصه من الاطلاع على مؤلفاته باللغتين العربية والانجليزية.

ان الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي واترابه من مثقفي دولة الامارات العربية هم نتاج مرحلة التنوير الثقافي والتعليمي الثانية التي بدأت تدخلها الامارات بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة، ولكن محدودية المال والسكان كانت بين العقبات المهمة التي جعلتها تتأخر عن اختيها البحرين والكويت في مجال التطور الحضري الذي يعتمد التنوير الثقافي الحثيث، والتنوير التعليمي المستمر. ولقد تحدثنا عن التنوير الثقافي في بعض جوانبه خاصة بما يتعلق بكتاباتنا هذه عن الاستاذ مبارك الناخي ويبقى التنوير التعليمي في الامارات الذي سنتحدث عنه بايجاز في الأسطر القادمة.

التنوير التعليمي الأول

ترجع بدايات ظهور التنوير التعليمي في الامارات العربية المتحدة تاريخيا الى مفتتح القرن العشرين الميلادي، حيث بدأ بزوغ التعليم الأهلي الاسلامي في كل من دبي وابوظبي والشارقة وقد بدت بواكيره ممثلة بثلاث مدارس: الأحمدية في دبي برعاية التاجر محمد بن أحمد بن دلموك، الخلَفية في ابوظبي برعاية التاجر أحمد بن خلف العتيبة، والتيمية في الشارقة برعاية التاجر علي بن محمد المحمود.. كانت هذه المدارس تسير في نظامها التعليمي حسب منهج التعليم الاسلامي ما قبل نظام التعليم الحديث، أي انها تسير علميا حسب النظام السائد في نظام التعليم الاهلي الاسلامي المذكور آنذاك حسب اجتهادات مشايخه ومعلميه، لقد كان مثل هذا النظام موجوداً على الساحة الخليجية منذ العهد الاسلامي الأول، وكان يمارس عبر الجوامع والمساجد و«التكايا» والمدارس الدينية.

أما في الخليج العربي فقد ازدهر هذا التعليم وتطور في كل من الكويت والاحساء والبحرين وعمان ابتداء من مفتتح القرن التاسع عشر، وكانت له مدارس ذات أبنية خاصة يقوم بالتعليم فيها مشايخ يتلقون مكافآتهم من ريوع عقارات، ومزارع، واثلاث أوقفت أو حبست على مدارسه هذه. ولما كانت أكثر بلاد الخليج ساحلية يعمل ابناؤها في تجارة اللؤلؤ والانتاج الزراعي، فقد اضطر ذلك النظام التقليدي الى تطوير فني من جهتة بأن اضاف اليه مواد دراسية أخرى مثل مادتي علمي مسك الدفاتر، والفلك. وان مشايخه وعلماءه كانوا يعطون طلابه جرعات من علوم البحار

كالربننة وعمل الخرائط البحرية بما يسمى بعضها باللهجة الدارجة بـ «النايلات البحرية» أو مجاري البحار(١١).

وبينما نشأ هذا التعليم الاهلي الاسلامي المطور في كل من البحرين والكويت والاحساء قبل مائتي عام، كما أسلفنا، فإنه تأخر قرابة مائة عام في اقطار خليجية أخرى، وحين ظهر في هذه الاقطار الأخرى إبّان مفتتح القرن العشرين خلا نظامه التعليمي التقليدي من المناهج العلمية التطبيقية في المدارس الدينية بالأقطار الخليجية الثلاثة الأخرى.

وبينما ايضاً لم نعثر على حجج أو وثائق عن نشأة هذا التعليم الأهلي الاسلامي المطور في الخليج العربي الذي استمرت حياته قرابة قرن ونصف القرن في بعض بلدان الخليج العربي عثر في البحرين.. وربما الاحساء والكويت وعُمان على مثل هذه الوثائق، وفيما عدا تلك الرسالة التي وجهها تاجر اللؤلؤ الشارقي الحاج علي بن محمد المحمود وصاحب المدرسة التيمية بالشارقة الى الشيخ محمد بن عبدالعزيز المانع شيخ المدرسة الأثرية بالدوحة بقطر.. والتي اثبتت وثائقياً وجود هاتين المدرستين ذاتي النظام التعليمي الاسلامي الاهلي في الخليج، وان فحوى تلك الرسالة يشي بالمستوى الجامعي الذي تمثله المدرسة الأثرية بشيخها المانع بالنسبة للمدرسة التيمية، فإن كلا من مدرسة الأحمدية في دبي، والخلَفية في ابوظبي لم يعثر لهما حتى الآن على وجود وثائقي.. ربما كغالب مدارس ذلك النظام، الذي تشذ مدارسه في البحرين في وجود وبقاء أكثر حجج ووثائق وجودها ونشأتها.. تلك التي تقدم معلومات عن نشأة تلك المدارس ورعاتها ونظامها التعليمي.. واسماء العقارات أو المزارع والأطيان المحبوسة والموقوفة عليها.. من أجل استمرار وجودها مواقع لا تعليمية

فحسب.. بل تنويرية في نظام تعليمي يصعب علينا - عبر هذه الكتابة ايفاء ذلك النظام حقه من الدراسة والتحقيق من أجل تقدير وتثمين دوره الأساسي في انبات طلاب نبهاء أصبح بعضهم رموزاً للثقافة النيرة والفن والأدب والسياسة في الخليج العربي والذين أصبح بعضهم ايضاً مفاتح للعمليات التنويرية في بلدانهم.. مثلما كان يمثله المعلم الكاتب الاستاذ مبارك بن سيف الناخي ورفاقه الخليجيون.

ان الباحث حين يستقصي الدوافع الأساسية وراء من سعى الى اقامة مثل ذلك النظام التعليمي في الامارات - عبر مدارسه الثلاثة - أو قل دوافع من سعى الى تجديده كتعليم اسلامي تقليدي أصيل.. كانت قد خلت الساحة الاماراتية آنذاك منه أو كادت في حقبة انشغلت فيه تلك الامارات بالدفاع عن نفسها في رد الغزاة الطامعين. ان هذا الباحث ليجد ان للعقيدة الاسلامية الدافع الأساسي في اشاعة التعليم بين المسلمين.. كما قال الله تعالى (.. انما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ).. أو كما يقول جل جلاله (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون).

فاذا توفر المال، والمال لا يكون أكثره إلا في يد التجار أو الحكام.. ومن في مستواهما ادركنا ماذا تفعل رغائب النفس المؤمنة في ابتغاء رضوان الله.. في قلوب المؤمنين الصادقين تجاراً كانوا أو حكاماً من فاعلي الخير الاتقياء، الذين يحبون ان تشيع العافية الفكرية والنقاء من الأمية والجهل بين مواطنيهم.. رجاء غفران الله. كذلك فإن مما يسر اقامة مثل مدارس هذا التعليم الاسلامي في الامارات وجود علماء عرب طوافين من أجل تعليم الناس امور دينهم الذي ارتضاه الله لهم. كان أكثر هؤلاء العلماء من الجزيرة العربية(١٢) صادف وجودهم في الامارات إبان اقامة مدارس هذا التعليم، منهم مشايخ من نجد وآخرون من الاحساء

وبذلك تشكلت من هؤلاء التجار وأولئك المشايخ بؤرة للتنوير التعليمي في الامارات. كان ذلك خلال الربع الأول من القرن العشرين.

لقد تعدى تنوير بعض هؤلاء المدرسين الثلاثة العمل التعليمي الى العمل الصحي لخدمة مواطنيهم فقد استدعى الشيخ خلف العتيبة عام ١٩٢٦ الطبيب البحريني محمد محمود بهزاد الى ابوظبي ممرضاً لبعض قومه.. وقد وصفه الأخير فقال: لـ .. والشيخ خلف بن عبدالله أحد الفضلاء ومحب للعلماء والاشراف(١٣). ثم قال عنه في موقع آخر من كتابه الوجهة الذهبية «اعطانا الشيخ خلف بن عبدالله بن عتيبة بعض المعالجات الى الناس، واسماؤهم في سجل مكتوبة عندنا للمعالجة»(١٤).

لا شك انه كان لهؤلاء التجار المتنورين مثل الدلموك، والخلف، والمحمود، والنابودة صلات فكرية مع الاصلاحيين في العالم العربي والاسلامي امثال جمال الدين الافغاني الذي زار الخليج في الربع الأخير من القرن التاسع عشر حيث نزل في البحرين في طريقه الى الآستانة، وكذلك محب الدين الخطيب، وعبدالعزيز الرشيد والشيخ رشيد رضا وكثير من نظرائهم.. ومما يؤسف له فإنه فيما عدا ما سجله الطبيب البحريني السيد محمد محمود بهزاد في النصف الأول من القرن العشرين في كتابه الوجهة الذهبية، من حياة اجتماعية في وصف غير تفصيلي لانطباعاته اثناء زياراته للامارات عام ١٩٢٦ وعام ١٩٤٢ حيث كان يقيم عدة أشهر في كل من ابوظبي ودبي والشارقة، فإن ما سجل عن الحركة الاجتماعية في الامارات في تلك الفترة كان قليلا جدا وربما نادراً(١٥).

ولسنا هنا معنيين - كما أسلفنا - بالكتابة عن الحياة الاجتماعية

في الامارات ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية وما بعدهما ونحن إذ نجيء بشيء موجز عنها فما ذلك إلا لاعطاء فكرة عن المناخ التنويري في الامارات والشارقة بالذات إبان حياة ونشاط الاستاذ الناخي.

حيثية نموذج

في هذا المناخ مناخ التعليم الأهلي ما قبل التعليم الحديث في الخليج العربي ذلك الذي نشأ فيه الاستاذ الناخي واترابه من مثقفي الامارات الأوائل.. وفي زمان قد تعوزنا فيه نماذج من الحيثيات الدقيقة عن نشأة ذلك التعليم في كل من الاحساء والبحرين وعُمان، وكذلك الزبير والكويت. فإن العثور على مثل هذه الحيثيات عن نظام ذلك التعليم يكاد يكون نادراً، وربما متعذراً بالنسبة للامارات العربية المتحدة في الوقت الذي نحتاج فيه الى ابراز تلك الحيثيات أمام القارىء كوثائق لذلك التعليم.. من أجل تعزيز وجوده وتأكيد مخرجاته التنويرية التي تمتعت بها الامارات آنذاك.

لقد كان لبحثي الدؤوب في هذا المجال نتيجة معقولة بالنسبة لندرة تلك الحيثيات.. وهي نتيجة تمثل مفتاحا يضاف الى مفاتيح اخرى تعين - اذا ما اكتشفت - في فتح مغالق هذا البحث.. فكيف كان العثور على تلك النتيجة التي تمثل المفتاح؟

من المعروف ان التعليم الأهلي ما قبل التعليم الحديث في الخليج العربي كان على نمط التعليم الاسلامي منذ القرن الثاني الهجري إلا انه ومنذ اواخر القرن التاسع عشر الميلادي دخل - في بعض مناطق الخليج - في مرحلة متطورة بتأثير حركة الاصلاح الاسلامي كما اسلفنا في مفتتح فصل (التنوير التعليمي الأول).

كانت نماذج من هذا التعليم منتشرة في مناطق ومنها امارة الزبير التي لا تعد الآن من مناطق هذا الخليج مع انها كانت من صلبه ديمغرافياً واجتماعياً واقتصادياً.

امارة الزبير هذه التي عاشت وازدهرت بين القرن السادس عشر الميلادي والربع الأول من القرن العشرين لها دخل في عملية التعليم التنويري الأول في الامارات العربية المتحدة آنذاك وعلى الخصوص بمدينة دبي تماما كما كان للاحساء من دور في هذا التنوير في كل من ابوظبي والشارقة آنذاك، فما علاقة امارة الزبير بحيثيتنا النموذج عن ذلك التعليم التنويري الأول في الامارات؟

تقول الحيثية ان من اواخر مدارس التعليم الأهلي في امارة الزبير وأكثرها تطورا كانت مدرسة تدعى «النجاة الاهلية» وتشير الحيثية الى انها ربما آخر حلقة في مسلسل مدارس ذلك النظام في الزبير. في هذه المدرسة التي أسسها عام ١٩٢٠ المجاهد الموريتاني الشيخ محمد امين الشنقيطي - نزيل الزبير آنذاك - والتي كانت نموذجا للتعليم النظامي الاصلاحي عثرنا على حيثيتنا النموذج(١٦).

وحين ندخل في تفاصيل هذه الحيثية نستشف منها كيف كان للمعلمين الاوائل الاعلام في خليجنا العربي دور ريادي صلب في التضحية بالاستقرار والدعة والراحة بين الأهل والولد واستبدال ذلك بالهجرة والترحال وفراق الوطن في سبيل نشر العلم واشعال قناديل التنوير عن قناعة تامة بدورهم التأسيسي في بناء نهضة وطنهم عن طريق خدمته تعليمياً وثقافياً متمثلاً ذلك في قرنهم القول بالعمل التطوعي الذاتي.. الذي لم يدر بخلده آنذاك شيء من مفهوم المصطلحات المالية الحديثة كالميزانيات والمخصصات.. التي تتحكم في تنفيذ المشروعات أو تقليصها أو حتى ايقافها.. ان

الجدوى الجيدة المترتبة على ما كانوا ينذرون انفسهم من أجل خدمة مجتمعهم. كانت تنبعث من قناعتهم انهم متأكدون من حصولهم على تلك الجدوى الجيدة إلا ان اعمالهم كانت تسير وفق المنهج الرباني في منفعة الانسان لاخيه الانسان.

لقد تمثل ذلك بتضحية مدرسة النجاة الاهلية في الزبير بأربعة من اساتذتها الاوائل العاملين بها حيث دفعت بهم عام ١٩٢٣ الى دبي ليكونوا نواة لمعلمي المدرسة الأحمدية الوحيدة في الامارة آنذاك. تقول الحيثية: ان ثلة الاساتذة الأربعة اختطت لنفسها خطة بأن تفترق الى فريقين يتناوبان اثنين اثنين في التدريس بمدرستي النجاة والأحمدية.. كان هذا التناوب يعني ان يقضي اثنان منهم سنة دراسية واحدة بمدرسة النجاة في الزبير، والآخران بالأحمدية بدبي.. فاذا انقضت السنة الدراسية وجاءت الأخرى تبادلا الموقعين، وقد حدد فريق الأربعة لخطتهم هذه مساحة زمنية قدرها عشرة اعوام.. وقالوا انهم فعلوا ذلك من أجل المحافظة على حق ريادتهم في التعليم بالمدرستين المتباعدة كل منهما عن الأخرى مسافة ما يفوق قليلا على ألف ومائتي كيلومتر.. مع ما تميز به هذان الموقعان الدراسيان آنذاك من عسر في التواصل المسافي بينهما.

هذا ما حكته الحيثية النموذج عن بعض شأن البدايات الأولى لنشأة مدرسة أحمد بن محمد بن دلموك بدبي.. أما ما تضيفه الحيثية بعد ذلك فهو منهم ايضاً الى ان تقول:

(.. ان هناك صورة فوتوغرافية تحوي بعض الشخصيات من شيوخ دبي الذين أسسوا المدرسة المسماة (بالمدرسة الأحمدية) نسبة الى واضع حجر أساسها أحمد بن محمد بن دلموك، وظهر فيها المؤسس نفسه مع جملة من شيوخ دبي وتجارها بمن فيهم

الشيخان المعلمان عبدالله بن عبدالوهاب المزين الوهيبي وأحمد العرفج وهما الاثنان الآخران فقد ذكرتهما الحيثية في معرض حديثها عن الشيخ عبدالله الوهيبي الزبيري المار ذكره قريبا والذي كان يلقب عند الزبيريين بالمزين فقالت: كانت هذه (١٣٤٢هـ ذهب فيها شيخ عبدالله الى دبي ومعه مجموعة وهم: الشيخ أحمد العرفج والشيخ مشعان ناصر المنصور، وشيخ يوسف محمد الجامع..)(١٧).

وهكذا أتمت الحيثية ذكر اسماء الاساتذة الأربعة كاملة اولئك الذين أول من مارس التدريس في المدرسة الأحمدية بدبي (١٨).

ولا تضيف الحيثية النموذج بعد ذلك شيئا من التفاصيل عن منهج التدريس بالمدرسة الأحمدية.. ولا عن المدرسين ولا عن المواد التي يدرسونها لطلابهم ولا عن مكافآتهم التي ربما لا تخرج عن صفة اعانات يدفعها رعاة المدرسة لأولئك المدرسين كنفقات إعاشة وإسكان. ولكنها تشي بروح الرعاية الحميمة التي عادة ما يسبغها رعاة مثل هذه المدارس على أساتذتها في الخليج آنذاك المتعاونين معهم في العمليات التعليمية والتنويرية.. فاذا كان هذا ما اعطتنا اياه تلك الحيثية النموذج على محدوديتها من رصد عن نشأة المدرسة الأحمدية بدبي فكيف يكون مفيداً معرفياً لو عثرنا على مثل تلك الحيثية النموذج ويكون متعلقا بنشأة وحركة مدرستي التيمية في الشارقة والخَلَفية بأبوظبي رصيفتي الأحمدية في دبي.

التنوير التعليمي الثاني

مدرسة الاصلاح

فاذا كان هذا في مرحلة التنوير التعليمي الأول في الامارات العربية المتحدة.. فماذا كان في المرحلة الثانية لذلك التنوير..؟ لقد ذكرنا مسبقاً ان المرحلة الثانية من التنوير التعليمي كانت قد بدأت

في الشارقة عام ١٩٤٣ بتأسيس مدرسة الاصلاح الاهلية بالمحرق/ البحرين تلك التي أسسها الاستاذ الشاعد عبد الرحمن المعادة عام ١٩٣٣ .

شهادة اولى

لقد كان وراء هذا الحدث التنويري التعليمي قصة سجلتها عام ١٩٧٥ عن الاستاذ الشيخ عبدالله بن علي المحمود قال ما نصه:

في عام ١٩٤٣م فكر ثلة من شباب الشارقة في فتح مدرسة حديثة نظامية، قالوا انهم ينشئونها على نمط المدارس في البحرين والكويت، على ان تكون مدرسة اهلية نظراً لعدم توفر الظروف الاقتصادية في امارة الشارقة لفتح مدرسة نظامية، كانت رغبتهم ملحة في تنفيذ المشروع.

ولما كان من علاقة ثقافية وطيدة بين شباب الشارقة المثقف آنذاك وشباب البحرين.. تلك العلاقة التي كانت جذورها تضرب في العمق منذ تعرف شباب الشارقة اولئك على الثقافة الحديثة بدءا من مستهل القرن العشرين، وعبر اتصالهم باخوانهم البحرينيين

فقد قرر اولئك الشباب وعلى رأسهم الأديب ابراهيم بن محمد المدفع ان يستعينوا بإخوانهم البحرينيين في تنفيذ هذا المشروع على المستوى الشعبي، كانوا يتحركون في تفكيرهم لتنفيذ هذا المشروع على الأخذ بالنظام الحديث الذي تسير عليه المدارس الاهلية في البحرين كالمدرسة الجعفرية ومدرسة الاتحاد بالمنامة ومدرسة الاصلاح بالمحرق.. ولقد كان أقرب الى تفكيرهم ان يأخذوا بطريقة مدرسة الاصلاح بالمحرق للأسباب الآتية:

اولا: لمعرفتهم القوية بصاحب المدرسة ومديرها الأستاذ الشاعر عبدالرحمن المعاودة.

ثانيا: لكون المدرسة آنذاك تسير بنظام جيد يأخذ بنظام المدارس الأهلية في سوريا.

بعد ذلك اتخذ اولئك الشباب خطوة أولى في تنفيذ فكرتهم فاتصلوا بالأستاذ عبدالرحمن المعاودة وعرضوا الفكرة عليه على ان يجيئهم الى الشارقة ويؤسس مدرسة لديهم هناك على نمط مدرسته، فاذا ما انتظمت الدراسة بها واشتد ساعدها يعود هو الى مدرسته في المحرق.

ولقد وافقهم المعاودة على ذلك شريطة ان يضمنوه بطريقة رسمية فوعدوه ثم ان هؤلاء الشباب اتصلوا بحاكمهم الشيخ، وعرضوا عليه الأمر فأعطاهم موافقة مبدئية على ذلك شريطة ان يستشيروا رؤوس أهل الشارقة ليستأنس برأيهم فيه.

غير ان هذا الأمر الذي حاول اصحاب فكرة انشاء تلك المدرسة ان يكون طي الكتمان حتى يتم.. ما عتم ان عرف به غالبية أهل الشارقة، فمن غير الطبيعي ان يكون هذا الأمر مكتوماً في مجتمع أخوي صغير كمجتمع الشارقة، فكان من اوائل من علم به هو الشيخ عبدالله بن علي المحمود فلم يوافق عليه لا كمشروع، ولكن

على المدير الذي سيقوم بتأسيس المدرسة وادارتها واعطى لذلك عدة اسباب:
اولاً: عدم صلاحية المعاودة شخصيا لادارة المدرسة، وذكر أسباباً من أهمها الأستاذ المعاودة نفسه لوقوعه صريع النوم طول وقته فهو لا يستطيع أن يقدم شيئاً للشارقة.
ثانياً: ان امارة الشارقة تحتاج الى مدارس نظامية حديثة كالمعمول بها في البحرين والكويت، وعلى الامارة الاستعانة بشقيقتيها في ذلك.
ولم يقف الأمر عند هذا الحد، فلقد انقسم عليه شباب الشارقة الى فريقين، فكانت غالبيتهم مع رأي الشيخ عبدالله المحمود بإلغاء تعيين المعاودة، وكان أقليتهم مع رأي الشاعر ابراهيم المدفع واصحابه.
.. أعطى الشيخ عبدالله المحمود تصوره هذا للحاكم الذي اقنعه هذا التصور - فصرف النظر عن تأييد اقامة المدرسة، أو الموافقة عليها.. كان ذلك بحضور المنادين باقامة المدرسة الذين ظهر آنذاك انه اقتنعوا بتصور الشيخ عبدالله عنها.
ومرت بضعة أيام على ذلك اللقاء الذي ضم حاكم الشارقة بحضور حاكم رأس الخيمة حميد القاسمي، والشيخ عبدالله المحمود والأديب ابراهيم المدفع الذي كان من نتيجته صرف النظر عن اقامة المدرسة وطي ملفها. فبعد حضور الاستاذ عبدالرحمن المعاودة واحتفال بعض شباب الشارقة به وافتتاحه المدرسة - موضوع الخلاف - فقد تأكد لمعارضي وجود الاستاذ المعاودة بينهم في الشارقة بصفته مديراً للمدرسة ان مؤيديه قد حصلوا من حاكم الامارة على مرسوم بحضوره الى الشارقة لادارة المدرسة عند ذلك اتصل الشيخ عبدالله المحمود بالحاكم محاولاً اقناعه بسحب موافقته على وجود المعاودة كمدير للمدرسة.
وقد ظهر فيما بعد ذلك ان الحاكم قد اقتنع اخيرا بجدوى

تصورات الشيخ عبدالله وتعثرت بذلك تجربة من التجارب الأولى لتأسيس المدارس الأهلية الحديثة بالشارقة.

ولم يمض وقت طويل حتى غادر المعاودة الشارقة، ولكن هذه المدرسة تركت بصمات واضحة على مسيرة التعليم في الشارقة، وفي فترة وجوده في الإمارة، تولى الاستاذ المعاودة تدريس اللغة الإنجليزية لصاحب السمو الشيخ سلطان بن محمد القاسمي، حاكم الشارقة حالياً وعدداً من إخوانه وابناء عمه، وأقام المعاودة في غرفة الضيافة.

إن مدرسة الاصلاح قد تعثرت واوقفت كتجربة ولكنها لم تنته فكأنها كبت ولم تسقط. فقد ظهر لي فيما بعد ان ما قام به الاستاذ عبدالرحمن المعاودة ان هو إلا تطوير تجربة أولى قام بها الاستاذ الشيخ محمد بن علي المحمود قبل ذلك بست سنين.. كما سيأتي في شهادته كرائد في هذا المجال.

وفي محاولة تشريح الشهادة بايجاز نجد ان صاحبها كان قد أفصح في مقدمتها عن قناعته بجدوى ما كان يفكر به شباب الشارقة المثقف آنذاك من اقامة نظام تعليمي حديث بالشارقة ابان اربعينات القرن العشرين، وقد تحدث بايجاب عن صلة اولئك الشباب بإخوانهم من مثقفي البحرين.. تلك الصلة التي قال عنها انها ذات علاقة حميمة تضرب في العمق، وذكر في سياقها اسم الشاب المثقف ابراهيم محمد المدفع المعني بتنفيذ الفكرة المتمثلة في بعض مدارس البحرين الأهلية ونظامها في التعليم، وخص المعاودة ومدرسته فيما بعد بتنفيذ الفكرة.. لكنه وقف في قناعته عند حد كون الموضوع فكرة.. لن تنفذ إلا باشراكه في الاطلاع عليها إلا ان ما حدث غير ذلك وفتحت المدرسة بادارة المعاودة فأبدى اعتراضه عليه كمدير لها.. كما ذكر في شهادته بصيغة الاخبار عن الآخر.

فلماذا وقف الشيخ عبدالله المحمود من الاستاذ المعاودة هذا الموقف؟ لم استفسر من الشيخ عن قناعته في ذلك لئلا ألجئه الى كشف ما كنت اعتقد انه يتحفظ عليه من حيثيات مبرراته عنه وخاصة فقد كانت لي قناعتي الخاصة بموقف الشيخ هذا.. تلك القناعة التي تكونت لدي نتيجة حصيلة استقصائي خلال سبعينات القرن العشرين عن حركة ونشاط الشيخ في مجال الثقافة الاصلاحية في الخليج العربي منذ ثلاثينات هذا القرن. فالشيخ كثيراً جداً ما يكرر زياراته الى البحرين مع والده الشيخ علي المحمود أو بدونه لممارسة تجارة اللؤلؤ مما يؤدي به الى مداومة السكنى أسابيع بعمارة المؤيد بالمنامة، ونتيجة لذلك فقد انتسب عضواً بالمنتدى الاسلامي، فكان من الطبيعي ان تكون له صداقات متفاوتة القوة مع اعضاء المنتدى وبقطاعات كبيرة من شباب اندية الوسط، في المنامة والمحرق، ولا شك ان من بينهم المعاودة الذي كان يدير آنذاك مدرسة ناجحة ويقدم مسرحياته الرائجة آنذاك على مسارح الاندية والمدارس، وأشعاره منشورة ومقروءة في الخليج عبر جريدة البحرين، فلا أقل والحالة هذه ان تكون معرفة الشيخ عبدالله به اعمق من ان يكون مدير مدرسة في الشارقة، وما يهمنا هنا الآن هو القول إن شهادة الشيخ عبدالله بن علي المحمود - التي اثبتناها مسبقاً - لم تفدنا شيئاً عمن اعطى مدرسة الاصلاح اسمها الاصلاحي لأول مرة.. ذلك الذي قدر له ان يكون اسماً علماً ذا اسقاط تاريخي وأثري على البدايات الأولى لنظام التعليم الحديث في الشارقة.. وربما في الامارات كلها آنذاك، كذلك لم يفدنا الشيخ المحمود في شهادته عمن قام بتأسيس المدرسة كتجربة أولى.. غير ان أخاه الشيخ محمد علي المحمود قال انه هو الذي أسس أول مدرسة في الشارقة باسم الاصلاح الأهلية وذلك

عام ١٣٥٥هـ ١٩٣٦م فلنستمع اليه في شهادته التي تكاد تكون اكثر تدقيقاً في هذا المجال.

مدرسة الإصلاح

شهادة ثانية

(استجابة لطلب الصديق الاستاذ مبارك الخاطر أقول: أسست في بيت سالم بن سعيد بن محمد الشامسي وهو من أعيان الشارقة وعالم دين عام ١٣٥٥هـ مدرسة اسمها مدرسة الاصلاح مع مدرسين ثلاثة هم: فاضل آل بطي وراشد بن سالم (فقيه) ويعطي الأدب، ويوسف بن عبدالرحمن جرمن، وبتاريخ ١٣٦٢ وبعد ان اغلقت مدرسة الاصلاح للشيخ محمد علي المحمود بمناسبة حلول الحرب العالمية الثانية وتأزمها واشتغل الناس ببطاقات الأطعمة، سكّرت المدرسة وتوليت بلدة الحيرة بالتموين والاقمشة. وكان صقر بن سلطان آنذاك رغب ان يطلب المعاودة من البحرين فأوحى الى والده الحاكم سلطان بن صقر فاستجاب لرأيه فحضر المعاودة وفتحت له مدرسة في الشارقة وهي في مجلس المرحوم الوجيه عبيد بن عيسى النابودة لأنه كان مجلساً جميلا ويحوي غرفتين واسعتين وحوش صغير فقام مشروع المعاودة التعليمي. امدة سنة واحدة.

ثم طلب من محمد علي المحمود ترك التموين وان يعود الى مدرسة الاصلاح من جديد. فاقترحت على سلطان ان يجمع المقتدرين من أهل الشارقة ليتبرع كل من يستطيع ليوفر في

صندوق للانفاق على المدرسة، وان يأمر الجمرك بتخصيص آنتين اثنتين من حصيلة الجمرك. وفعلا طبق ذلك واستمرت هذه المدرسة باسم الاصلاح القاسمية وأستمر بها محمد المحمود مديراً لها حتى أتاه الطلب من قطر برسالة من الشيخ جاسم بن درويش.. يقول فيها: بوحي من سيدي الحاكم حمد بن عبدالله بن جاسم الثاني يرغب كل الرغبة ان يفتح الاصلاح في الدوحة كما فتحت في الشارقة، وتكون تحت ادارتك، وكان فيها معلم من جملة المعلمين يدعى صالح البرغوثي لتعليم الرياضيات، والاستاذ جميل حسونة للجغرافيا، وذلك سنة ١٣٦٦هـ).

هذا نص شهادة أملاه عليّ الشيخ محمد بن علي المحمود بين اواخر مايو من عام ١٩٩٦ وراجعته فيه خلال اواخر ديسمبر من العام نفسه فأقره. ثم هاتفته فيه بتاريخ ٥ مارس ١٩٩٧ فأضاف عليه اسماء من تعاونوا معه في التدريس بمدرسته الاصلاح في تجربتها الاولى عام ١٩٣٦ وهم: فاضل آل بطي وراشد بن سالم، ويوسف عبدالرحمن جرمن، وسمّى ايضا المقر الأول للمدرسة فقال انه بيت الفاضل سالم بن سعيد بن محمد الشامسي.

لقد كان من المفروض ان تسبق هذه الشهادة نظيرتها، الأولى في التسجيل هنا وذلك بسبب ما اوقدته من اضاءة مجزية على درب البدايات الأولى لنشأة مدرسة الاصلاح بالشارقة فقد أصبحت هي التجربة الأولى لها. إلا ان الشهادة الأولى وهي للشيخ عبدالله المحمود، وكذلك الشهادة الثالثة وهي للاستاذ عبدالرحمن المعاودة ـ كما سنثبتها لاحقاً ـ كانتا قد سجلتا في وقتين متقاربين يسبقان وقت تسجيل الشهادة الثانية التي نحن الآن بصدد تشريحها ـ بحوالي عقدين من السنين.. فكان للأقدمية

التاريخية في تسجيل هذه الشهادات الثلاث الفضل في ترتيب وضعها في هذه المقدمة.

أما حين نأتي الى استقراء نص الشهادة الثانية فسنجده مغايراً شيئاً ما عن نص الشهادة الأولى.. وهو أمر طبيعي فقد اعطانا نص الشهادة الأولى جوانب مهمة عن تنفيذ التجربة الثانية من مدرسة الاصلاح بينما أعطانا نص الشهادة الثانية معلومات مهمة عن التجربة الأولى في تأسيس مدرسة الاصلاح بالشارقة عام ١٩٣٦.

من هذه المعلومات ما وصلنا اليه من قناعة ان ليس للأستاذ المعاودة حظ ريادي أول في تأسيس المدرسة سوى في اعادة فتحها عام ١٩٤٣ كتجربة ثانية لها. وان الريادة الأولى في تأسيسها كانت معقودة للشيخ محمد بن علي المحمود، ولكنه تخلى عنها واغلقها وفضل العمل في مصلحة التموين التي كانت تباشر أعمالها باشراف عبدالرزاق المرزوقي ممثل بريطانيا في الشارقة، لقد اغلق الشيخ محمد المدرسة بسبب أزمة الحرب العالمية الثانية وانشغال الناس في الشارقة بتوفير الغذاء والكساء وهو ما عناه في قوله: «بمناسبة حلول الحرب العالمية الثانية وتأزمها واشتغل الناس ببطاقات الأطعمة سكّرت المدرسة وتوليت بلدة الحيرة بالتموين». لكن هذ التصرف من الشيخ لم يكن غريبا اذا علمنا ما أفرزته تلك الحرب من معوقات في مجالات حياتية عدة!

فهل كان هذا الاغلاق للمدرسة ربما الوحيدة بالأمر الهين عند مثقفي الشارقة آنذاك؟ لقد تبين لهم بعد فترة وجيزة انه ليس كذلك وانه يؤدي الى نتائج سلبية عدة ليست في صالح التعليم ولا التثقيف ولا التنوير في امارتهم فجاؤوا بالاستاذ المعاودة ففتح المدرسة بنمط تعليمي آخر غير التي كانت عليه. ربما كان ذلك ردا

منهم من أجل استمرار دولاب الفعل التعليمي بالدوران في امارتهم، ومع تواضع هذا الدوران فقد تعثر ثم توقف ثانية بعودة الاستاذ المعاودة الى البحرين بعد ان أمضى فصلاً دراسياً في ادارة المدرسة.

وكما اوضحنا مسبقاً ان تجربة الفعل التعليمي في الشارقة كما تمثل ذلك في مرحلتي التعليم بمدرسة الاصلاح الأهلية لم تكن لتسقط وانما قد تكبو شأنها شأن التجارب الأولى في قيام المؤسسات الحضارية الأولى نشأتها وحياتها. وهذا بعض ما مرت به تجربتا مدرسة الاصلاح، وبعد فراق انتهى بانتهاء الحرب العالمية الثانية عام ١٣٦٤ ـ ١٩٤٥، عاد اليها مؤسسها الأول ليديرها قرابة ثلاثة أعوام، عاد اليها بتصور تطويري من أجل تمويل العملية التعليمية بها كيما يضمن استمرارها في العمل.. ولقد أفصح الشيخ محمد المحمود عن تصوره التطويري هذا فقال: «اقترحت على سلطان.. ان يجمع المقتدرين من أهل الشارقة ليتبرع كل بما يستطيع ليوضع في صندوق للانفاق علي المدرسة، وان يأمر الجمرك بتخصيص آنتين اثنتين من حصيلة الجمرك، وفعلا طبق ذلك». فأصبح ذلك المقترح أول مبادرة من نوعها في الشارقة.. ربما في الامارات كلها.

إذاً، فالشيخ محمد كان واعياً في وضعه نص هذا المقترح فأفرده الى شقين: الأول حكومي، والآخر أهلي.. ومقترح تمويلي كهذا يعني اذا تنفذ مشاركة القطاع الخاص مع العام جنبا لجنب لتمويل مشروع وطني خيري يقام لمصلحة المواطنين. كذلك فإن مقترح الشيخ هذا يوحي بالاستفادة منه كخيارين اذا تعذر تنفيذ احدهما لجأ الشيخ الى الآخر. غير ان المقترح نجح بشقيه وطبق كما يقول صاحبه في شهادته دون ان يذكر من تفاصيل ذلك

التطبيق سوى قوله انه قد جرى للاصلاح القاسمية افتتاح ذي احتفال كبير.. وكان ذلك في اوائل صيف عام ١٣٦٤هـ وانه كان معه من المدرسين الشارقيين أحمد بورحيمة، وفاضل بطي.

ومع هذا الجهد الجهيد الذي قام به الشيخ محمد المحمود من أجل مدرسة الاصلاح التي ورثها عن والده منذ عام ١٩٣٦ أي ما يوازي ثلاثين عاما من العمل لها بين مد وجزر فقد كانت روح التغيير متجذرة في نفس الشيخ فهو مع ما ذكرناه من جهده من أجل الاصلاح الاهلية سابقاً والاصلاح القاسمية اخيراً، كان يراوده الحنين الى التغيير في مواقع العمل وخاصة مواقع التعليم منها التي ظهر لنا من مرافقتنا له في هذه الشهادة انه من عشاق التعليم فقد لبى عام ١٣٦٦ ـ ١٩٤٨ دعوة له من حاكم قطر الثالث بالذهاب الى الدوحة لتأسيس مدرسة بها تدعى الاصلاح ايضاً.. وهكذا ترك الشيخ محمد الاصلاح الشارقية الى الاصلاح القطرية.

ولعل له عذراً ونحن نلوم، ومن العذر ما صدق. ولا اخاله إلا انه لبى نداء الواجب حين رجع بذاكرته الى ذلك اليوم الذي لبت قطر في شخص معلمها الأول الشيخ محمد بن عبدالعزيز المانع طلب والده الشيخ علي محمد المحمود صاحب المدرسة التيمية الشارقية بقبول بعثة مدرسته الى المدرسة الأثرية بالدوحة عام ١٣٣١ لتنمية التحصيل العلمي الديني والدنيوي على يد مديرها حيث كان ابنه الشيخ محمد أحد افرادها في التحصيل والتخرج، فأي ظاهرة ملفتة للنظر تلك الحركة التي مثلت بوعي اصيل دوراً تعاونياً خليجياً في تبادل المنافع التعليمية مما يعد سبقاً رائداً إبان مفتتح القرن العشرين الميلادي.

شهادة ثالثة

الى حضرة الأديب المؤرخ مبارك بن راشد الخاطر واسني سلام الاسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخي سألتني عن مدرسة الاصلاح بالشارقة نشأتها وادارتها ثم اقفالها ورجوعي الى البحرين فأقول وبالله التوفيق:

اولاً: لقد كان لجريدة «البحرين» لصاحبها الأخ عبدالله الزائد فضل وأي فضل في استحداث الصلات الحميمة بين أدباء وشعراء العرب، وكانت همزة وصل في ذلك، وكنت انشر فيها قصائدي منذ نشأتها عام ١٩٣٩ فعرفت عن طريقها لا في الخليج والبلاد العربية والهند بل حتى في بريطانيا حيث تصل الجريدة اسبوعيا الى القسم العربي باذاعة لندن.

ثانياً: ان ما سألتني عنه هو حدث مضى عليه أربعون عاماً. وان ما بقي منه في الذاكرة من تفاصيل فهو قليل، ولكن ما بقي فيها من اساسياته لهو محفور في تجاويفها، وقد آن الاوان بفضل هذا السؤال ان اذكرها باختصار، فقد وردني كتاب من الشيخ صقر بن سلطان القاسمي أحد ابناء الشيخ سلطان القاسمي حاكم الشارقة آنذاك. واذكر ان ذلك كان عام ١٩٤٢ وفي الكتاب دعوة الى الشارقة لفتح مدرسة ابتدائية مشابهة لمدرستي في المحرق فاستشرت صديقي الزائد فشجعني على ذلك فتركت من ينوب عني في مدرستي الاصلاح بالمحرق، واظنه اذا لم تخني الذاكرة هو الاستاذ ابراهيم حسن كمال، وذهبت الى الشارقة ونزلت في ضيافة كريمة من حاكمها آنذاك، وبعد ايام هيئت لي الاسباب ففتحت المدرسة في مبنى يخص الوجيه عيسى النابودة، وبقيت تؤدي عملها حتى نهاية السنة. وهناك حدث ما لم يكن في الحسبان

إذ اشار سمو الحاكم باغلاقها دون ذكر الأسباب، وبقيت والحالة هذه أياماً اضطررت بعد ذلك الى مغادرة الشارقة الى البحرين مختاراً بعد ان ودعت حاكمها.

وقد طرق سمعي بعد ذلك وأنا في البحرين ان سمو حاكم الشارقة اخذ برأي بعض علماء الشارقة في اغلاق المدرسة. ثم بعد ذلك علمت ان صحبتي المتينة بالشيخ صقر بن سلطان الذي كان وجه الدعوة اليّ للذهاب الى الشارقة آنذاك كانت في نيل الحساد مني.

اني اذكر بالفخر والاعتزاز كثيراً من أهل الشارقة ذوي الاخلاق الكريمة المضيافة.. ومنهم اصدقائي.. منهم مبارك الناخي وابراهيم المدفع وآخرون.

هذا ما أذكره يا أخي مبارك الآن واستميحني عذراً ودمتم مشكورين.

تلك كانت شهادة الاستاذ عبدالرحمن المعاودة عن مدرسة الاصلاح بالشارقة التي دعيت مرة بالاصلاح المحمدي، ثم بالاصلاح القاسمية لقد سجل المعاودة تلك الشهادة في رسالة اليّ مؤرخة في ١٨ ديسمبر ١٩٨٤ وناولني إياها باليد خلال لقاء خاص معه بأحد فنادق المنامة.

وهنا لابد من القول انه ليس من السهل الحصول من المعاودة على مثل هذا النمط من الشهادة عن حركة تعليمية خارج البحرين شارك هو فيها قبل أكثر من نصف قرن مضى. وحدث فيها شيء من التجاوز عليه - كما قال لي - ولولا خصوصية الصداقة التي كانت لي معه كأقرب تلميذ اليه من تلامذة مسرحه لما حصلت على مثل هذه الشهادة منه، وكذلك على ما قبلها من حيثيات شؤونه الثقافية والأدبية والمسرحية، يؤكد ذلك ما سجلته عنه في كتابي

(المسرح التاريخي في البحرين)(١٩).

وعلى ذكر ذلك فإن جلساتي معه اثناء زياراته السنوية التي اعتاد قضاءها في البحرين خلال شهر ديسمبر من كل عام، والتي كثيراً ما كان يحضرها معي الاستاذ عبدالله المعاودة.. كانت ذات طابع حميمي، وكان كثيراً ما يسرد في احاديثنا عن حياته في العمل والتعليم والثقافة والمسرح في البحرين وخارجها وكان يكرر قوله لماذا لا تكتب عني كتاباً؟! فأرد عليه ألا يكفيك - مرحلياً - ما كتبته عنك وعن مسرحك في «المسرح التاريخي».. فأكثر من نصف مادة الكتاب يخصك، فيكف حيناً ويعود مرة أخرى يذكرني بطلبه.. ويوصيني ان فعلت ذلك ان لست في حل من ذكر ما يجرحه هو والآخرين اصحاب العلاقة في حياته وسأبقى وفياً لذلك وان كان يعوق من اطلاع الآخرين ربما على جزئيات من شجاعة المعاودة الأدبية.

أما ما تعنيه شهادة المعاودة فهو واضح وقد لا يحتاج الى التوقف عنده كثيراً كنص، فيما عدا ما عناه من قوله عما اعتقده من وقوعه في دائرة حسد القوم الذين لم يوضح في الشهادة من هم.. ولم اسأله عن ذلك فلربما دخل هذا الأمر في دائرة الظن.. وان بعض الظن اثم، لكن ما اوضحه لي الاستاذ المعاودة بعد ذلك في احدى جلساتي معه في البحرين يمكن ان يرقى بعضه الى ما كان اعتقد هو في ذلك لصلته بالشيخ صقر بن سلطان القاسمي.. ففي حديثه عن مجريات معاناته اثناء وجوده في الشارقة بين ١٩٤٢ - ١٩٤٣ فإنه ينحصر اوله وأقله في شؤون مدرسة الاصلاح ادارة وتلامذة وأولياء أمور.. وينحصر ثانيه فيما ذكره المعاودة من تكوينه حلقة لقاء أدبي هو واصحابه الخلص في الشارقة.

هوامش الفصل الأول :

١ – ابن ظاهر
٢ ـ جريدة «الخميلة» البحرينية» ١٩٥٠ ـ ١٩٥٤.
٣ ـ سالم بن علي العويس ـ أحد شعراء النهضة الحديثة في الامارات والخليج العربي. ولد بالشارقة اول القرن العشرين ونشأ وعاش ومات بها.. دعا مبكراً الى الوحدة العربية ومن أشهر شعره قصيدة كتبها عام ١٩٢٦ يدعو فيها الى تضامن العرب ووحدتهم.
٤ ـ احمد بن سلطان بن سليم ولد بدبي مفتتح القرن العشرين وتعلم بها وهو أحد شعراء النهضة الحديثة في الامارات والخليج العربي. ثقف نفسه تثقيفاً حسناً.. ثم انه هاجر الى الهند وعمل باذاعة عموم الهند.. وفي عام ١٩٤٨ عاد الى دبي وبقي بها ثم اصبح بعد ذلك وزيراً للشؤون المالية والاقتصادية بدولة الامارات العربية المتحدة في أول نشأتها.
٥ ـ الشيخ الشاعر صقر بن سلطان القاسمي حاكم الشارقة ١٩٥٠ ـ ١٩٦٤ رائد البدايات الأولى للتعليم الحديث في الشارقة ـ أشهر شعراء الامارات خلال ثلثي القرن العشرين ومن شعراء النهضة الحديثة في الامارات والخليج العربي له اكثر من ديوان شعر أهمها «وحي الحق» و«الفواغي» و«جنة الحب».
٦ ـ الشاعر مبارك بن حمد العقيلي ـ من شعراء النهضة الحديثة في الامارات والخليج العربي ـ ولد بالاحساء وتعلم بها وجاء الى دبي مبكراً وعاش بها حتى وفاته، عام ١٩٥٣، لم ينتشر شعره في حياته.. ولكنه نشر بعضه في جريدة «البحرين» ابان اربعينات القرن العشرين.
٧ ـ الشاعر خلفان بن مصبح ١٩٢٢ ـ ١٩٤٦ ولد بالشارقة ونشأ بها، وتعلم ونظم الشعر مبكراً.. وهو شاعر مجيد، وقد اصيب وهو في ريعان شبابه بمرض عضال أودى بحياته.
٨ ـ انظر الخطاب الأدبي للناخي (فصل ٥) شيء من شعر الناخي.
٩ ـ الزائد عبدالله بن علي بن جبر ١٩٩٤ ـ ١٩٤٥ أ ـ ط ١٩٧٢/١ وط ١٩٨٨/١ وديوان الزائد ط ١٩٩٦/١ ـ مطبعة حكومة البحرين.
١٠ ـ انظر كتاب «المنتدى الاسلامي» حياته وأعماله من ١٩٢٨ الى ١٩٣٦ ـ ط ٢ ـ

١٩٨١ وط/١٩٩٣ - مطبعة حكومة البحرين.
١١ - مؤلف في طرق الخليج البحرية ومغاصاته.. من تأليف الربان المعروف راشد بن مقبل البنعلي/ اصدار مطبعة البحرين الحجرية بالمنامة عام ١٩٢٢.
١٢ - مثل العلماء والقضاة والشعراء من آل مبارك وآل عبدالقادر وآل الملا بالاحساء، وعلماء ومشايخ من الزبير والكويت ومن المغرب ومن موريتانيا.
١٣ - الوجهة الذهبية ص ٤٧/ تأليف الطبيب البحريني محمد محمود بهزاد - مطبعة نهضة مصر (مجهول تاريخ الطبع)، ولكنه صدر في سبعينات القرن العشرين.
١٤ - نفس المصدر ص ٤٩ و٥٠ - مطبعة نهضة مصر، قال المؤلف الطبيب البحريني محمد محمود بهزاد: «أما من طرف الشيخ خلف بن عبدالله بن عتيبة فهو رجل دين وعمل ودنيا، عسى الله ان يتوجه بتاج الجنة، والمغفرة والرضوان».. وقال ايضا: «أما طرف ابن خلف فهو أحمد بن خلف.. رجل عظيم الارادة والقوة على فعل الخير، لأن عنده نظر في مشترى اللؤلؤ، ونظرياته وهو من أهل الخير والعلاج».
١٥ - نفس المصدر ص ٤٨ قال المؤلف: وفي أول ذي الحجة سنة ١٣٤٤ (١٩٢٦) وصلت ابوظبي واقمت عندهم لمدة خمسة أشهر الى ان عالجنا كثيرا من العيون، والبواسير والناسور ونزول الماء في العين.
١٦ - ص ١٦٧ امارة الزبير بين هجرتين تأليف عبدالرزاق عبدالمحسن الصانع وعبدالعزيز عمر العلي - مطابع المقهوي - الكويت ١٩٨٨.
١٧ - نفس المصدر ص ١٧٠ - ذهاب الشيخ عبدالله المزين الوهيبي الى دبي، حيث بقي فيها هو ورفاقه احمد العرفج، ومشعان ناصر المنصور، ويوسف محمد الجامع للتدريس في مدرسة الأحمدية في دبي من ١٣٤٢ الى ١٣٥٢.
١٨ - نفس المصدر - ص ١٧٠ و١٧١.
١٩ - ص ٦٤ و١٧٥ - المسرح التاريخي في البحرين من ١٩٢٥ الى ١٩٥٣ تأليف مبارك الخاطر - مطبعة حكومة البحرين ١٩٨٥.

الفصل الثاني

١ ـ رجل ومولد قرن

٢ ـ النقلة الى الأثرية

٣ ـ النص الأول

٤ ـ استقراء النص الأول

٥ ـ مآخذ اصلاحية

٦ ـ شيء عن رصد الناخي للتعليم في قطر

٧ ـ النص الثاني

٨ ـ النص الثالث

٩ ـ استقراء النصين/ ٢و٣

١٠ ـ بدايات التعليم في قطر

١١ ـ النص الرابع

١٢ ـ استقراء النص الرابع

١٣ ـ هوامش

رجل .. ومولد قرن

تلك كانت رصدات .. حفزني الى كتابتها رجل رمز.. بين رموز الثقافة والأدب والتعليم والتنوير في الامارات العربية المتحدة.. والخليج العربي.

انسان طلع بارزاً ظاهراً بين تلافيف موقع من مواقع المعاناة والتعب.. موقع من مواقع مهد الحضارة والشراع في الخليج العربي.

رجل رافق طلوعه مولد قرن جديد. وحين انتصب واقفاً واراد ان يخطو خطوته الأولى كطفل وجد قدميه واحدة في الماء وأخرى في الثرى.. وحين درج درجته الأولى وجدهما مطوقتين برمل الشاطىء الشارقي ذي الهواء السجسج الناسخ لأهوية بواكدير المدينة المشرفة على البحر.

وهو كيف كان يفعل؟ حين كان ينفلت من حجر أمه كان لا يتجه الى سيف البحر كما كان يفعل الدارجون من أطفال الشارقة الرضع حين ينفلتون من حجور امهاتهم الجالسات على الشاطىء في انتظار رجالهم الآتين بصيدهم السمكي.. أو المتجنين(١) بمخاشرهم(٢) أو المبارين لحضورهم(٣) ومساكرهم(٤).. كان الطفل مبارك لا يتجه في خطواته الى البر.. ذي الرمل المتوهج الساخن.

حين حكى لي الأستاذ مبارك الناخي هذه الطرفة أتبعها بذيولها.. قال: ان والدته كانت تكرر على أسماعه ذكراها.. فكانت تعقب حين تبدر منه مخالفة ما لأوامرها قائلة: (لا تسوي لي خولف.. تذكر يا براوي.. الناس مشرقة.. وانت مغرب). أما أنا يا

أخي فلا اذكر ما تقوله عني.. وهل يتذكر ذو الحول أو الحولين شيئاً من تصرفه الطفولي.. حتى مطوعي في الكتاب نسيت اسمه الآن(٥).

لكني اذكر اني كنت اغافلها فأخرج متجهاً الى البر.. لا اعرف ما الذي يجذبني الى التجوال وحدي في الخلاء.. مرة وجدت نفسي داخل مدينة دبي جئتها صباحاً وغادرتها ظهراً.. وحين عدت الى البيت اوجعتني والدتي ضرباً.

ليس في زماننا فيما نعيه آنذاك سوى ثلاثة اتجاهات.. البحر والبر والسوق.. حين تسأل أحدهم الى أين؟ يرد مشيراً الى واحد منها.. ربما لا تحتاج الى رده من الاتجاه الذي يسلكه وذلك لصغر المدينة آنذاك. يبقى الموقعان البر والبحر هما المؤثران في حياة جيل أهل الشارقة والخليج.. أين تروح يا رجال؟ أروح البحر.. وأنت يا تباع(٦) أروح البر..

ولكن صدقني.. فحين يجرى التفاضل بين البر والبحر كبيئتين يفوز بحر الشارقة على برها.. ساحل اللآلىء والأصداف.. ساحل الذهب السمكي بمصائده وحبائله من حضور ومساكر وفشوت(٧) ثم نعتوه بالساحل المتصالح.. ثم قالوا عنه اخيراً انه ساحل الذهب الأسود.. ساحل عمان.. ساحل الفينقة والدلمنة، ساحل اليعرية والقوسمة، ساحل ابن العبد وابن المقرب وابن ماجد.. وابن ظاهر.

سألت أبا سيف لماذا تخلى السوق ـ كموقع في اتجاه الناس اليه ـ عن مزاحمة البحر والبر كموقعين أوليين يفضلهما الناس في الشارقة..؟ اجاب لأن عقد الأسواق في الخليج قبل ثلاثة ارباع القرن تخضع لمواسم معينة فهي إما حولية أو اسبوعية أو يومية، تحمل مسميات الأيام كالجمعة والاثنين والخميس.. وحتى هذه الأخيرة إما ان تكون ضحوية أو عصرية، ناهيك بتلك الحراجات(٨)

التي تعقد بين الحين والآخر. لذلك ترى في مجتمع كمجتمع الشارقة آنذاك. انه في بشمة من هذه الأسواق فهو لا يرتادها بنفس القدر، الذي يفعله مع البحر اولا والبر ثانيا.. وخاصة اذا اخذنا في الاعتبار ظروف هذا المجتمع الاقتصادية الصعبة آنذاك.

قليلاً ما كنت يا أخي اذهب الى السوق.. أو قل الأسواق الموسمية.. فحين اشتعلت الحرب العالمية الأولى كنت من الصبيان القلائل الذين يقرأون. ويتخبطون في الكتابة.. وبودي يا أخي ان اريك ما بقي في ذاكرتي من صور عن حياة الشارقة انساناً وبيئة.. وهي لا تختلف عن حياة امارات الساحل.. ولكن هل يكفي ما بقي بذاكرتي من صور لتغطية وصف تلك الفترة ديمغرافياً.. أو حتى انثروبولوجياً عبر مساحة زمنية تغطي اطوار حياتي منذ الطفولة حتى الكهولة التي أمر بها الآن. لكنه من الضرورة بمكان ان أسرد عليك شيئا من معاناتي في التحصيل العلمي آنذاك.. ففي الكتّاب (المطوع) ذقت مثل غيري من صبيان وبنات الشارقة من الضرب بالخيزران والتأديب بالفلقة (الجحيشة) ما لا أحب ان أتذكره.

وخلال الحرب الكونية الأولى التي كنا نسمع عنها كيافعين ولا نعلم عن اخبارها شيئاً.. فتح المحسن علي محمد المحمود مدرسة اسماها (المدرسة التيمية) تيمناً بالإمام ابن تيمية فأدخلت فيها.. هناك وجدت طلابها خليطاً من ابناء امارات الساحل. واني اذكر ان من معلمينا المشايخ عبدالله بن عبدالعزيز السليمان وعبدالكريم البكري، ومحمد بن فيصل المبارك.

كنت أحب الدراسة في التيمية.. فقد كانت بالنسبة لي نقلة من سجن الى حرية، وهي مدرسة لا كمدارسنا الآن.. انها على النمط القديم مشيخي اسلامي.. اذكر من زملائي فيها كثيرين منهم ابناء

الشيخ صاحب المدرسة، وكذلك الشيخ عبدالله محمد الشيبة، والشيخ محمد بن خلف بوخاطر، ومحمد علي الشرفاء، وعبدالله علي القصيمي النجدي، وهو الكاتب المعروف المقيم بالقاهرة، وكذلك عبدالعزيز بن راشد النجدي.

النقلة الى الأثرية

لماذا أقول لك وتقول لي.. ولديك منذ السبعينات.. أهم ما عندي من أوراق ملفي ستجد فيه تقريراً متوسط الحجم عن تاريخ التعليم في قطر كتبته في ستينات هذا القرن.. ستجد في هذا التقرير سرداً موجزاً عن بدايات التعليم القديم والحديث في قطر وعلاقة ذلك بالتعليم في البحرين والخليج العربي. وعلاقة ذلك ايضاً بوصولي الى الدوحة ضمن بعثة التيمية الى الأثرية لتلقّي مزيد من التعليم في حدود عام ١٣٣٤هـ ـ ١٩١٦م.

اذاً، فإن ما اشرت اليه يا أبا سيف في مفتتح تقريرك عن بدايات التعليم في قطر وعلاقتك به كدارس ان هو إلا ملمح اضائي جيد عن بدايات التعليم النظامي الاسلامي قبل ثلاثة ارباع القرن في الخليج حيث اكتشفت فيه تلك النظرة التعاونية الشمولية التي ينظر بها مسؤولو ذلك النظام التعليمي في الخليج.. وكيف كانوا يتعاملون مع الخليج وانسانه كوحدة كاملة لا تجزئة فيها ولا تشتت.. فهاجس التوحد عندهم ليس فيه قولان.

وبالمناسبة وما دمنا يا أبا سيف في سبيل الكشف عن بدايات تلقيك العلم اللدني والدنيوي في الدوحة.. سآتيك بنص ما تحدثت به في تقريرك الموجز عن علاقة المدرسة التيمية في الشارقة والأثرية بالدوحة، وعلاقتك أنت وزملائك من طلاب ساحل عُمان بهاتين المدرستين ورموزهما في المشيخة والتعليم منذ انتقالكم

من الشارقة الى الدوحة لاتمام دراستكم في المدرسة الأثرية.

ولكن لابد قليلاً من وقفة قصيرة معك في تقريرك هذا الذي تسرد فيه بعض حيثيات مهمة عن بدايات نظام التعليم الاسلامي في قطر. وهي حيثيات صادرة من وجهة نظرك أنت حيث مكنك موقعك الطلابي اولاً والتعليمي ثانياً من رصد هذه البدايات حتى ستينات هذا القرن. وهو رصد جاء عن قرب ومعايشة حميمة مع مجريات العملية التعليمية في قطر الى ان انتقلت عام ١٩٥١ الى نظام التعليم الحديث بافتتاح أول مدرسة ابتدائية بالدوحة في ذلك العام.

تقريرك هذا يا أبا سيف صدر عن مبادرة اصيلة ذات قناعة لم يشبها التكليف.. أو يرافقها التوجيه.. وقيمة هذا التقرير تكمن في خلوه من المزايدات أو أدب المديح وتكمن في كونه اصبح مرجعاً أهلياً صادراً عن رجل استاذ عايش العملية التعليمية في قطر سنين طويلة.

تقول في آخر الصفحة الثانية من مخطوط تقريرك هذا وحتى الصفحة الرابعة ما يلي:

النص الأول

.. ومما هو جدير بالذكر مقدم بعثة الطلاب العُمانيين من ساحل عمان، وكان الشيخ محمد المانع قبل مقدمه الى قطر قد اجتمع في البحرين بالمحسن الكبير والوجيه الشهير الشيخ علي بن محمد المحمود رحمه الله والد الاستاذ الشيخ محمد بن علي المحمود، وقرروتعاهد معه على الذهاب الى الشارقة لكي يؤسس له بها مدرسة ويتولى التعليم فيها. وكان الواسطة في هذا الاجتماع والاتفاق والتعاقد المحسن الكبير والتاجر الشهير (مقبل عبدالرحمن الذكير) من اعيان «عنيزة» القصيم بالمملكة العربية

السعودية. وكان المشار اليه يقيم آنذاك في البحرين، فما كاد علي المحمود بعد هذا يطرق سمعه خبر وصول الشيخ محمد المانع الى قطر، واستقراره بها والقائه عصا التسيار له عن الذهاب الى الشارقة حتى فكر وسعى من فوره في تأليف بعثة من خيرة الطلاب وهم من مختلف البلدان الساحلية. وارسالهم الى قطر لكي يتلقوا ويدرسوا العلم على يد الشيخ محمد المانع، وكان قد تكفل بالانفاق عليهم اثناء دراستهم وقيامهم بقطر وفي ذهابهم وايابهم، وكان قد كلف لاستقبالهم في قطر صديقاً له هو الوجيه الكريم الخير (عبدالرحمن بن حسن فخرو) رحمه الله فقام باستقبالهم خير قيام. واحتفى بهم الاحتفاء التام وكانوا يأوون الى مجلسه العامر نهاراً وليلاً لتناول وجبات الطعام، فما كانت البعثة التعليمية العُمانية هذه تصل الى قطر لأول وهلة حتى استقبلها الشيخ محمد المانع وحاكم البلاد والأهلون استقبالاً حافلاً رائعاً. واحتفوا بهم الاحتفاء التام. ومازالوا يوالون الدراسة ويتلقون العلم برغبة صادقة وجد واجتهاد ومثابرة ونشاط حتى نالوا قسطاً وافراً من العلم النافع في العلوم الشرعية وغيرها كالتفسير والحديث والتوحيد والعقيدة والفقه وغيرها من العلوم.

وبفضل وجود الشيخ محمد المانع رحمه الله بقطر عرف الناس التوحيد وما يناقضه، كما عرفوا العقيدة السلفية التي كان عليها السلف الصالح من الرعيل الأول، وميزوا ما يناقضها من عقيدة الأشاعرة والجهمية، كما عرفوا البدع والخرافات والشركيات، واخذوا يحاربونها ويقاومونها ويدعون الناس الى تركها والابتعاد عنها، كما تبين للناس ما للعلم من قيمة وفائدة وما فيه من نور وهدى، وما لحامله «لصاحبه» من ميزة وقدر وشرف وسؤدد.

ظل طلاب البعثة العُمانية يترددون في كل سنة على قطر

لمواصلة دراستهم طوال ست أو سبع سنوات، وعندما يأتي فصل الصيف يذهبون الى اوطانهم لزيارة أهليهم وأقاربهم وجماعتهم ليبقوا هناك شهري الصيف، ثم يعودون الى قطر. وهكذا دواليك. ولقد ادرك طلاب البعثة العُمانية في هذه السنوات القليلة من العلم النافع ما علم به الخاص والعام والقريب. واخذوا ينشرون علمهم في اوطانهم وأهليهم وجماعتهم، فمنهم من باشر التعليم، ومنهم من قام بالوعظ والارشاد، ومنهم من ولِّي القضاء فاستنارت البلاد واستفادت العباد.

استقراء النص الأول

الى هنا واقنع بما اجتزأته من تقريرك عن خط سير بعثة المدرسة التيمية الى المدرسة الأثرية، ولي عودة يا أبا سيف الى الحديث عن بقية تقريرك الذي يغطي مساحة نصف قرن أو أكثر قليلا من تجربتي قطر التعليميتين الأولى والثانية.

لقد سجلت تلك النقلة التعليمية المهمة من الشارقة الى قطر بشيء مجز من التفصيل واطلقت ولم تحدد او تتوسع في بعض حيثياتها المهمة، وخاصة في مفهوم البعثة العُمانية.. فلم تذكر اسماء افرادها.. وقد اسميتها العُمانية وأنت تعني الاماراتية فقد كان غالب طلابها اماراتيين، كما ذكرت في الفترة الاخيرة من مقدمة هذا الفصل. وقد أخذت ايضاً مما رأيت من تعدد مناطق طلاب المدرسة الأثرية.. ولكنك لم تذكر ان بها طلاباً كويتيين أو نجديين، أو بحرينيين مثلا.. مع انه كان بها افراد من اولئك(٩).

وأما ما اوردته يا أبا سيف من أسماء مهمة في الفقرة الأولى من تقريرك ممن كانوا وراء مساندة المدرسة الأثرية مثل الشيخ علي المحمود والشيخ عبدالله بن جاسم الثاني، ومقبل الذكير

وعبدالرحمن بن حسن فخرو، والشيخ محمد عبدالعزيز المانع، ما هم إلا شريحة صغيرة من المنتمين للحركة الاصلاحية في البلاد العربية والاسلامية.. تلك التي كان لرموزها هيل وهيلمان في التضحية بكل نفيس من الوقت والجهد والمال في عملية الاصلاح والتنوير.. وخاصة رموزها في الخليج العربي اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين مثل المجاهد عبدالوهاب الزياني والشيخ يوسف بن عيسى القناعي، والشيخ المؤرخ عبدالعزيز الرشيد.. وامثالهم كثر في هذا المجال، ولا شك ان صاحب المدرسة الأثرية الشيخ المانع كان من أبرزهم في هذا المجال.

ولقد سجلت في بحثي الموسع عنه قبل عقدين من الزمان بعنوان: «ابن مانع بين الخليج والجزيرة العربية»، ما لم يسجل عنه ربما في بحوث اخرى.. وخاصة فيما يتعلق بقدومه الى البحرين من نجد في حدود عام ١٩١٠ وتأسيسه بدعم وتوجيه من المحسن مقبل الذكير للنادي الاسلامي بالمنامة والمدرسة الملحقة به.

فما هي طبيعة العلاقة العملية بين من ذكرنا من رموز الاصلاحيين في الخليج العربي، وخاصة بين ابن مانع وابن الذكير.. ومن أجل توضيح مفهوم تلك العلاقة يحسن بنا الرجوع الى الصفحة ١١ و١٢ من كتابي «الكتابات الأولى الحديثة لمثقفي البحرين» حيث قلت بايجاز؛ بدءاً من الفقرة الثانية ذات الحديث الذي يتعلق برسالة الشيخ المجاهد عبدالوهاب الزياني اليك يا أبا سيف، والقول كالتالي كما جاء في الكتابات الأولى الحديثة:

وهنا لا بد من وقفة نرصد فيها ذلك الدور العلمي الفاعل الذي قام به مرب فاضل كان قد تتلمذ عليه اولئك الفتية من شباب الامارات العربية المتحدة في الخليج قبل ثلاثة ارباع القرن، انه العلامة محمد بن عبدالعزيز المانع ذو الدور المرموق الذي قام به

في نشر العلم في البحرين وقطر، لقد كانت له في المنامة التي وطىء ارضها كأول مدينة خليجية مدرسة كبيرة لنشر العلوم الاسلامية.

وقصة هذه المدرسة تبدأ حينما تنادى بعض تجار البحرين الى تأسيس ناد عام ١٩١٠ دعوه بـ «النادي الاسلامي» فأسسوه وجعلوا مقره بيتاً بالناحية القريبة من حي الفاضل بالمنامة، بعد أشهر من ذلك قدم الشيخ محمد بن عبدالعزيز المانع من بغداد في زيارة للبحرين، فالتقى به الشيخ مقبل عبدالرحمن الذكير، وهو من أعمدة النادي الاسلامي حديث التكوين، فعرض عليه البقاء في المنامة، وان يجعل له بها مدرسة للتعليم الاسلامي تكون ملحقة بالنادي الاسلامي فاقتنع الشيخ المانع بذلك. إذ وجدها فرصة سانحة ان تكون له مدرسة يختص بها في تدريس العلوم الاسلامية بطريقة منتظمة، فهو سيصبح مدرساً بعد ان كان دارساً لدى الشيخ الألوسي في بغداد.

وبذلك ودع الشيخ المانع عهد التلمذة الطويل بين نجد والعراق واستقر في المنامة يدرس لشباب النادي الاسلامي جل العلوم الاسلامية.

وحين رحل من البحرين الى قطر بطلب من حاكمها الشيخ عبدالله بن جاسم الثاني أقام في الدوحة مدرسة دينية علمية استقبلت فيما بعد طلاباً من مدرسة علي المحمود بالشارقة ليكملوا دراستهم فيها، وقد كان من ضمنهم الشاب مبارك بن سيف الناخي(١٠).

هذا يا أبا سيف أهم شيء عن علاقة الذكير بالمانع قبل ما يربو على اربعة اعوام من نزوح المانع من البحرين الى قطر. وما ذكرته

في تقريرك من لقائه بالشيخ علي المحمود في البحرين آنذاك يعد اضافة تعزيزية للقاءات الحميمة بين رموز الاصلاحيين في الخليج ما يقارب قرناً من الزمان. غير ان ما هو أكبر وأوسع من العمل الاصلاحي الجاد ـ الذي جاءت تلك العلاقة المتينة بسببه بين الرجلين ـ هو تآلف وتنادي تلك الرموز للوقوف أمام موجة التنصير الموجهة الى الخليج التي وجدوا أنفسهم معها وجهاً لوجه.. فبلوروا هذا التآلف والتنادي الى عمل اسلامي لمحاولة وقف تلك الموجة التنصيرية ـ الأولى آنذاك ـ وتجنيب الخليج محاولة تنصير أهله من قبل المنصرين البروتستانت والكاثوليك الذين جعلوا من البحرين منطلقه الأساسي.

وحين هبوا لمواجهة هذا الغزو التنصيري لم يكن مطروحاً وميسراً أمام تفكيرهم سوى اقامة مشاريع تعليمية. فقاموا يؤسسون المدارس من مدينة الزبير والكويت شمالاً الى عُمان جنوباً مروراً بالبحرين وقطر والامارات العربية المتحدة الآن. وقد نجحوا في ذلك كما أسلفنا سواء ما جاء بعضه في مقدمة هذا الكتاب أو ما أثريته بحثاً وتحقيقاً في «الكتابات الأولى الحديثة» أو في «القاضي الرئيس ابن مهزع».

كذلك فإن دور هؤلاء الرموز الاصلاحيين كان تأسيسياً في اقامة المؤسسات الثقافية الأولى في الخليج العربي كالجمعية الخيرية في الكويت ١٩١٣ ـ ١٩٢٢ ونادي اقبال اوال في البحرين ١٩١٣ ـ ١٩١٤، ونادي عُمان بمسقط ١٩٢٦. وما استجد من تأسيس بمثل هذه المؤسسات التنويرية خلال الثلث الأول من القرن العشرين.

مآخذ اصلاحية

وانه وكنتيجة طبيعة لمعاناتي في سبر غور الحركة الاصلاحية الاسلامية في الخليج والجزيرة العربية وما اكتشفته بها من هنات.. ربما ليست هيّنات نتيجة مرافقتها دراسة وتحقيقاً منذ ستينات هذا القرن، وفيما كتبته عنها في سلسلة كتبي «اعلام الخليج العربي» و«دراسات خليجية». فإنه لابد هنا من وقفة تقييمية لفك رموزها، وخاصة فيما يتعلق بمجال العمل الاصلاحي ككل. فمع استشراء الهجمة التنصيرية في ديارهم الخليجية، وما أبصروه وعاشوه من منجزات حضارية آنذاك سواء في الهند ـ سوقهم التجاري الأول ـ وما رافق تلك الفترة من ظهور بعض التشرذم المذهبي عند بعض الشرائح السكانية في الخليج. وما أفرزته تلك الظواهر من تحد عند اولئك الرموز الاصلاحيين.. الذي انتج ـ كما اسلفنا ـ مشاريع تنويرية في التعليم والتثقيف فقط.. فإن مدارك هذا الفكر الاصلاحي اصابها قصور عن استشراف المستقبل من اجل التأسيس الاصلاحي المتكامل لمستقبل شعب الخليج والجزيرة العربية، فقد بدأ اصحاب ذلك الفكر وكأنهم لم يدركوا وهم يرون المنصرين البروتستانت والكاثوليك يقيمون عياداتهم الطبية في الخليج العربي.. ثم يدعون انها مستشفيات مع ان اكثرها لا يرقى ـ في المسميات الطبية ـ الى صفة مستوصفات وكان اصحابها مستعدين ان يسموا الأشياء بغير اسمائها.. فقد كانوا يأتون بممرضين وممرضات تنصيريين ويسمونهم «دكاترة» اطباء يقومون بالتدرب في اجساد المرضى المحليين دون وازع ولا مراقبة.. بل وصل الحال بعميد التنصير في الخليج والبلاد العربية ان يسمي نفسه الدكتور صموئيل زويمر بينما هو لا يتعدى خريجاً

من كلية اللاهوت في نيوجيرسي بأمريكا.. كان المنصرون يفعلون ذلك تحايلاً واستخفافاً بالمدارك العقلية لعرب الخليج آنذاك، فأين دور هؤلاء المنصرين المطببين في كوارث الاوبئة التي أصابت الخليجيين.

في المقابل لم يكن في حسبان اولئك الاصلاحيين في الخليج ادراك ذلك الدور الذي تقوم به العملية الصحية في إسعاد مواطنيهم بخلق البديل الاصلاحي في الاستشفاء والتثقيف الصحي لمحاولة صرف اولئك المواطنين عن التعرض للتأثير التنصيري. فقد كان في حول وطول أثرياء الخليج.. أثرياء اللؤلؤ والاصداف.. الذين كانت أميرات العالم وحسانه، وملوكه وملكاته، ومهراجاته يطوقون اعناقهم بكرائم لآلىء اولئك الأثرياء.. عقوداً واطواقاً.

كان في حول وطول اثرياء الخليج العربي الاصلاحيين ومكاتبهم التجارية تنتشر في الهند واوروبا. بلجيكا وهولندا وباريس ان يقيموا العيادات والمستوصفات.. بل والمستشفيات بعد ذلك، فالمشتغلون بالخدمات الصحية في العالم، وخاصة بعد الحرب الكونية الأولى من اطباء وممرضين موجودون في الهند ولبنان ومصر، وتركيا، كما كان يمكن استجلابهم من اوروبا.. وقد لا يكون المرؤ مجحفاً عند الضرورة اذا قلنا انه كان يمكن ان يندرج نظام العمل الصحي في الخليج آنذاك ضمن قائمة الأعمال ذات المردود المادي.. في حالة عجز الأثرياء الاصلاحيين في الخليج ان يجعلوه خيرياً كما كان يفعل المنصرون آنذاك.

لا أخفي عليك يا أبا سيف فإني قد حصرت بصورة مبدئية عدداً من اولئك الأثرياء الخليجيين آنذاك فوجدتهم عشرات.. وكلهم كانوا قادرين تعاونياً ـ كما فعلوا وابدعوا في الجانب التعاوني والتعليمي

والخيري - على ان يكملوا اصلاحاتهم بتقديم الخدمات الصحية والخدمية لمواطنيهم.. كان من اولئك العشرات مثل الشيخ قاسم بن محمد الثاني، ويوسف بن أحمد كانو، وعلي ابراهيم الزياني، ومقبل الذكير، ويوسف الإبراهيم، وأحمد بن دلموك، ومحمد السديراوي، ومحمد الفيحاني وآخرين. هذا اذا ضربنا صفحاً عن غنى وسطوة امراء الخليج آنذاك تلك التي كان يمكن ان تفرز المشاريع الصحية والخدمية.. ولكن اصلاحيي الخليج نهاية القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين انتظروا حتى اتاهم المنصرون ليطببوهم.. هم وابناءهم ونساءهم وليحاولوا تنصيرهم جميعا.. وانشغل أكثر هؤلاء الاصلاحيين بالخلافات المذهبية في الخليج والجزيرة العربية ولولا قوة العقيدة في الخليج والجزيرة العربية وجهود نخبة من الاصلاحيين الواعين فيه في تعزيزها كما اسلفنا لأوذي الخليجيون في عقيدتهم الاسلامية.

شيء عن رصد الناخي للتعليم في قطر

بعد تطوافنا حول حركة وموقع الشيخ الاصلاحي محمد بن عبدالعزيز المانع وزملائه في العمل الاصلاحي في الخليج.. ما لهم وبعض ما عليهم.. نصل معك يا أبا سيف عبر تقريرك عن التعليم في قطر قبل نصف قرن الى محاولة الكشف عن كيفية مواصلتك التعليم في قطر وتكملته.. فأنت لم تفصح ولم تشر ابداً - في التقرير - الى وجودك ضمن البعثة العُمانية - كما اسميتها - تلك التي جاءت من المدرسة التيمية في الشارقة الى المدرسة الأثرية في الدوحة بتمويل من صاحب التيمية ولكنك قلت لي، وعزز هذا القول آخرون انك درست في التيمية وانتقلت منها الى الأثرية في قطر.. وسجلت أنا عنك بالتفصيل في أحد لقاءاتنا في الشارقة ابان سبعينات هذا القرن ووثقت ذلك في كتابي «الكتابات الأولى الحديثة» - ١٩٧٨، وما طبقته على نفسك يا أبا سيف من عدم الذكر في قائمة اسماء البعثة .. طبقته على بقية افراد البعثة، ربما اخذت بالايجاز في كتابة التقرير فأغفلت ذكر اسماء البعثة. ولكن غالب هذه الأسماء كانت معروفة، وهي تكاد تكون نفس الشريحة التي زاملتك اثناء دراستك في التيمية كما هو معروف عند أكثر المعمرين ليس في الشارقة فحسب، بل في قطر والبحرين.

وفيما ذكرت بالتفصيل يا أبا سيف عن نظام حياة ودراسة افراد البعثة التيمية في الدوحة.. وكيف استقبلوا في قطر وعاشوا فيها سنوات دراسية عددها بين ٦ و٧ حتى تمكنوا من الحصول

على اجازاتهم العلمية من المدرسة الأثرية.. أو بالأحرى من شيخها ابن مانع، ورحل أكثرهم كل الى بلده في الخليج. ولم تذكر يا أبا سيف شيئاً مجزياً عن المدرسة الأثرية.. حياتها.. بقائها وانتهائها.. ربما لم يدر بخلدك انه من الممكن ان تكون شاهد عصر سجل في ستينات القرن العشرين تقريراً متوسطاً عن تاريخ التعليم في قطر.. تقريراً لا أعلم هل جاء بتكليف من وزارة التربية آنذاك في قطر أم لا؟ إنما ما أعلمه من استقرائي له انه صادر عن قناعة وإطلاع، وان صاحبه كشاهد عصر لم يلتفت فيه الى رصد وتسجيل الحياة القطرية بألوانها المختلفة من ديمغرافية وانثروبولوجية واقتصادية، فهو عاش الحياة القطرية يافعاً وشاباً وكهلاً وطالباً ومدرساً.. ولكنه اقتصر في شهادته على تسجيل ما يهمه هو أو بعضه، وكان من ذلك البعض تاريخ التعليم في قطر ربما كنت يا أبا سيف من الآخذين بخبرة ذوي الاختصاص في كتابة تقريرك.. وهذا ما أقرك عليه.

ان تقريرك هذا الذي يغطي اكثر من نصف قرن من تاريخ التعليم في قطر هو بعض ما كنا نفتقر اليه من معلومات في مجال ما جاء به التقرير.

وحين أخذت يا أبا سيف - في تحليل ما سجلته في تقريرك وجدتك قد مارست فيه اعطاء بيانات تفصيلية كافية من خلال فقرات سردية لم تخرج عن قاعدة الكتابة التاريخية.

وبنظرة شاملة لصفحات التقرير الخمس وجدتك واعياً بأخذك بالتسلسل التاريخي خلال القاء نظرة عامة على منهج المرحلة الأولى من مراحل التعليم الاهلي الاسلامي في الخليج والجزيرة العربية.. كان ذلك في مقدمة تقريرك التي قلت فيها:

النص الثاني

«كان التعليم في قطر قبل خمسين سنة كما هو في سائر بلاد الخليج كالكويت والبحرين وبلدان ساحل عُمان وحتى المملكة العربية السعودية..».

ثم اعطيت تفصيلاً موجزاً عن منهج المرحلة الأولى في ذلك النظام.. الذي بدأ يتقلص كنظام تعليمي اسلامي في الخليج بدءاً من نهاية النصف الأول من القرن العشرين. وهو ما كانت مرحلته تدعى بالكتّاب (المطوع). ثم اضفت يا أبا سيف صفة المدارس على تلك الكتاتيب وبذلك انفردت وحدك - فما اعلم - بين من كتبوا عن هذه المرحلة من ذلك التعليم الاسلامي باطلاق اسم المدارس على تلك الكتاتيب.. فقلت بشيء من التفصيل:

النص الثالث

ففي كل بلد عدة مدارس منها ما هي للبنين ومنها ما هي للبنات. أما مدارس البنين فيدرس فيها القرآن الكريم.. والأصول الثلاثة وأدلتها، ويليها شروط الصلاة وواجباتها واركانها والقواعد الأربع، كما يعلم فيها الخط «الكتابة» والعمليات الأربع ويراد بها (الجمع والطرح والضرب والقسمة).

وأما مدارس البنات فيدرس فيها القرآن الكريم والأصول الثلاثة، وشروط الصلاة، وواجباتها واركانها والقواعد الأربع فحسب، ويطلقون على المدرس الذي يدرس بهذه المدارس اسم «مطوع» أو «معلم»، كما يطلقون على المدرسة اسم «مطوعة» أو «معلمة».

ذلك كان نص الفقرة الأولى من تقريرك يا أبا سيف.. ثم قمت

فيه بنقلة ترتيبية الى ما يشبه منهج المرحلة الثانية في نظام التعليم الاسلامي.. فقلت: في الفقرة الثانية.

كما يوجد في كل بلد من مشايخ العلم المتضلعين في العلوم الشرعية، كالتفسير والحديث، والفقه والفرائض، وغيرها من العلوم كالنحو والصرف. وهؤلاء المشايخ لهم حلق للتدريس، إما في مسجد من المساجد أو في بيوتهم. والطلاب الذين يدرسون عليهم تتراوح اعمارهم من سن الخمس عشرة سنة الى ثلاثين سنة.

استقراء النصين (٢ و٣)

بعد هذا التفصيل الموجز منك - يا أبا سيف - لمنهج المرحلة الثانية للتعليم الأهلي الاسلامي في الخليج العربي أنذاك وهي مرحلة تعليمية يمكن ان تشمل منهجين هما الثاني والثالث فيه.. وعلى ذكر مراحل هذا التعليم يمكن تصويب ما فصلته عنها من ادراجك دروس منهج المرحلة الثانية ضمن منهج المرحلة الأولى.. التي هي مرحلة التعلم في الكتاتيب تلك التي اطلقت عليها صفة مدارس، واسميت المعلم فيها مطوعاً. وهو رأي فيه تباين واضح.. فإن مطوع الكتّاب كما هو معروف في الخليج والجزيرة العربية، وكما شاهدناه وألفناه كان يختص بتعليم الصغار القرآن الكريم تلاوة.. وربما حفظاً، ان كان المطوع كفؤاً لذلك ويقوم ايضاً بتعليمهم كيفية الطهارة والغسل واسباغ الوضوء. ثم تنتهي مهمته على أكثر تقدير بتسليم الصغار الى ذويهم اذا ما ختموا القرآن الكريم تلاوة واستظهارا شكلياً(١١).

لقد وهن هذا المنهج الكتابي وهناً شديداً وأصبح غير عملي لضعف حصيلة معلميه «مطاوعته» العلمية فكان أول ما اختفى من مناهج التعليم الاسلامي.. فقد وصل الحال بأكثر «مطاوعته» انهم

لا يحسنون تلاوة القرآن.. وقد لا يحسن أكثرهم القراءة فضلا عن الكتابة.. وانه كان من المألوف ان مطاوعة القرون المتأخرة كانوا يتخذون من تعليم القرآن الكريم للصبيان مهنة للعيش. وان لم يكونوا من أهلها.

وهنا لابد من وقفة قصيرة لمحاولة معرفة المزيد من اسباب تدهور ذلك المنهج الكتابي واختفائه.. ويمكن القول ان في مناهج مراكز تحفيظ القرآن الحالية ما يغني عنه. كذلك فإن من أسباب تدهور ذلك المنهج ما أصابه من تضعضع أسلوب التلاوة عند مطاوعته، فأكثرهم كانوا جهلة بالتجويد وبمخارج الحروف، وبعضهم كان لا يحسن العربية اصلاً ثم يتصدر لتعليم ابناء عرب الخليج القرآن الكريم حتى وصل الحال ببعضهم ان يدربوا الصغار على تلاوته بلكنتهم غير العربية.. وربما بألحان تحمل طابعاً فولكلورياً لبلدانهم البعيدة بُعد مسافة وعادات وتقاليد.

لقد كان من أهم ما تميز به ذلك المنهج الكتابي في التعليم الاسلامي هو قاعدة التهجي الأولى التي تتسبب في تدريب الطفل على تهجي الكلمات وتقويم لسانه.

ويبقى في نهاية مداخلتي الأخيرة معك يا أبا سيف ان أعود الى تعريفك بمدارس التعليم الأهلي الاسلامي في بلاد الخليج العربي، وما تدرسه من منهج أول مواده دراسة القرآن الكريم، لاجدك قد احكمت التعريف بسبب ان مواد هذا المنهج الذي كان مطبقاً في الخليج والجزيرة العربية لا تقوم به في غالب الأحيان إلا مدارس خصصها مؤسسوها المحسنون لتدريس اضافة الى - القرآن الكريم - مواد اخرى كالتفسير والحديث والفقه والفرائض والنحو والصرف.. لا لتحفيظ القرآن حتى يختمه الصبي تلاوة، وربما حفظاً فحسب كما تفعل الكتاتيب القديمة.

ان هذه المدارس كما وصفتها وقدرت أعمار الطلاب المنتسبين اليها بين الـ ١٥ الى ٣٠ سنة تعد مرحلة ثانية، وربما ثالثة كما ذكرنا سلفاً في الحديث عن مراحل التعليم الاسلامي الأهلي في الخليج. هذه المدارس لها نظامها ـ كما سنتكلم عنه لاحقاً ـ ولها مشايخها المعتمدون الذين يطبقون في تدريسهم ـ آنذاك ـ ما يشبه التخصص الحديث في تطبيق مناهج التعليم الحديث، ولقد ابصرت عن كثب في خمسينات هذا القرن عدداً من هذه المدارس بمبانيها الخاصة.. والتي كان لكل واحدة منها شيخها المعتمد الدؤوب في نشاطه التعليمي.. هذا الشيخ الذي كان كثيراً ما يقوم بالتنقل من مدرسة الى أخرى مثلها لاعطاء دروس أخرى.. أو من مسجد الى آخر مكرراً نفس العملية.

ان هؤلاء المشايخ هم الذين كان يحق للمبرزين منهم منح الاجازات العلمية لطلابهم في مواد التعليم الاسلامي، ان ما يميز هؤلاء المشايخ بغض النظر عن مستوياتهم العلمية، وكذلك كل العاملين في نظام التعليم الاسلامي هو تلك السلوكيات العلمية الرفيعة في طلب العلم والمعرفة، حيث لا تمايز لأحد منهم على الآخر ـ لا سناً ولا درجة علمية ـ في طلب المزيد من العلم اللدني والدنيوي، فتراهم في ذلك بأخذ شيوخهم عن كهولهم.. وكهولهم عن شبابهم. ان ما يميز هذا النظام التعليمي عن أنظمة التعليم الحديث كونه عملية تطوعية خيرية هدفها الأول هي والقائمون عليها آنذاك هو رضا الله واسعاد الانسانية.

هذه مداخلة موجزة معك يا أبا سيف.. وإلا فإن الحديث يطول عن نظام التدريس في نظام التعليم الاسلامي الذي أبصرنا بعض مدارسه ذات المباني الخاصة التي مازال بعضها قائماً الى اليوم.. وان لها من الوثائق والحجج ما يثبت وجودها ونشاطها، وكان لها من الاوقاف والحبوس العقارية والزراعية ريوعاً تعتمد عليها في تأدية رسالتها العلمية.

بدايات التعليم في قطر

واخيراً، نصل معك يا أبا سيف عبر تقريرك الرصدي عن بدايات مرحلة نظام التعليم الحديث في قطر الى فقراته الأربع الأخيرة.. والتي رصدت في خطابك عنها - رصداً تقريرياً - مساحة ما يقارب مفتتح سبعينات القرن العشرين.. ولقد استخدمنا المقاربة والتخمين لمحاولة حصر المساحة الزمنية للفترة التي تحدثت عنها بسبب ان تقريرك الذي قدمته الى عام ١٩٧٥ كان غُفلاً من التاريخ مع انه بخط يدك وفي نسخته الأصلية.. فدعني أطالع معك تلك الفقرات الأربع الأخيرة من تقريرك التعليمي قلت:

النص الرابع

ثم نعود فنتكلم عن التعليم في قطر منذ خمس وعشرين سنة، وفي سنة ١٣٦٦هـ قدم الى قطر الشيخ محمد بن علي المحمود بقصد ان يفتح مدرسة بقطر على الطريقة الحديثة ويتولى التعليم فيها، وما كاد يصل قطر حتى سعى في فتح مدرسة سماها «المدرسة الحمدية» وهي في عهد حاكم قطر الشيخ حمد بن عبدالله الثاني رحمه الله.

وفي سنة ١٣٦٩ بدأ المسؤولون في قطر يفكرون في فتح مدرسة حكومية تضم جميع الطلاب الذين بالدوحة وبالفعل فتحوا مدرسة ابتدائية، وذلك في سنة ١٣٧٠.

وفي سنة ١٣٧١ بدأت الحكومة تتوسع في مضمار العلم والتعليم شيئاً فشيئاً الى ان شكلت وزارة المعارف بصورة رسمية. وما زالت قطر منذ ان أسست فيها وزارة المعارف بصورة رسمية

تسير نحو العلم والتعليم ونشر الثقافة، والشؤون التربوية بخطوات واسعة حثيثة مما هي عليه الآن من التقدم والازدهار الملموس في جميع المجالات حتى اعترف بها رسمياً. كما انها انضمت الى منظمة اليونسكو في عام ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢ واصبح لها كيان مرموق بين الأمم، ولم تقتصر قطر على بث العلم والتعليم ونشر الثقافة في ربوعها فحسب، بل ساهمت في نشر التعليم نحو جاراتها الشقيقة من بلدان ساحل عُمان فأسست لها مكتباً واطلقت عليه (مكتب بعثات قطر التعليمية بساحل عُمان). وجعلت مركزه بدبي وذلك في عام ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م فأخذ في تأدية مهمته والقيام بواجبه خير قيام، وان لقطر فضلاً كبيراً وأيادي كثيرة نحو جاراتها الشقيقة، هذه النهضة العلمية اليوم التي بارك الله خطاها، يرجع الفضل فيها للمسؤولين من حاكم البلاد المفدى الشيخ أحمد بن علي الثاني، وولي عهده ونائبه المحبوب الشيخ خليفة بن حمد الثاني. وسمو وزير المعارف الشيخ قاسم بن حمد الثاني، ومن يليهم من المسؤولين الذين يواصلون عمل النهار بالليل ويكرسون أوقاتهم، ويبذلون جهودهم للسير بالمعارف الى المستوى الرفيع والهدف السامي لتؤدي رسالتها بصدق واخلاص وهمة ونشاط.

وان الأمل من الله وطيد ان نرى لهذه الدولة الفتية عزاً مطرداً وتوفيقاً باهراً، وان نرى شعاع العلم ينبثق منها في ربوعها، ونحو جاراتها، وما هو إلا بالتعاون والاخلاص والعمل المتواصل، وبالعلم ولا شك ترتقي البلاد وتزدهر وتسعد العباد.

واذا عمت المعارف قوماً قل فيهم من الزمان الشرور

استقراء النص الرابع

تلك أبا سيف نصوص الفقرات الأربع الأخيرة من تقريرك غير المؤرخ عن التعليم في قطر. فبعد ان اشرت فيه الى تلك الفوائد الجمة التي نالها طلاب ساحل عُمان - كما تسمي طلاب الامارات آنذاك - الذين انتهت دراستهم بالمدرسة الأثرية بقطر قرابة عام ١٣٤١هـ - ١٩٢٢م على اعتبار ان مجيء الشيخ محمد عبدالعزيز المانع الى قطر كان عام ١٣٣٣هـ - ١٩١٥، فماذا كان - يا أبا سيف - من أمر التعليم فيها ما بين منتصف عشرينات القرن العشرين ومنتصف اربعيناته على اعتبار ان الشيخ ابن مانع قد غادر قطر في حدود عام ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م الى المملكة العربية السعودية.. ربما نهائياً.. تلك الفترة التي تقدر بعشرين عاماً تمتد بين تخرج افراد بعثة المدرسة التيمية، من المدرسة الأثرية، ومجيء الشيخ محمد علي المحمود الى قطر وافتتاحه المدرسة الحمدية بالدوحة عام ١٣٦٦هـ - ١٩٤٨م التي كان قد اشار اليها في شهادته عن مدرسة الاصلاح بالشارقة مروراً بعام ١٣٥٨ - ١٩٣٩ الذي ترك فيه ابن مانع قطر..؟

لم تبن يا أبا سيف في تقريرك عن مسار التعليم في قطر خلال العقدين من السنين الواقعة بين منتصف عشرينات هذا القرن واربعيناته، وسكت عن تلك الفترة وتجاوزتها الى عام ١٩٤٨ حيث افتتحت المدرسة الحمدية في الدوحة فلابد ان ما سكت عنه من فترة كانت لا تهمك.. وانت المسكون بهموم التعليم لا في قطر فحسب وانما في الخليج كله.. لا ريب انه قد لا يكون هناك شأن للتعليم في قطر في تلك الفترة.. ولو كان له ذلك الشأن الذي يهمك لذكرته.. ولما تجاوزته.. في موقع كنت قد تلقيت التعليم المدرسي

فيه وتخرجت منه معلماً متنوراً.. ثم ما عتمت بعد ذلك ان اعطيته عصارة فكرك التربوي حتى نهاية مطافك مع العملية التعليمية والتربوية القطرية الراشدتين آنذاك دينياً ودنيوياً.

لقد ذكرت أبا سيف في أول فقرة من الفقرات الأربع في تقريرك الأخير شيئاً غير مجز عن قدوم الاستاذ محمد علي المحمود الى قطر عام ١٣٦٦ ـ ١٩٤٨ وتأسيسه للمدرسة الحمدية، ولم تعطنا شيئا مجزياً عن نشأتها ونظامها التعليمي.. ولا عن القائمين بعملية التدريس فيها. ثم ما كان من توقفها أو قل بمحور حياتها، أي بمعنى آخر انه ربما انتقل أمرها مكاناً ونشاطاً الى المدرسة الابتدائية الأولى في قطر التي أسستها حكومتها عام ١٩٥١ كما ذكرت ذلك يا أبا سيف في الفقرة الثانية من فقرات تقريرك الأربع الأخيرة.

وهنا لابد من الاشارة. الى انه لا أنت ولا مؤسس المدرسة الحمدية في الدوحة اعطيانا ذلك الشيء المجزي عن حياة ونشاط هذه المدرسة. وكل ما ذكره الاستاذ محمد المحمود عنها، وضمن شهادته عن مدرسة الاصلاح بالشارقة.. انه بناء على دعوة كريمة من حاكم قطر ـ آنذاك ـ الشيخ حمد بن عبدالله الثاني له بالقدوم الى قطر لتأسيس مدرسة فيها قام بتنفيذ ذلك، وانه كان مديرها. وكان معه اثنان من المدرسين لمعاونته في التدريس وقد ذكر اسميهما.

نخرج من ذلك يا أبا سيف.. الى انك والاستاذ محمد المحمود وقعتما عفوياً في عدم الحرص على محاولة تزويد الأجيال الحاضرة واللاحقة بجرعات مجزية من تاريخ التعليم في قطر وبالتالي في الخليج ذلك الذي أسهمتم انتم في عملياته، وهو بعض ما يفتقر اليه الباحثون اليوم ـ وربما غداً ـ من التاريخ التعليمي والثقافي في الخليج العربي.

تلك وقفة في ثلاث فقرات ماضية عن المدرسة الحمدية في قطر،

فكيف كان الوضع التعليمي في قطر ابان تأسيس المدرسة الابتدائية الأولى فيها عام ١٩٥١ تلك التي كانت للذكور فقط.. ولست هنا معنياً بالحديث عن تاريخ التعليم في قطر.. ما أنا معني به يا أبا سيف. هو ما جاء في تقريرك فقط عن ذلك التاريخ، فقد كنت كريماً إذ اعطيتني شيئاً مما كنت أود الحصول عليه عبر تقريرك عن الوضع التعليمي في قطر ابان تأسيس نظام التعليم الحديث فيها.. فقد اشرت الى ان حكومة قطر بدأت شيئاً فشيئاً تتوسع في مضمار العلم والتعليم.. بعد ان تشكلت وزارة التربية والتعليم فيها.. تلك التي لم تذكر سنة تأسيسها.. ثم ما ذكرته بعد - في تقريرك - وبصورة موجزة من اهتمام الوزارة بنشر العلم والمعرفة .. ما كنت اتمنى عليك يا أبا سيف هو ان تعطي فذلكة موسعة عن ذلك العلم والتعليم في قطر، فقد كانت تلك الفترة وما بعدها من ستينات هذا القرن بداية فترة تعليمية وثقافية مزدهرة فقد اكتملت البنية الأساسية للتعليم والثقافة والاجتماع فكثرت المدارس بجميع مراحلها، فظهرت الصحف والاندية وكذلك المكتبة العامة، وتضاعفت المكتبات التجارية وبدأ الاعلام القطري المسموع والمطبوع يظهر بنشاطه المتميز.. ثم ما كان من تلك الظاهرة التاريخية التعليمية المتميزة في مجال تعليم البنات.. في الخليج فبينما تأخر نظام هذا التعليم بحوالي ربع قرن عن تعليم الذكور في الكويت فظهر عام ١٩٣٧ وتسع سنوات عن تعليم الذكور في البحرين وظهر عام ١٩٢٨ .. نجد انه لم يتأخر في قطر سوى سنتين عن اللحاق بتعليم الذكور لا بل انه في الامارات العربية المتحدة كان مرافقاً في المساحة الزمنية لتعليم الذكور.

واستمر معك يا أبا سيف في استقراء الفقرة الثالثة من آخر فقرات تقريرك عن التعليم في قطر منذ نصف قرن لأجدك بعد ان

تذكر باهتمام انضمام قطر الى منظمة اليونسكو عام ١٩٦٢ تدخل في التركيز على دور قطر التعليمي بالنسبة للامارات العربية المتحدة، وعُمان، وهو دور ليس فيه قولان من حيث جودة الوعي التعليمي باعتبار كل الخليجيين بالسواء هدفاً لاستفادتهم من العملية التعليمية القطرية.. وهو دور يتسم بنظرة استشرافية مستقبلية لصالح الخليجيين.. مشابهة وبصورة ربما اقل من دور الكويت، وأوسع من دور البحرين في تلك الفترة.

لقد كانت الأدوار التعليمية تتناوب بين امارات الخليج منذ نشأة نظام التعليم الحديث في الخليج العربي ابتداء من ظهور المدرسة المباركية في الكويت عام ١٩١١ فقد بدأت الأدوار بالتتابع ابتداء من البحرين ثم الكويت فقطر فالامارات العربية المتحدة. ولست هنا معنياً بتفصيل ذلك.. ويمكن لأي باحث في هذا المجال العثور على شواهد عن هذه الأدوار التعليمية المتبادلة في مظانها بوزارات التربية والتعليم بدول الخليج وبالرجوع ايضا الى ما كتب عن نظام التعليم الحديث بمنطقة الخليج والجزيرة العربية.

ونصل معك يا أبا سيف الى الفقرة الأخيرة من تقريرك (التعليم في قطر منذ نصف قرن) لنجدك تزجي الأمل الكبير والوطيد في ان ترى دولة قطر في عز مطّرد وتوفيق باهر.. وما تتمناه من ان ترى شعاع العلم ينبثق منها ويفيض على جاراتها.. في ذروة من التعاون باخلاص متواصل.. ولقد تحققت في ذلك أكثر أمنياتك لقطر والخليج العربي وعشت لترى تلك الأمنيات وقد تحققت بأكثر مما كنت تتصور .. لقد كان هاجسك الأول نشر العلم والمعرفة ففيهما ترتقي البلاد وتسعد العباد وتوكيداً لهاجسك هذا ختمت تقريرك بالبيت التالي:

واذا عمت المعارف قوماً   قل فيهم مع الزمان الشرور

١- جنى يجني المحصول «جمعه» والمتجني كلمة دارجة عند المشتغلين بجني اللؤلؤ في الخليج العربي حيث يذهب بعضهم يومياً بقواربهم الصغيرة الى مشارف عمق مغاصات اللؤلؤ القريبة من الساحل.. تلك التي دائماً ما تكون ضحلة ليغوصوا لجني محار اللؤلؤ ثم يعودوا به الى بلدتهم.

٢ - مخاشر/ جمع مخشر وهي بقايا محار ضعيف يجمعه (المتجنون).. ويحصلون عليه ككم مهمل - من نواخذة الغوص ليبيعوه بنقود قليلة يعتاشون منها.

٣ - المبارون/ جمع مباري، وهو في عرف المشتغلين بصيد السمك، صاحب حضرة السمك أو الضامن لها، وهو الوحيد أو من ينوب عنه الذي يحق له جمع السمك.. والحضور/ جمع حضرة: وهي فخاخ وأحابيل تبنى في ضحل البحر من جريد النخل بأن تغرز الجريد في صفوف بقاعه فيدخل بها السمك في حالة المد فلا يستطيع الخروج منها في حالة الجزر، وهي في الغالب مستطيلة الشكل، أما الآن فتبنى بشباك حديدية أو بلاستيكية.

٤ - والمساكر/ جمع مسكر وهي أحابيل شبيهة بالحضور.. ولكنها تبنى بحجارة صغيرة في السواحل القريبة جداً من اليابسة ومخصصة لصيد الاسماك الصغيرة جدا، وهي نادرة الوجود الآن.

٥ - تعاقب الاستاذ مبارك سيف الناخي على معلمين (مطوعين) اثنين.. واحد بعد الآخر هما: الشيخ محمد جاسم الجروان والشيخ صالح بن محمد الخليف وهو من علماء نجد.

٦ - التبّاع/ مفرد تبابيع/ وهو يعد الثاني في مهنته بعد الحمّار الذي دائماً ما يكون مالك الحمار.. والتباع غالباً ما يكون صبي الحمار أو معاونه.

٧ - فشوت/ جمع فشت بلغة أهل البحر.. وهو ما ارتفع من أرض البحر عن مستوى قاعه، والفشوت/تكوينات حجرية أو شعب مرجانية تبرز فوق مستوى قاع البحر لدرجة انها تظهر اثناء الجزر قريبة جداً من سطحه أو فوقه فتعوق السفن حتى الصغيرة منها من الابحار فوقها.

٨ - كان المقصود من الدراسة في الكتّاب هو تعلم القرآن قراءة وفهماً.. وليس من الضروري استظهاره.

٩ ـ يقول الاستاذ محمد عبدالله جمعة ـ أمين سر المنتدى الاسلامي في البحرين ١٩٢٨ ـ ١٩٣٦ انه كان قد ذهب الى قطر للدراسة لدى الشيخ محمد بن عبدالعزيز المانع بالمدرسة الأثرية، وانه رأى طلاباً من البحرين والكويت بها.

١٠ ـ ص ١١٢ ـ الكتابات الأولى الحديثة لمثقفي البحرين طبع المكتب الاسلامي بالقاهرة عام ١٩٧٨.

١١ ـ أي انه ليس من الضروري في التعليم الكتابي في الخليج العربي ـ آنذاك ـ ان يكون المتخرج منه مستظهراً القرآن الكريم بأكمله.

الفصل الثالث

١ ـ البحر.. البر.. السوق
٢ ـ حياة الناخي في قطر
٣ ـ الناخي.. داعية وتاجر
٤ ـ هوامش

البيئات الثلاث

البحر.. البر.. السوق..

أما البحر فقد أحطنا بما كان لمبارك الناخي من موقف معين منه.. ذاك ايام الطفولة.. فماذا كان له معه أيام اليفاعة والشباب؟

وهل يستغني الخليجيون عن البحر.. شريانهم المالح ونقاع سفنهم(١) خطفة وطرحة.. اقامة ورحلة على مدار الفصول الأربعة.. أوسع أبواب رزقهم آنذاك.

كانوا يمخرون عبابه يتخللون أعماقه.. ينتهكون قيعانه.. ينتزعون منها بناته دانات وحصابيا.. ظلوا يستقون ماءه العذب يمزرونه(٢) من فوهات منابعه الثرثارة قربا يوكؤنها ثم يرسلونها الى سطحه لتتلقفها السفن أوعية مملوءة مدحوة ماء عذباً. لكنهم لا يشربون البحر نميراً.. كما يفعلون اليوم.. ويقولون انه محلى.. كانوا يستقونه من عيونه وكواكبه النضاخة من قيعان البحر.

أما الناخي فقد تصوبت نظرته الى البحر عن ذي قبل.. لا حين امتطاه كتباب(٣) ثم رضيف(٤) فحسب، انما توطدت بينه وبين سيفه مودة متينة.. على سيف الشارقة هذا يكاد يكون اللقاء يومياً بين الناخي واترابه واصحابه.. فمتى يكون ذلك فصلاً ووقتاً. فالصيف هو ذلك الفصل ذو السخونة والرطوبة.. والوقت هو العصر النهاري الأخير من كل يوم.. وكيف يكون ذلك اللقاء صيفاً وعصراً.. والطالب اليافع مبارك الناخي ولسبعة اعوام كان غائباً شتاء عن الشارقة يتعلم بالمدرسة الأثرية بقطر، قال مبارك في

تقريره عن التعليم في قطر:

.. وعندما يأتي فصل الصيف يذهبون - أي طلبة الأثرية الخليجيين - الى اوطانهم لزيارة أهليهم واقاربهم وجماعتهم ليقضوا هناك شهري الصيف.

إذاً، ففي ساعات اول عطلة صيفية قضاها الناخي بسيف الشارقة تمكنت مودة هذا السيف ومن خلفه البحر من قلبه.

وكعادة أي مفارق لأهله وبلده أشهراً.. يراهما حين يعود وكأنهما جديدان في عينيه.. فأين يجد الناخي وقد عاد صيفاً الى الشارقة اترابه واصحابه؟

ليس هناك في منظور المناخ الحضري للشارقة.. وغالب سواحل الخليج العربي آنذاك غير مواقع ثلاثة: المجالس (أي المضافات) التي كانت منتشرة في مدينة الشارقة خاصة والخليج والجزيرة العربية عامة كموقع أول. ثم الأسياف ومنها سيف الشارقة و(خذ.. وخل .. من هالسيف الزين).. التي كانت رماله عرضة لأخاديد أبياص(٥) قوارب الفيانقة والدلامنة واليعاربة والقواسمة، وعرضة لسفن الغزاة البرتغاليين والانجليز تلك التي حفرت فيها أخاديد عدوانية فمسحتها أمواج بحر الشارقة ببلسم النصر الأبدي المؤزر.

وأينه الموقع الباقي بعد الموقعين.. المجالس والسيف.. انه السوق ذلك الذي لم يكن اثيراً عند الناخي.. وقد تحدثنا عنه في مفتتح الفصل الأول. أما سيف الشارقة فقد أصبحت له مكانة في قلبه بعد ان كان يهجره عشرة أشهر، ثم يعود اليه ليجد مجدفه(٦) الكبير خالياً إلا من سفن عتيقة فهي أسوأ من «عَشَار»(٧) لا تصلح للابحار الى الغوص أو «القطاعة»(٨) أو السفر أو الطواشة(٩).

فكل السفن الصالحة تغادره لاستجلاب اللؤلؤ والأصداف فلا يجد الناخي في ذلك المجدف غير بعض «بوانيش» و«هواري» و«قلوص»(١٠).

في الصيف يكاد يكون ذلك المجدف الكبير يخلو إلا من «العنين»(١١) التي أقامها اصحابها من الجذوع والسعف للأنشطة الحرفية المتعلقة بأعمال البحر التي يزاولها أصحاب تلك العنين من الحرفيين.. وما اكثرها كالحدادة والقلافة، والدركلة، ودهان و«تشوين» السفن المهيئة للابحار(١٢).

في الصيف كان الناخي يأتي عصراً كغيره الى ذلك السيف ذي المجدف الكبير ليجد كثيراً من الشارقيين اليافعين والشبان لا يجمعهم غير لقاءات مساءات ذلك السيف.. تلك اللقاءات الآنية اليومية التي لا رابطة فيها وان تكررت يومياً.. إذ تبدأ بعد صلاة العصر وتنتهي عند المغرب.

غير ان ارباب العنين شيء آخر غيرأصحاب الناخي فهؤلاء تجمعهم حرفهم تلك التي قوت بينهم وشائج الصداقة.. فأشاعت فيهم روح التعاون والتكامل.. أصحاب تلك العنين لا يتقيدون بموسم أو وقت فهم أهل صنف.. كما يقولون .. فأنت تجدهم في عنينهم تلك كل الأوقات وكل الفصول.. يأتون صباحاً بأقواتهم اليومية المكونة في الغالب من التمر والقهوة وشيء من الخبز واللبن.. بعضهم يحمل اليه أهله غداءه. وبعضهم يأتي (عنته) صباحاً ليفارقها ظهراً، ثم يعود اليها عصراً.. وهم لا يسلمون على عنينهم تلك من مزاحمة نواخذة البحر والبر، هم وربما بحارتهم بالجلوس فيها استظلالاً واستمتاعاً.. هذا يرمس وذلك يستمع وآخرون يتلاغون واولئك يتحلقون ـ أمام هذه العنين ـ حول اكيمات

من مخاشر المحار من أجل المرابحة(١٣).
وحين يمر الناخي بسيف المجدف الكبير بالشارقة متجهاً الى موقع اصحابه فيه يرى مشاهد هذه البانوراما الحية متمثلة امامه وحوله.. ربما لا جديد فيما ألفه يومياً من هذه المشاهد.
هناك مشاهد بانورامية اخرى من تلك التي ألف الناخي رؤيتها ـ بهذا السيف لا تقل أهمية عن سابقتها إذ تتشكل يوميا من الناس والدواب من الساعين والواقفين.. ومن تلك البوانيش والهواري الراسية أو القادمة بأشرعتها عبر أفق السيف كأنها نتف سحب بيضاء صيفية يرفعها ذلك الأفق مرة ويخفضها اخرى حتى اذا اقتربت من السيف اتضحت رؤيتها فاذا هي مختلفة الاحجام مختلفة الاحمال.
حين تنظر الى لوحات هذا الجانب من البانوراما السيفية الشارقية قد لا تجد فيها لمسات تجريدية واضحة فكلها تتشكل ـ فيما يظهر ـ من لوحات انطباعية .. ولا يكتمل تفعيل مشاهد تلك اللوحات البانورامية السيفية في ذهن مبارك الناخي فهناك لوحات قادمة من هذه المشاهد سيعرضها علينا. ومع انه ليس معروفاً كفنان تشكيلي فهو أديب واصلاحي كبير إلا انه في وصفه لتلك المشاهد السيفية تصرف كفنان دون ان يعي دوره في نقلها لوحات.. لوحات بطريقة عفوية. فهو حين نقل الى هذه المشاهد من سيف الشارقة اضاف:
ماذا أفعل في الصيف ضحى أو عصراً والناس موجودون على السيف.. أذهب اليه لأجد ذلك الخليط من الناس.. نساء مع ابنائهن يغتسلن في البحر ورجال يقطعون مخاضات قصيرة بين هواريهم(١٤) وحافة السيف بعضهم يحمل فوق رأسه صيرما(١٥)

من السمك.. وآخرون يحملون مجتمعين جاروفا(١٦) وهذا بحار يضع ساليته على كتفه.. وذاك ينقل حيزه(١٧) من بانوشه الى قاع السيف.. وآخر قاعد يسف قرقوراً(١٨).

النساء والاطفال بنين وبنات لهم موقعهم من هذه «البانوراما» فهم يأتون ضحى.. ربما عصراً الى السيف لينزلوا الى البحر يستحمون فيه.. النساء والفتيات لا ينزعن بطاطيلهن(١٩) عن وجوههن، ولا ينزين عن اجسادهن شيئاً من اثوابهن حشمة وتعففاً تحكمهن عقيدتهن الاسلامية ذات الطهر والتقوى والمرحمة. غير ان هذا التعفف وتلك الحشمة قد يخدشان خدشاً كبيراً حين تخرج تلك النسوة من الماء إذ تلتصق اثوابهن بأجسادهن فتتجسد مفاتنهن فتبدو ظاهرة غير باطنة.

ولا تغرب الشمس إلا وقد نفض سيف المجدف الكبير بالشارقة يده من رواده.. إذ عليهم ان يصلوا الى بيوتهم ليؤدوا صلاة المغرب وليتناولوا العشاء بعدها مباشرة.

حياة الناخي في قطر

هذا بعض ما ألفه الناس وعاشوه من مناخ اجتماعي سواء في الشارقة أو الخليج العربي مفتتح القرن العشرين.. ربما حتى خمسيناته .. ومبارك الناخي واحد منهم. وهو يقول ان هذا الذي عاشه من حياة اجتماعية في الشارقة لا تخرج في موسمها عن فصل الصيف بسبب ان حياته الشتوية كان قد عاش سبع سنوات منها في قطر من أجل الدراسة.

لكن هل نعفي الناخي من السؤال عن مجريات حياته الشتوية في قطر كطالب بالمدرسة الأثرية؟ يقول هو في تقريره: «التعليم في قطر منذ نصف قرن»:

.. وكان قد تكفل - أي المحسن علي بن محمد المحمود - بالانفاق عليهم اثناء دراستهم وقيامهم بقطر، وفي ذهابهم وايابهم، وكان كلف لاستقبالهم في قطر الوجيه الكريم الخير عبدالرحمن بن حسن فخرو رحمه الله فقام باستقبالهم خير قيام واحتفى بهم الاحتفاء التام، وكانوا يأوون الى مجلسه العامر نهاراً وليلاً لتناول وجبات الطعام..

إذاً، فما ذكره الناخي قبل قليل عن جزء من جوانب الحياة الخاصة التي عاشها طلبة المدرسة التيمية اثناء دراستهم بالمدرسة الأثرية بقطر ابان العقد الثاني من القرن العشرين كان قد شاركهم فيها.

ولكن ماذا عن الحياة الاجتماعية في قطر آنذاك والتي واكبها الناخي لسبع سنوات من يفاعته وشبابه كحقبة أولى من حقبتين عاشهما في قطر. فالمعروف ان الحياة الاجتماعية والاقتصادية

منها تلتقي بفروق طفيفة في النشاط الاقتصادي الذي يتمثل في اقتصاد الغوص وشيء من التجارة، ولا شيء من الزراعة لندرة الماء ـ فيها آنذاك ـ فهل نسأل الناخي عما كونه في ذهنه من مشاهد بانورامية عن الحياة في قطر وهي تمثل نسخة من مثيلاتها في الخليج العربي والجزيرة العربية، وان كانت متواضعة عنها في الخلفية والبعد الفني.

ففي المجال الاقتصادي حظيت قطر بمجالين فيه هما اقتصاد الغوص بالدرجة الأولى، واقتصاد مادة الجص وهي مادة خام جيري تستعمل في أعمال البناء الرئيسية آنذاك.. وهي ايضا مادة لا تعدلها في حينها مادة بنائية أخرى في مفعولها وتعدد استعمالاتها في قطر والبحرين.. وربما في الخليج.. فاذا قيل لك آنذاك ان هذا الجص قطري فلن تفضل عليه جصاً آخر.. ولا تزال هناك ـ حسب علمي ـ بيوت ومبان قديمة في الخليج قائمة منذ القدم لايزال الجص القطري ناشباً اظفاره في احجارها مكوناً المادة الرئيسية في بنائها.. كانت هناك سفن متوسطة الحجم تنقل الجص القطري الى بعض دول الخليج.. كان منظرها مألوفاً آنذاك في موانىء البحرين والعقير والجبيل والساحل المتصالح.

غير ان مبارك الناخي لم يكن في ذهنه عن الحياة القطرية آنذاك غير الجانب التعليمي منها.. فهو آنذاك كان في مرحلة الطلب، فليس لطالب يافع في بعثة طلابية في بلدة غير بلدته غير الانتهاء من دراسته في الأثرية ليعود الى بلدته لا ان يرد على ذهنه ان يقيم بيتاً في قطر من جصها العتيد.

هذا في مرحلة الطلب فأينه الناخي وقد عاش بعد ذلك في قطر زهاء ربع قرن معلماً ومتحدثاً وكاتباً.. ماذا لو كان قد ترك لنا شيئاً

مهماً عن الحياة القطرية منذ اربعينات هذا القرن حتى سبعيناته، من منظوره هو كشاهد عيان لهذه الحياة بألوانها المتعددة فنحصل بذلك على بعض مسح موضوعي من شاهد وطني على تطور الحياة الديمغرافية والانثروبولوجية في قطر آنذاك وهي تمثل شريحة من تلك الحياة في الخليج العربي.. وبذلك يكون بين أيدينا مسح غير اجنبي.

كذلك أين الأستاذ الناخي من حركة الثقافة والأدب في قطر ابان حياته فيها.. وهو الذي يقول في تقريره «التعليم في قطر منذ نصف قرن» ما يلي:

«..فكان في قطر الشيخ عبدالله بن أحمد الدرهم والشيخ محمد بن حمدان، وكانا يمثلان منصب القضاء فقط، ولم يتصدرا للتعليم، وكانا في عهد الشيخ قاسم بن محمد الثاني جد الأسرة الحاكمة الأول رحمه الله.

وكان الشيخ قاسم ركناً من اركان التوحيد وعلماً من اعلام العقيدة السلفية، وكان مضرب الأمثال في الجود والكرم والبذل، ومحبة العلم والعلماء وتلقيهم واحترامهم واكرامهم، يفدون اليه من جميع البلاد، ويقصدونه من شتى الأقطار فينيلهم من فضله ويرفدهم من غناه. وكانت قطر في عهده مأمناً للعلماء كما بينا طوال أيام السنة».

هذا ما اشار اليه الناخي في تقريره عن التعليم في قطر وعن المناخ العلمي والخيري فيها اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين.. فأين بيانه عن هذا المناخ.. أين نماذجه عنه اعلاماً وانتاجاً، خاصة وان محوره الأول هو حاكم قطر الشيخ قاسم بن محمد الثاني.. الذي هو شاعر من شعراء تلك الحقبة

وأين أدباء قطر وشعراؤها ترجمة، وانتاجا مثل الشيخ الأديب الشاعر عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد بن درهم، والشاعر الفذ محمد بن قاسم الفيحاني، وما قاله الشاعر محمد بن عثيمين اثناء وجوده في قطر ثم الشاعر احمد الجابر. ثم من جاء بعد خمسينات هذا القرن من شعراء امثال شاهين الكواري.. وعبدالرحمن المعاودة ود. حسن نعمة.

ومع ذلك فقد لاحظت بعد استقرائي لتقرير الناخي عن التعليم في قطر تلك الخلفية الواسعة وراء رصده في تقريره عن بعض جوانب الحياة في قطر لذا جاءت قناعتي بمشروعية مطالبتي اياه كشاهد عصر على الحياة القطرية بألوانها المتعددة خلال اقامتيه المديدتين الأولى والثانية في قطر.. بوجوب اعطائه للأجيال الحاضرة واللاحقة فكرة موسعة عن تلك الحياة.. ولكن هموم الناخي في أمور كثيرة ومن أولها الدعوة الى الله.

الناخي .. داعية وتاجر

حين أنهى الناخي دراسته في المدرسة الأثرية بقطر في حدود عام ١٩٢٢ ـ كما أسلفنا ـ عاد الى الحيرة بالشارقة وهنا بدأت مرحلة أخرى من حياته ذات محورين ثقافي دعوي وآخر تجاري لؤلئي.. وسنبدأ بالحديث عن المحور الثاني بسبب انه لا يعدو كونه حديثاً تعريفياً هو جزء عن مزاولته مهنة الطواشة في تجارة اللؤلؤ.

فمهنة الطواشة ذات شقين بري ويدعى مزاوله (طواش بر) وبحري ويدعى مزاوله (طواش بحر) فأصحاب الأول لا يغادرون اليابسة تأتيهم اللآلىء ملفوفة بأقمشتها الحمراء مجموعة.. مجموعة.. أو ربما جاءتهم في قليل من الأحيان مغروزة بأصدافها.. لم تقلع بعد.. تأتيهم لآلئهم شرعاً الى مواقع تجارتهم، وهي لا تعدو كونها دكاكين صغيرة، أو عمائر(٢٠). أو ربما مقاه على قارعة الطريق.. أو حتى في مجالسهم فيشترون ويبيعون، وقد يكون بينهم تجار كبار ممن يمولون عمليات الغوص على اللآلىء في (هيرات) بحارها.. وفي مثل حالة أولئك التجار الممولين فإن كل ما يحصلون عليه من اللآلىء تكون لهم مباحاً يتصرفون فيها.. تصرف المُلاّك في املاكهم.. من فرز وتخريق وتعقيد، وبيع حر، وبيع مصادق(٢١). وفي المقابل هم الذين يسقمون ويسلفون ويعطون الخرجية وهم الذين ينفقون الأموال على انشاء سفن الغوص وصيانتها وتجهيزها بكل لوازم ممارسة العمل في البحر، وعلى ضوء ذلك فإن هؤلاء التجار الممولين عرضة للخسائر أو للكساد اللذين يلحقان بهذه التجارة خاصة أو عامة، وهم المقصودون ايضاً من المتوجهين اليهم لحثهم على فعل الخيرات..

فقد كان منهم رؤوس قامت بانشاء المدارس الأهلية وحفر آبار الماء.. وأعمال خيرية اخرى، وقد تعرض بعض منهم في الخليج لضغوط استعمارية فنفوا من بلادهم أو سجنوا فيها.. حتى ان منهم من مات في منفاه.. والحديث في هذا الشأن يطول ويعرض وليس هنا مكان لعرضه.. علماً ان ليس كل طواويش البر قادرين على التمويلات الكبيرة لعمليات الغوص.. فكل يمول حسب قدرته المالية. ويبقى من طواويش البر من لا يستطيع التمويل بتاتاً وهم يمثلون الأكثرية ويتوزعون بين المبتدئين في مزاولة هذه التجارة.. وبين عدم القادرين عليها البتة.

لقد كان الناخي من فئة المبتدئين اولاً ولكنه تقدم فيها بعد ذلك تقدماً مطّرداً.. ثم وقف به جده فأصبح مراوحاً في مرحلته التي وصل اليها بسبب انه اتخذ هذه التجارة (الطواشة البرية) وسيلة لكسب العيش، وجسراً للتعرف على أساطينها الذين يمثل بعضهم رموزاً للحركة الاصلاحية في الخليج آنذاك وعوناً للدعوة الى الله التي كان هو من دعاتها المخلصين.

أما الشق الثاني من تجارة الطواشة فهو (الطواشة البحرية) الأكثر معاناة وتعباً .. فأصحاب هذه المهنة يذهبون بسفنهم الخاصة الى «هيرات»(٢٢) البحر يقصدون سفن الغوص فيها ليشتروا منها اللآلىء مباشرة لينالوها بأرخص مما ينالها طواشو البر.. الذين ليسوا غالبا من طواويش البحر الممولين لعمليات الغوص.

لقد اختار الناخي مضطراً ان يكون طواش بر (فمكره أخاك لا بطل).. لكن ذلك صار نافعاً له إذ جنبه معاناة ومتاعب طواويش البحر.. فهم يذهبون بسفنهم الخاصة الى «هيرات» البحر يقصدون

فيها سفن الغوص ليشتروا من اصحابها «نواخذتها» اللآلىء مباشرة.. وغالباً ما يحصلون عليها بأرخص مما ينالها طواويش البر.. ولكن الناخي اختار ان يكون طواش بر .. لكأني به ينفذ بهذا العمل رغبة علقت بذهنه منذ الصغر وهي حب البر. فكان ان تجنب متاعب ومعاناة طواويش البحر، الذين لهم طريقتهم الخاصة في اعداد سفنهم بجزواها(٢٣) لطواشة البحر التي تختلف جذرياً عن طريقة نواخذة الغوص في اعداد سفنهم وجزواهم.. وعن عملية الغوص برمتها.. مما ليس لي هنا مجال للكلام عليه.. يقول المثل الدارج: «وشلك بالبحر واهواله، ورزق الله على السيف».. ربما كان الناخي قد أخذ بهذا المثل في اختيار ممارسة طواشة البر.

لم تكن هناك صعوبة امام الناخي في بدء مزاولته تجارة اللؤلؤ فقد كان أهله وذووه من اربابها، غير ان الناخي أقام شريكاً خيِّراً في المودة بينه وبين هذه التجارة.. ذلك الشريك الخيِّر هو الدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، فكيف كان ذلك؟ وكيف كانت بداية الناخي في الحصول على مقومات ذلك الشريك الخير؟! وكيف استولى بعد ذلك على ذهن الناخي وجيّره له الى الأبد. ان أجوبة هذه التساؤلات تكمن في الناخي نفسه.

فقد ظهر هذا الرجل الرمز في مناخ ديني سلفي النزعة اصلاحي الاتجاه.. وتربى عليه سواء في المدرسة التيمية في الشارقة للتاجر علي بن محمد المحمود، أو في المدرسة الأثرية للشيخ السلفي الاصلاحي محمد بن عبدالعزيز المانع ـ كما أسلفنا ـ فهل ننتظر منه عكس ذلك مثل ان يكون تاجراً بحتاً.. يمارس التجارة من أجل التجارة وحدها كعامة تجار العالم؟ ان الناخي كان قد استفاد في البداية من خبرة تجار شارقيين كبار كعلي بن

عبدالله العويس ومحمد بن سالم العويس، إلا انه فوق ذلك استطاع اكتشاف جوانب نفسه المتطلعة الى غد اسلامي افضل.. فمن هذه الجوانب ما استطاع بحدسه ان يكتشف فيها ايضا ان لديه طاقة كبيرة في تثقيف نفسه فكرياً ودعوياً.. فظل يخدمها خدمة حثيثة في هذا المجال من اطلاع مستمر كتابة واستظهاراً.. عن طريق اقتناء كل ما يصل اليه من اعداد المنار والفتح. وبعض كراسات دار الدعوة والارشاد في القاهرة مما سنتكلم عنه لاحقاً.. حتى استطاع وضعها في فلك الاتصال بمدار الحركة الاصلاحية الاسلامية العالمية المعروفة بقوة تأثيرها بين الشعوب الاسلامية آنذاك بسبب قوة فاعليتها في تبني الحركات الاستقلالية الاسلامية؟ وبسبب نظرتها الواقعية في محاولة اصلاح وتصويب حال المسلمين والدفاع عن حقوقهم، وتخليص المستعمرين منهم من براثن الاستعمار الغربي آنذاك.

***

وبشيء من التفصيل في كيفية خدمة الناخي لنفسه بعد حدسه في اكتشاف طاقتها الدعوية.. فقد حدث بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى مباشرة ان كان هو وطلبة المدرسة الأثرية من الاماراتيين يحصلون على قلة قليلة من اعداد المنار القاهرية في مجلس مضيفهم بقطر الحاج عبدالرحمن بن حسن فخرو فيقرأونها بالتناوب.. وهم يحرصون على ان لا يصل ذلك الى أسماع شيخهم شيخ الأثرية محمد المانع، لا بسبب معارضته للمنار كصحيفة اسلامية، بل خشية منه على طلبته من القراءة خارج منهج الأثرية.. فيعوقهم عن مذاكرة دروسهم.

لم تكن الصحف العربية والاسلامية لتصل الى قطر وامارات

ساحل الخليج العربي بسهولة مثلما كانت تصل الى بومبي والبحرين والكويت آنذاك.. إلا انه كان لآل الدرويش والباكر والانصاري دور في ايصال مثل هذه الصحف الى قطر بسبب تكرار رحلات هؤلاء الى البحرين والكويت والهند فإنهم كانوا يعودون من هذه الرحلات ببعض اعداد من هذه الصحف والكراسات الاصلاحية الاسلامية التي تصدر من مصر والعراق والشام.. وربما ايران وجنوب شرق آسيا. ومع ان اصلاحيي قطر والامارات كآل محمود والدلموك والخلف هم أقرب اصلاحيي الخليج العربي الى الاتجاه السلفي من الحركة الاصلاحية الاسلامية.. فإن اصلاحيي الكويت والبحرين والاحساء هم أقرب الى الاتجاه الاصلاحي التجديدي.. ولكل رموزه، اولئك الذين تجمعهم الى الله الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ـ وكما قلنا قبل قليل ـ من توزع الاصلاحيين لا في الخليج العربي فحسب، بل في بعض مناطق العالم الاسلامي الى جناحين في مزاولة الدعوة الى الله، مثل ما عاناه الاصلاحي التجديدي الشيخ المؤرخ عبدالعزيز الرشيد اثناء اقامته سنين في جنوب شرق آسيا .. اندونيسيا، وماليزيا وسنغافورة .. فإنه كان من الطبيعي ان يظل الناخي وهو اماراتي سلفي المنهج.. ان يظل طيلة حياته على ما هو عليه من منهجه ذلك حتى بعد ان تكثف اتصاله الفكري والعملي برموز الاصلاحيين التجديديين كأمجد الزهاوي، وشكيب ارسلان، وأبو الحسن الندوي، وعبدالوهاب الزياني، ورشيد رضا، وسليمان الباروني.

ومعروف فكر هؤلاء وامثالهم في امتطاء ظهور المتغيرات الحضارية في العالم وتنقيتها من شوائب الانحراف العقيدي

والاخلاقي وتصويبها ثم استخدامها لصالح الاسلام والمسلمين.. لا بالنظر اليها من بعيد وعدم الاقتراب منها بل استكشافها من الداخل والاستفادة من معطياتها الجديدة الصالحة وخاصة في تقدم الأمم وازدهارها.

وهنا يمكن ان نسمي تلك السنين الأولى التي قضاها في اتصاله برموز الاصلاح التجديدي سواء داخل الخليج أو خارجه بسني الحقبة الأولى من حياته الثقافية. هذا على الصعيد الخارجي أما في الشارقة فقد قضى هذه الحقبة في الاطلاع على مصنفات عديدة في العقيدة الاسلامية السلفية بحيث تكونت لديه قاعدة فكرية رصينة أصبحت له خلفية طيعة ثرة كانت وراء تجلياته في خطابه الدعوي.

وحين بدأ الناخي يخرج بفكره الى مناخ التزود الثقافي الحديث آنذاك لم يجد أمامه غير مدار فلك الاصلاحيين المجددين فدخل فيه في نقلة تكاد تكون طبيعية سلسة ومتدرجة. كانت تمثل له نقلة عبر مصعد لا عبر سلالم.. فماذا وجد في مدار هذا الفلك؟.. فمن المؤسسات الدعوية وجد دار الدعوة والارشاد، وجمعية الشبان المسلمين، وجمعية انصار السنة المحمدية، وجمعية الأخوان المسلمين، ومن الصحف الاصلاحية وجد المنار والفتح وامثالهما.. وكل هذه المؤسسات كانت في القاهرة.. أما في جناح الخليج من ذلك فوجد الجمعية الخيرية والثقافية الكويتية، والمكتبة الأهلية الكويتية، والمنتدى الاسلامي البحريني، ومن الصحف وجد مجلة الكويت، والكويت والعراق، فكان مداراً مدهشاً في مشاهده .. فلم يمكث الناخي ان دار معه وأسهم فيه.

لم يكن أمام اصحاب هذا المدار من التحديات الظاهرة.. لا

الخفية غير التحديات المتمثلة في المتغيرات الحضارية العالمية.. التي بدأت حينها حثيثة في الظهور كقضايا المنجزات التكنولوجية الحديثة وكقضايا الفكر الفلسفي الغربي ونظرياته، والقضايا التنصيرية والمذهبية المنحرفة كالبابية والبهائية، والأحمدية والاستعمار الغربي، ومسألة الخلافة، والقضية الفلسطينية وقضايا مهمة ولكنها جزئية مثل قضية المرأة وما أثاره قاسم أمين حولها.. ثم تبرؤه مما أثاره ورجوعه عنه، وقضية الأدب الجاهلي وما أثاره طه حسين في هذا المجال، وما كان من اشتراك مثقفين خليجيين - كانوا عام ١٩٢٨ في القاهرة - في تلك القضية(٢٤).

في هذا المناخ ذي المتغيرات الحضارية التي بدأت تهب رياحها سريعاً بعد الحرب العالمية الأولى فتصيب بشيء من هبوبها منطقة الخليج العربي.. فتشمل في أول ما تشمل المجال التعليمي والثقافي فيه.. في هذا المناخ الذي لم تصل فيه الكهرباء بعد الى الخليج.. ولم تنتشر فيه مكاتب البريد، سوى في البحرين، وابو شهر والبصرة، ولم يكن للمواصلات البرية شأن كبير فيه.. في هذا المناخ ظل الناخي - مثله مثل فئة قليلة جدا من متعلمي الامارات آنذاك - يلتهم ما تصل اليه يده مما تكتبه المنار والهلال والمقتطف: ويغربله في ذهنه.. وظلت قاعدته الاصلاحية السلفية لم تهتز ولم تؤثر فيها قراءاته تلك وخاصة في الهلال والمقتطف.. كما اثرت ربما في بعض اترابه من المثقفين(٢٥).

وكانت حالة الناخي المادية كتاجر لؤلؤ محدودة، ولكنها ظلت تمكنه من السفر الى الهند والبحرين والكويت لبيع لآلئه.. فيتصل برموز الثقافة وزعماء الاصلاح فيها. ففي الهند كانت حصيلته من زياراته لها كبيرة لتكرار تلك الزيارات فكان يلتقي بين فترة وأخرى

بمفكري المسلمين وزعمائهم فيها.. مثل السيد محمد علي جناح، وليافت علي خان، وشوكت علي وابو الكلام ازاد، وكذلك بعض العلماء الندويين كالشيخ سليمان الندوي. وكان لا يقطع صلته بالنادي العربي في بومبي، وبأركانه مثل الشيخ محمد السديراوي وكذلك بجمعية الثقافة العربية الهندية ببومبي ايضاً.

وفي البحرين كانت صلته متينة بزعماء الاصلاح والحركة الوطنية فيها وعلى رأسهم الشيخ المجاهد عبدالوهاب ابن حجي الزياني، وبالصفوف الخلفية الشابة فيها مثل الشاعر قاسم محمد الشيراوي والشيخ محمد عيسى الخليفة وعبدالله الزائد، وكان اذا ما حل فيها يأتي دائماً الى النادي الأدبي بالمحرق، أو يذهب كثيراً الى المنتدى الاسلامي بالمنامة، وعلى ذكر ذلك فقد ذكر لي ثلاثة من اداريي المنتدى وهم المرحومان - ان شاء الله - الأستاذة أحمد حسن ابراهيم ومحمد عبدالعزيز الوزان، وسلمان احمد كمال، وكذلك الاستاذ محمد عبدالله جمعة أطال الله في عمره من ان الشيخين عبدالله علي المحمود، ومبارك سيف الناخي كانا عضوين في المنتدى، وهما من الشارقة.. وكانا اذا نزلا في البحرين أقاما في غرفة بعمارة خليل المؤيد بالمنامة.

وحين يأتي الناخي الى الكويت لا يستقر حين وصوله إلا ان يتصل برموز الاصلاح فيها، وكان في مقدمتهم الشيخ يوسف بن عيسى القناعي، والشيخ عبدالعزيز الرشيد، وكان يزور الجمعية الخيرية، والنادي الأدبي فيها، ذكر لي ذلك المرحوم ان شاء الله الاستاذ أحمد البشر الرومي عام ١٩٧٥(٢٦).

وتجاوزاً عن تفاصيل هذا النشاط الثقافي الذي زاوله مبارك الناخي في تلك الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين.. أي خلال

عقدين من السنين .. فإن الناخي كان في نهايتها قد خبر بعض الآراء ذات المعطيات الفكرية الجديدة الصحيحة فاقتنع بجدوى تبني بعضها.. مثل تبني الدفاع عن الوطن وعن الأمة العربية باصرار لم يكن يبديه من قبل وهذا ما يمكن ان نتحدث عنه في خطابه الدعوي.

***

١ـ نقاع/ جمع نقعة. وهي أحواض بحرية تعمل بساحل البحر لرسو سفن الغوص الكبيرة، وأكثر ما توجد آنذاك بالكويت.
٢ ـ يمزرونه/ يستقونه.
٣ ـ التباب/صفة من مصطلحات المهن في الغوص تطلق على صبي البحر الذي يحمله ذووه من النواخذة أو الغواصين معهم الى الغوص ليتعلم ركوب البحر والعمل فيه. وكثيراً ما يكون اولئك التبابون عرضة لمنح محدودة من اكراميات مشتري لآلىء سفنهم.. يمنحونها إياهم عن طيب خاطر تطييباً لنفوس ذويهم.
٤ ـ الرضيف/صفة من مصطلحات المهن في الغوص، وتعني الاضافة.. وهي ان يؤخذ الشباب، واليافعون لركوب البحر والتدرب على أعمال الغوص وفي الوقت نفسه ليكونوا مساعدين للغاصة والسيوب.. وما ذكرناه مسبقاً من صفة التباب، وما نذكره الآن عن صفة الرضيف انما يمثلان عمليتين تدريبيتين اساسيتين لتخريج عمال غوص جدد للعمل على ظهر سفن الغوص.
اذاً، فنظام التدريب المهني ليس جديداً على الناس في الخليج العربي انما يضرب في عمقه الى آلاف السنين سواء في أعمال البحر أو البر. وهذه سنة الله في خلقه.
٥ ـ الابياص/جمع بيص/ وهي أقوى وأمتن وأطول خشبة ثابتة بقاع السفينة وتمثل عمودها الفقري والدرع الأساسي لحماية السفينة من كدمات قاع البحر.
٦ ـ مجدف/ مفرد مجدفات: وهي ساحات تنتقى من شواطىء مدن الغوص في الخليج العربي لتلامس واجهاتها الأمامية مياه البحر مباشرة من أجل سحب سفن الغوص اليها اذا ما انتهى موسمه حيث تقضي فوق هذه المجدفات فصلي الخريف والشتاء، وشيئاً من فصل الربيع حيث تجر في نهايته الى البحر لاستعمالها للغوص مرة أخرى وهكذا دواليك.
٧ ـ محمل عشار/ وسفينة عشار/ تعنيان في لغة أهل البحر في الخليج العربي قديمتين أو مستعملتين وليستا بجديدتين أما السفن الجديدة فيقال لها (اوشار)..

٨ - القطاعة/ تعني التجارة البحرية.
٩ - الطواشة/ راجع الفصل الرابع.. الناخي داعية وتاجر.
١٠ - بوانيش وهواري وقلوص/ مفردها: بانوش وهوري وقلص. فالبانوش هو سفينة بين صغيرة أو متوسطة الحجم وأكثر ما تستعمل لصيد السمك أو الرحلات القصيرة. أما الهوري والقلص فالأول أكبر حجم من الآخر وكلاهما يستعملان كقوارب صغيرة تابعة للسفن الكبيرة ودائماً ما ترى مقطورة بها من اجل استخدامها كوسائط نقل خفيفة بين السفن الكبيرة والشواطيء.
١١ - العنين/ جمع عنة: وهي أشبه ما تكون بالعشة أو حتى بالخيمة الصغيرة أو السقيفة وتبنى على سواحل البحر أو في مضارب البر.
١٢ - أ - الحدادة/ عمل الأدوات الحديدية التي تحتاجها السفن مثل المسامير والكاويات وهي مسامير ضخمة وكذلك حلقات الحديد، وحاملات القدور.
ب - والقلافة: النجارة.. ولا يقال نجارة السفن ولكن قلافتها.. فالنجارة عند أهل البحر تعني تشكيل الخشب لكل الأغراض الأهلية.. والقلافة عندهم تعني مهنة صناعة السفن وكل وسائط النقل البحري الخشبية وصيانتها.
جـ - الدركلة او الكلفتة: تعني ان يقوم قلاف السفن بادخال أشرطة من القطن المبروم بين فراغات ألواح السفينة لسدها منعاً من تسرب الماء اليها مستخدما في ذلك مطرقته وإزميله.
د - الدهان: هو عملية دهان القسم الأعلى من السفينة وذلك الذي ليس معرضاً للغطس دائماً في البحر، وذلك الدهان لا يكون إلا بزيت سمك الحوت المسمى بالصل.
هـ - و(التشوين) هو عملية دهان غاطس السفينة الناقع في البحر دائماً.. أما مادة التشوين فتتألف من الشحوم الحيوانية الثقيلة المخلوطة بالجير الأبيض المسمى (الهج) لتصبح مادة واحدة مصنعة تسمى «الودك» حيث يدهن غاطس السفينة بها.
١٣ - المرابحة/ تعني المزايدة في عرف تجارة اللؤلؤ.. وهي عملية دائماً ما يقوم بها جماعة من تجار اللؤلؤ الصغار أو الضعاف فيما بينهم. لشراء كميات محدودة من محار اللؤلؤ، ثم فلقها واستخراج اللؤلؤ وبيعه.
١٤ - جاء الكلام عليه كقارب في الهامش رقم (١٠).

١٥ ـ الصيرم/ وعاء مصنوع من عسق النخل يستعمل لوضع السمك فيه أو نقله من مكان لآخر.
١٦ ـ الجاروف/ نوع من شباك صيد السمك مصنوعة من خيوط قطنية متينة، أما الآن فتصنع من النايلون.
١٧ ـ السالية/ نوع من شباك صيد السمك مصنوعة ايضا من خيوط قطنية متينة أو من خيوط النايلون.
١٨ ـ الحيزة/ مصيدة سمك مصنوعة من عسق النخل أو من سيور حديدية رفيعة بما يشبه الإناء الكبير.
١٩ ـ بطاطيل/ جمع بطولة اسم يطلق على غطاء غير محكم لوجه المرأة وهو مُصنع من قماش أسود مشمع به فتحتان واسعتان للعينين بينهما خشبة خفيفة تمثل الأنف.. لقد كانت البطولة سائدة ـ كغطاء وجه في الخليج العربي خلال النصف الأول من القرن العشرين.. أما الآن فقد ندر استعمالها.
٢٠ ـ عمائر/ جمع عمارة وهي غير العمائر المنتشرة في شوارع المدن الحديثة.. وانما هي تشكل حوطة بها بعض دكاكين تطل على الشارع العام.. وتباع فيها كل لوازم السفن والبحر، وكذلك مواد الاعاشة للناس والدواب.
٢١ ـ فرز وتخريق وتعقيد، وبيع حر، وبيع مصادق هي بعض ممارسات مهنية تتعلق بتجارة اللؤلؤ والأصداف.
أ ـ فرز اللؤلؤ حسب الأحجام المتبادلة في أسواقه.. ويتم ذلك بواسطة طوس مخرقة القاع بثقوب مختلفة الأحجام من طاسة الى أخرى.
ب ـ تخريق اللؤلؤ من أجل جعله عقوداً كالمسابيح، وتعقيده/نظمه في عقود مختلفة الأحجام.
ج ـ وبيع المصادق/ هو ان يجلس متبايعان من تجار اللؤلؤ متجاوران يضع احدهما يده في يد الآخر تحت غطاء بحيث لا يبصرهما الآخرون اثناء حركتهما تحت الغطاء ثم يبدأ المتبايعان في تحريك أصابعهما، من أجل إتمام الصفقة.. فإن نجحا في ذلك أو فشلا فيه فإن من حولهما لن يعلم بذلك.
٢٢ ـ الهير/موقع من مواقع محار اللؤلؤ/ جمعه (هيرات).
٢٣ ـ الجزوى/ جمع أجزوى مسمى (دارج) وهو عامل البحر في جميع أعماله.

٢٤ ـ كان الاسـاتذة جاسم محمد الشيراوي وعبدالرحمن القصيبي وعبدالله الزائد اعضـاء وفد ثقافي شكله النادي الأدبي بالمحرق عام ١٩٢٨ لزيارة العراق ومصر وفلسطين.. وصادف ان كانوا في القاهرة ابان اشتداد أوار قضية الأدب الجاهلي للدكتور طه حسين فأحبوا ان يسهموا في اعطاء آرائهما في القضية فاتصلوا بطه حسين نفسه وكل من مصطفى صادق الرافعي، ومحمود عباس العقاد، وعبدالحميد سعيد رئيس جمعية الشبان المسلمين وتم في ذلك بعض لقاءات مفيدة.

٢٥ ـ مثل ابراهيم محمد المدفع وعبدالله القصيمي.

٢٦ ـ حين كنت في الكويت من أجل الاشراف على الطبعة الأولى من كتابي (القاضي الرئيسي قاسم بن مهزع) عام ١٩٧٥.

الفصل الرابع

١ ـ تقدمة
٢ ـ شيء من التفصيل
٣ ـ نموذج أول ـ الفقرة الأولى
٤ ـ نموذج أول ـ الفقرة الثانية والثالثة
٥ ـ نموذج ثان
٦ ـ نموذج ثالث
٧ ـ هوامش

الخطاب الدعوي عند الناخي

مقدمة:

لم تكن الشارقة مفتتح القرن العشرين، وحتى منتصفه لتتميز في الشأن الديني عن غيرها من بلدان الخليج العربي.. يصيب انسانها ما يصيب انسان مدن الخليج وبنادره وقراه من حظوظ قلت أو كثرت في تلقي الخطاب الدعوي النمطي في التقليد والمضمون.. وربما في الصياغة والأسلوب.. ولم تكن هناك آنذاك من جهة رعوية منظمة لمواقع النشاط الديني كالمساجد والمدارس الدينية. كان الإشراف على شؤون هذه المواقع منوطا بالحاكم أو القاضي الرئيسي في المنطقة الذي قد تتعدى صلاحياته في كثير من الأحيان صلاحيات الحاكم في ذلك الشأن.

ولقد بقيت امارات الخليج دون مؤسسات رعوية دينية رسمية حتى عام ١٩٢٨ حين ظهرت في احداها ولأول مرة ادارتان للأوقاف وادارة واحدة لشؤون القاصرين(١) واحتاج الأمر بعد ذلك الى انقضاء ثلث قرن حتى يُعمم هذا النمط من الادارات على امارات الخليج كلها.. أما الخطاب الديني في المواقع التي تشرف عليها هذه الادارات فقد بقي ومنذ مفتتح القرن العشرين حتى منتصفه على حاله سواء في المساجد والجوامع ومواقع المناسبات الدينية الاخرى.. لم يتغير لا في الصياغة ولا في الأسلوب ولا حتى في الأداء اللفظي، وربما اعطوا خطبهم ومواعظهم ألحاناً متمايزة.. فهذا اللحن ترهيبي وآخر ترغيبي.. وثالث انذاري وذلك تبشيري من

أجل التوصل الى ادخال هذه الخطب والمواعظ الى اذهان المتلقين، كانوا يتحاشون الارتجال في خطبهم ومواعظهم من أجل المحافظة على النص، حتى وان لم يكن من الكتاب والسنة، ومن أجل ان لا يتعرضوا لعثرات اللسان إذ لم يكن شائعاً بينهم من يزاول الارتجال في خطبه ومواعظه إلا نادراً آنذاك.

لقد تفتحت فطنة الناخي على مناخ هذا الخطاب الديني وربما الدعوي في قليل من مجالاته، وحين اراد الإسهام فيه لم يحصل على فرصته فشواغر المواقع لم تكن متاحة له، ومع انه كان خريج مدرسة دينية ويحمل اجازتها المعترف بها آنذاك، لم يكن يرغب ان يكون إماماً لمسجد أو لجامع، ولا سعى بعد ذلك ان يكون قاضياً أو واعظاً دينياً.. كان في هذه المرحلة يطالع ويدرس ويفكر. كانت له تطلعاته الاستشرافية.. وهذا أمر كان ملفتاً للنظر، فكل عناصر بعثة التيمية الذين تخرجوا بعد ذلك من الأثرية كانوا يشتركون معه في هذه التطلعات وقد أنتجوا أعمالاً فيها لخدمة أمتهم ووطنهم كزملائه الاستاذة في الدعوة والارشاد كالشيخ عبدالله بن علي المحمود واخيه الشيخ محمد، ومحمد سعيد بن غباش، وعلي محمد الشرفاء ورفاقهم كانوا يعملون من أجل غد أفضل لأمتهم العربية والاسلامية من ذلك دعوتهم لانهاضها وازاحة كابوس الاستعمار عنها وزجها في مدار فلك التقدم والازدهار.

شيء من التفصيل

بعد هذه المقدمة الموجزة عن الناخي والمناخ الاسلامي الذي عاش فيه ندخل الى مفتتح تحليل خطابه الدعوي.. وهو خطاب تتألف مادته من ابانات الناخي عما ظل يختلج في نفسه باستمرار مما كان يعانيه من أجل اصلاح وتوجيه أو محاولة تصويب ما يراه من انحرافات في المجتمع الاسلامي.. كان يعبر عن تلك المعاناة بالكلمة الصادقة، ويستشهد بالمأثور من الكتاب والسنة أو بالشعر أو المقالة، أو بخطب يلقيها مراراً في المساجد أو في الاحتفالات المناسبية.. أو حتى في اللقاءات القصيرة كانت وسائل ايصاله لآرائه الى الآخرين متعددة كالكتابة في الصحف - وكانت هذه الكتابة قليلة - أو عبر رسائل تلقاها الآخرون منه، أو في لقاءاته في مجلسه أو مجالس الآخرين بالشارقة أو بالامارات الاخرى، أو خارجها كما يفعل في زياراته للهند أو البحرين أو قطر، بل انه قد يستغل أي جسر ابلاغي لإيصال كلمته الطيبة.. وقد يتحول من أجل ذلك الى مراسل صحفي كما فعل في رسالته «المقالة» التي بعث بها الى مجلة الفتح القاهرية للتعريف بالمسلم النمساوي المدعو محمد أسد (ليوبولد فايس)، وفي رسالته الأخرى الى الفتح عن العالم المسلم الهندي الشيخ محمد عبدالعليم الصديقي.

كان اذا دخل في التمهيد لأي خطاب دعوي يوجهه فلا يسترسل فيه ويقصد فيه الى هدفه مباشرة. كانت شجاعته الأدبية في توجيه خطابه الدعوي لا تحتمل قولين مثل مخاطبته لحاكم رأس الخيمة الشيخ سلطان بن سالم القاسمي في الضرب على أيدي قطاع الطرق والقضاء على الفتن التي تنخر في جسم الأمة، إذ خاطبه في

ذلك شعراً فقال:

ما في السكون وفي الأناءة راحة
فانهض وجرد للشرور حساما
فاذا ركبت فكل شر قابع
واذا غضبت فكلهم ألآما

***

وبتفصيل أدق فقد واجهنا في تحليل خطاب الناخي ظاهرة فقدان ذلك الخطاب الدعوي المترامي الأطراف المغدق العطاء.. الذي قد نجده عند بعض الدعاة المتميزين في عصره ذلك الذي ربما لا نجد بعضه عند الناخي بسبب قلة ما تحت أيدينا من مواد ذلك الخطاب.. مما ليس للناخي يد فيه، فقد تكون لديه حصيلة جيدة من مواد ذلك الخطاب، ولكن قصرت أيدينا ويد جامعي بقية تراثه من الحصول عليها، وقد يكون شغل في حياته بالدعوة الاسلامية العملية.. عن الاهتمام بحصر مواد خطابه الدعوي والاحتفاظ بها.

نصل الآن الى الدخول في معمعان تحليل الخطاب الدعوي عند الناخي بتقديم نماذج من مواد ذلك الخطاب، إلا انه يجدر بنا قبل ذلك اعطاء اضاءة عن البدايات الأولى لكتابات مثقفي الخليج الأولى في الصحف المصرية بسبب ان أول ما نشره الناخي من خطاب دعوي كان في مجلة الفتح المصرية.. فقد وجدت أولى كتابات مثقفي الخليج أواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين في مجلة المقتطف المصرية.. فقد ظهر فيها كتابة في صورة رسالة عام ١٨٩٢ باسم حسين منديل.. ثم ظهرت كتابتان اخريان

في المجلة نفسها عامي ١٨٩٩ و١٩٠٢ باسم الشاعر حسين بن مشرف.. وبعدهما ظهرت كتابتان في صورتي رسالتين الى المقتطف ايضا.. الأولى باسم ناصر مبارك الخيري عام ١٩١١، والأخرى باسم الشاعر عبدالله بن محمد الشارخ عام ١٩١٤، ومن الطريف ان الرسالة الأخيرة كانت تسأل في الفن التشكيلي متخذة من لوحة الموناليزا للفنان ليوناردو دافنشي مادة لها.

ذلك في مجلة المقتطف، أما في مجلة المنار القاهرية فإن هناك كتابات ظهرت لخليجيين مثقفين عام ١٩٠٣ و١٩١١. وفي مجلة الهلال المصرية ظهرت كتابات لأولئك المثقفين عامي ١٩١٩ و١٩٢٢. كما ظهرت في الفتح كتابات أخرى لأولئك المثقفين ايضاً نشرت في الصحف المصرية اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين كانت صادرة من مثقفي الخليج البحرينيين عن طريق مكتب بريد المنامة ذلك الذي كان قد افتتح في ٢٠ يوليو ١٨٨٤. ويمكن الرجوع من أجل التوسع في هذا المبحث الى الكتابات الأولى الحديثة لمثقفي البحرين من ١٨٧٥ ـ ١٩٢٥ الصادر بالقاهرة ١٩٧٨.

نصل الآن الى تقديم نماذج من خطاب الناخي الدعوي ممثلة في نصوص مقالات نشرها في مجلة الفتح.. أو القاها في بعض المحافل، أو حتى انه كتبها ولم ينشرها.. فالى بعض النماذج في ذلك:

نموذج أول .. الفقرة الأولى

نص مقالة قصيرة بعنوان «الدعوة الى الاسلام» وهو نص نشرته مجلة الفتح القاهرية بالعدد ٣٩٨ في ١٩ صفر عام ١٣٥١هـ - ٢٢ يوليو ١٩٣٢م يتحدث فيه مبارك الناخي عن العالم الهندي محمد عبدالعليم الصديقي.. والنص قصير ويتألف من ثلاث فقرات:

الأولى: اخبارية اعلامية عن ذلك العالم الهندي المسلم وعن حركته الدعوية.. ويظهر من سياق هذه الفقرة ان الناخي أعجب كثيراً بحركة هذا العالم الذي كان يجوب القارة الهندية لنشر الدعوة الاسلامية وتبليغها الى اكثر قطاع من الشعب الهندي وبنجاحه القياسي فيها، ويبدو من احتفال الناخي بهذا العالم الاسلامي الهندي هذا الذي ربما كان تبليغياً أو ذا اتجاه دعوي اسلامي آخر.. وما أكثر الاتجاهات الدعوية الاسلامية في الهند آنذاك ولكن الناخي لم يقل شيئاً واضحاً عن ذلك.. كل ما قال: «وما هدى الله على يديه من مختلف الأمم والأديان بهذه البلاد. فسرني ذلك جداً ودعوت الله ان يكثر في العلماء من امثاله» أي انه أعجب بطريقته في نشر الدعوة الاسلامية.

لقد اتخذ الناخي من تعريفه بالعالم الهندي وبدعوته جسراً اعلانياً عن رؤيته الناقدة لانشغال اكثر مسلمي العالم عما أخذ الله عليهم من ميثاق وعما اعرضوا عنه من التمسك بدينهم إلا قليلاً منهم. ومن المعلوم انه كانت هناك في الهند أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين عدة جماعات اسلامية دعوية من أهمها الجماعة الاسلامية وجماعة التبليغ، وندوة العلماء بالاضافة الى بضعة عشر اتجاهاً دعوياً اسلامياً.

نموذج أول

الفقرة الثانية والثالثة

في الفقرة الثانية من النموذج الأول يواصل الناخي عبوره لجسر ايصال رؤيته الى متلقيها من قراء مجلة الفتح وهو يرى فيها وقد تخلص من اظهار تألمه فقط للمسلمين وتحول الى داعية اسلامي يكشف حاجة الاسلام الى دعاة يبثون في مشارق الارض ومغاربها. ثم لا يقف عند ذلك فيتقدم بمبادرة الى تأسيس جمعية اسلامية في مصر تكون دعوية عالمية. من أجل ادخال غير المسلمين في الاسلام - عبر برنامج موجه بالدرجة الأولى الى آسيا وافريقيا وان تدعى هذه الجمعية باسم جمعية الدعوة الى الاسلام.

وفي هذه الفقرة ايضاً يواصل الناخي طرح مبادرته ويتوسع فيها فيتحدث عن علاقة مبادرته تلك بأوروبا ونشر الاسلام فيها وتبيين محاسنه وهدايته، مع الأخذ في الاعتبار ازجاء العناية بأبناء المسلمين في أوروبا، ويقول في ذلك: «لأن كثيراً من ابناء المسلمين لا يعرفون من الاسلام إلا اسمه فينشأون جاهلين بدينهم ومن السهل اضلالهم وتشكيكهم في أمر دينهم لأنهم لم يتمسكوا من الاسلام بلبابه وجوهره ولما ترسخ العقيدة في قلوبهم»، وبذلك فالناخي هنا كان قد سبق الكثير من الدعاة المسلمين في التفكير بمصير أجيال المسلمين في البلاد غير الاسلامية فيأتي بشاهد على ذلك فيقول: «بل قد أضل دعاة الالحاد والمبشرون الجمع الغفير من ابناء المسلمين واحداثهم وألقوهم في بؤر الشكوك والالحاد والزندقة.. ففي مصر اليوم كثيرون ممن ذكرت وفي الهند

والشام والعراق عدد ليس بالقليل.

هذه حسب رؤيتي أهم ملامح الخطاب الدعوي عند الناخي من خلال نصه «الدعوة الى الاسلام» الذي جئنا به من خلال الصفحات السابقة كنموذج أول لايضاح مستوى الفكر الدعوي عنده.. ذلك الذي يتوزع الى مسارات ثلاثة أولها كشف المآخذ والتجاوزات بين المسلمين في حركة دعاتهم. وثانيها: الى تشخيصها. وثالثها: الى محاولة وضع حلول لها.

إذاً، فالناخي لم يكن متكئاً على النقد الذاتي للأفكار التي يراها محتاجة الى تصويب آنذاك فحسب، بل انه كان ايضا يقدم مبادراته الى تصويبها واصلاحها.. فهو هنا حيالها كالمفكر المنظر، وليس صاحب خطاب دعوي فحسب.

نموذج ثان

نأتي الآن بنموذج ثان من الخطاب الدعوي عند الناخي.. هذا النموذج سنأخذه ايضاً مما قد نشره الناخي في مجلة الفتح القاهرية تلك التي ربما كانت الصحيفة الوحيدة التي نشرت مواد قليلة من خطابه الدعوي.. ومنها تلك المقالة الترجمية الموجزة عن حياة وعمل السيد النمساوي الأصل والمسلم ديناً الأستاذ محمد أسد المدعو (ليوبولد فايس) التي قال فيها بعد مقدمة متوسطة الحجم: «.. فاذا بالشيخ عبدالصمد ومعه الشيخ محمد أسد قد أقبلا قمت للسلام عليهما، ومددت يدي لمصافحة الشيخ محمد أسد قائلا: اهنئكم اولاً وقبل كل شيء بالهداية الاسلامية واكثر الله في المسلمين امثالكم واشكركم على ما تسدونه وتقومون به من خدمات بحق الاسلام والمسلمين»(٢).

ثم تابع الناخي كلامه قائلا: «لهذا جئت اعرف اخواني المسلمين في مشارق الارض ومغاربها وأخص من بينهم قراء الفتح الكرام بالشيخ محمد أسد النمساوي الأصل، الذي تشرف بالهداية الاسلامية هو وزوجته وربيبه عام ١٣٤٤ في برلين على أثر بحثه الأديان وتطوافه كثيراً في البلاد العربية والشرقية.. وكان يبلغ من العمر آنذاك خمساً وعشرين سنة..»(٣).

وتحدث الناخي عن زوجة محمد أسد وعن ربيبه فقال: «وزوجته كانت تدعى في الأول (الزا ولس ELSA WELSS) وتسمت بعزيزة، ولها من العمر سبع وعشرون سنة وربيبه وكان يدعى في الأول (هنري شيمن HENRY SEHEIMAN) وتسمى بأحمد وله من العمر تسع سنوات، وكانوا يدينون قبل الاسلام باليهودية»(٤).

وقال عنه وعن تطوافه بالبلاد العربية والاسلامية منذ عام ١٣٣٩هـ وعن فقده لزوجته بالوفاة وانه كان مراسلاً لبعض الصحف الاسلامية، وانه توجه الى نجد بدعوة من الملك عبدالعزيز آل سعود، وبقي في نجد قرابة ستة أشهر، وانه استقر بعد ذلك في كشمير، واقام مطبعة في عاصمتها (سرنيكار) وألف كتابه المعروف «الاسلام على مفترق الطرق»، وقام بترجمة صحيح البخاري الى اللغة الانجليزية(٥).

هذا أهم ما قاله الناخي عن الشيخ محمد أسد.. وهو فيما أعرف أول ترجمة عنه تسجل في حياته وأعماله لخدمة الاسلام والمسلمين.. وأهمية هذه الترجمة تكمن في لقاء الناخي بمحمد أسد بعد اسلامه بعشرة اعوام والجلوس اليه في بومبي كثيراً، كان بعضها بصحبة صديق الناخي الشيخ المولوي شرف الدين، وقد كتب ترجمته عنه مباشرة بحضوره.. وربما والحالة هذه ان

يكون الشيخ محمد أسد هو الذي اعان الناخي للكتابة عنه وعن حركته، غير ان الناخي تأخر عن نشر ترجمته هذه عامين على لقائه به في بومبي آخر عام ١٣٥٤هـ ـ ١٩٣٥م إذ لم تظهر الترجمة منشورة إلا في عام ١٩٣٧ ويظهر بعدها انه لم يشتهر للناخي شيء من النشر في الفتح.. ربما عوقه عن ذلك نشوب الحرب العالمية الثانية ثم ما كان بعد ان وضعت الحرب اوزارها من انشغاله بالتعليم في قطر ابتداء من عام ١٩٤٨.

وهنا لابد من وقفة قصيرة مع نص ترجمة الناخي عن محمد أسد.. فليس ما جئنا به منها كنموذج آخر من الخطاب الدعوي عند الناخي بعد ذلك مباشرة ولكنه يندرج تحته لكونه تبليغاً اعلامياً عن نشاط اسلامي أشاعه مفكر اسلامي نمساوي لمصلحة الحركات الاسلامية الجديدة المتطورة آنذاك وخاصة في شبه القارة الهندية ومصر وجنوب شرق آسيا.. فهناك مطبعة ألمانية جديدة وهناك اصدار كتب جديدة وترجمات جديدة للتراث العقيدي الاسلامي باللغة الانجليزية والاوردية.

يقول الناخي: «ومن خدماته الجليلة ـ أي محمد أسد ـ ان ألف كتاباً بالانجليزية وسماه الاسلام على مفترق الطرق.. ومن خدماته ايضاً انه قام بترجمة صحيح البخاري الى اللغة الانجليزية مع شرح جديد له وقع في ثلاثين جزءاً وقصده الوحيد من الترجمة لصحيح البخاري افهام اخواننا مسلمي الهند، الذين لا يعرف معظمهم اللغة العربية».

ان ما فعله الناخي هنا من تبليغ اعلامي عن هذا النشاط الدعوي الذي قام به الشيخ محمد أسد لمصلحة انهاض المسلمين هو شبيه بما كان يقوم به الشيخ عبدالعزيز الرشيد ـ في تلك الفترة

- وبصورة أوسع في كل من اندونيسيا وجنوب شرق آسيا حيث وصل الأمر بالرشيد هناك الى اصدار صحيفة الكويت والعراق لتغطية شيء من النشاط الدعوي الاسلامي ليس في جنوب شرق آسيا وانما في العالم الاسلامي، ولم يكن ذلك غريبا على الرشيد فقد كان الرائد الأول في موقعه آنذاك.

إلا ان الناخي الذي ظل يؤدي خطابه الدعوي الاسلامي بالقيام بأنشطته من خطب ومحاضرات في داخل بلاده أو خارجها.. وكذلك بالنشر في الصحف أو عبر الرسائل البينية مع اصحابه طيلة حياته، لم يحاول ان يدرك كم هو مهم جداً وكبير ذلك الدور الذي يؤديه - من خلال خطابه الدعوي - وكم هو خطير ومؤثر في المجتمعات التي ينشط فيها.. وإلا لكان اكتشف ان عليه ان يطوره ويستثمره لجني نتاجات دعوية جديدة لصالح مجتمعه آنذاك، وكذلك لصالحه هو ان استطاع ان يوظف هذا الدور في التوصل الى تحقيق بعض طموحاته مثل اقامة جمعية دعوية اسلامية جديدة مثل التي يقول عنها لقراء الفتح: «..واني لأقترح على أرباب الغيرة والدين من اخواني المسلمين في انحاء المعمورة ان يسعوا الى تأسيس جمعية في مصر يطلقون عليها جمعية الدعوة الى الاسلام يجعلون لها فروعاً في كل عاصمة من عواصم الغرب، وفي كل بلدة من بلدان الشرق»(٦).

ومثلما اقترح من تكوين جمعية كان يمكن ايضا اذا ما روعي دوره كصاحب خطاب دعوي ان يصدر صحيفة ولو كانت فصلية أو ما شابهها من وسيلة اعلامية تندرج تحت الاطار الدعوي الاسلامي الذي انتظر المتلقي الخليجي في الامارات ربع قرن بعد الحرب العالمية الثانية حتى يتحقق له شيء من ذلك. فظهرت

الجامعات والجمعيات الاسلامية، والصحف الاسبوعية والدوريات ووسائل الاعلام الاسلامية الأخرى، وقد اقر الله عين الناخي فلم يغادرنا الى رحمة الله إلا وقد رأى كل ذلك ومن أهمها بالنسبة له كشارقي مركز الدعوة الاسلامية في الشارقة.

نموذج ثالث

ايضاً سنأخذ نموذجنا الثالث في الخطاب الدعوي عند الناخي من مجلة الفتح القاهرية.. فهي تعتبر الجهة التوثيقية الوحيدة لما أداه الناخي من خلالها لعدة مرات، من خطاب دعوي اسلامي، فقد نشرت له اخيراً وفي العدد ١٩٣٩/٦٦٧ خطبة بعنوان (في سبيل فلسطين).. كان قد ألقاها الناخي في جامع الشارقة قبيل الحرب العالمية الثانية من أجل حملة تبرع لفلسطين، ولم تذكر الفتح تاريخ إلقاء الخطبة.. كل ما قالته هو: «في سبيل فلسطين.. خطبة ألقاها الفاضل الغيور الشيخ مبارك بن سيف الناخي في جامع الشارقة».

وقبل ان نستقرىء الخطبة باعتبارها جزءاً من خطاب الناخي الدعوي العام.. لابد من وقفة تنويرية لعلاقة الاتصال والمثاقفة والتعليم بين الخليج العربي وفلسطين.. تلك التي بدأ ذكرها آنذاك يصل الى اسماع الخليجيين ضعيفاً بعد الحرب العالمية الأولى، حيث بدأ متعلموهم في التعرف عليها وعلى قضيتها التي برزت معقدة بتعهد بريطانيا باقامة دولة يهودية فيها.. لقد قرأ الخليجيون عن ذلك في المنار القاهرية.. إلا انه كان لجريدتي الشورى والاخبار القاهريتين الدور الأساسي - خلال عشرينات القرن العشرين - في التعريف بها والدفاع عنها بصورة مستمرة، وكذلك فعلت صحف عربية اخرى في العراق وسوريا ولبنان.

لقد عبّدت جريدة الشورى بحركتها في الدفاع عن فلسطين الطريق في تعبئة شعور العرب والمسلمين وتنميته لصالح الدفاع عنها.. ولقد وسع الخليجيين ما وسع اخوانهم العرب.. فبذلوا ما وسعهم ان يبذلوه لنصرة فلسطين.. ولقد بقي الشعور بالانتماء العربي المسلم متبادلا بين الخليجيين والفلسطينيين دون اتصال حميمي مباشر حيث لم تكن الفرصة سانحة.. وحين سنحت استغل مثقفو الخليج مناسبة تكريم الشاعر أحمد شوقي بامارة الشعر العربي في ابريل من عام ١٩٢٧ فشاركوا بفعالية في تلك المناسبة وقد مثلهم في ذلك النادي الأدبي بالبحرين بهدية جليلة وبنص شعري بليغ وقد شارك في تقديم ذلك يدأ بيد رمز فلسطيني كبير هو الأستاذ محمد علي الطاهر صاحب جريدة الشورى.. وقد رد أحمد شوقي على ذلك بنص شعري جليل قال فيه:

قلدتني الملوك من لؤلؤ البحرين

آلاءها ومن مرجانه

نخلة لاتزال في الشرق معنى

من بداواته ومن عمرانه(٧)

ثم ما كان من الاتصال المباشر الثاني بين مثقفي فلسطين ومثقفي الخليج عام ١٩٢٨ من خلال وفد ثقافي خليجي زار فلسطين وحط رحاله في القدس فاحتُفي به فكان ان قدم اول اعانة خليجية متواضعة الى اخوانه هناك.. كان الوفد يتألف من الشاعرين قاسم بن محمد الشيراوي، وعبدالله الزائد، والتاجر المحسن عبدالرحمن حسن القصيبي.. لقد تابعت جريدتا الشورى الفلسطينية والاخبار المصرية هذا النشاط التواصلي الفلسطيني - الخليجي، ونشرت اخباره اولاً بأول(٨).

ثم جاء الاتصال المباشر الثالث حين ربط الأستاذ عبدالله الزائد اقامة جسر التنمية الثقافية في الخليج العربي في أولى مراحله بانتداب المجاهد الفلسطيني الاستاذ الشاعر ابراهيم نوح الى البحرين عام ١٩٣٤ لتدريب عمال مطبعة البحرين لاعدادهم لاصدار جريدة البحرين.. بعد ذلك ازداد وتعمم ذلك الاتصال الثقافي ثم التعليمي بقدوم المعلمين الفلسطينيين الى الخليج ابان منتصف ثلاثينات القرن العشرين بدءاً بالكويت ثم بقية بلدان الخليج تباعاً كما هو معروف ومألوف(٩).

لذلك فإنه عندما طرق سمعي - مراراً - تلك المقولة التي تشير الى أن الأستاذ مبارك الناخي لم يكن ليأخذ قضية فلسطين بجد حتى قرأ كتاب (النار والدماء.. في فلسطين) فقام للدفاع عنها ونصرتها.. لم اقتنع فإن رصدي واستقرائي لحركة مثقفي الامارات في النصف الأول من القرن العشرين يناقض ما يشير اليه معنى المقولة.. فإن فيما تقدم من فصول هذا الكتاب من مسح للعلاقة المبكرة الحديثة بين مثقفي الخليج واخوانهم مثقفي البلاد العربية وكيف كانت وطيدة ومتجددة ما لسنا بحاجة الى التذكير به الآن.

لذلك فحين تحدث الناخي عن فلسطين في خطبته (في سبيل فلسطين) التي نحن الآن بصدد عرضها كنموذج ثالث للخطاب الدعوي عنده ما كان ليحتاج - في رأيي - لا هو ولا رفاقه من مثقفي الامارات الى أي مطبوع ليثير لديهم ردة فعل فيما هم فيه من الالتصاق بقضية فلسطين التي يتابعونها عبر المذياع التي كانت قد تسللت اجهزته القليلة الى الشارقة ودبي آنذاك، وكذلك عبر صحف الفتح والشورى والاخبار كما اسلفنا.

ان حركة الناخي عبر ما عبر عنها في خطبته المهمة عن

فلسطين ان هي إلا جزء من حركة مثقفي الخليج العربي وتجاره في دعم فلسطين والدفاع عنها ـ آنذاك ـ مؤازرة لثورتها المسلحة التي تفجرت عام ١٩٣٦ بقيادة المجاهد عزالدين القسام، الذي كانت له صلات وصداقات برموز الاصلاح الاسلامي في الخليج، وقد قام بعض هؤلاء بمعاونة ثورته مادياً ومعنوياً.. وبشيء من التفصيل فقد تكونت لجان أهلية في معظم مناطق الخليج لجمع التبرعات لتلك الثورة ولاسعاف ايتام فلسطين، فقد كان لصحيفة «الخليج» الاسبوعية الأولى في«البحرين» دور اساسي في هذا المجال فقد تركت لنا هي والصحف العربية آنذاك معلومات جيدة عن هذا الموضوع .. منها ما جاء فيها من احصاءات عن حجم المبالغ التي جمعت في مناطق الخليج.. مما سيذكر الناخي بعضه في احدى فقرات خطبته في سبيل فلسطين التي نحن الآن بصدد استقرائها.. وحين ندخل في تفصيل ذلك نجد الناخي حين يقف كأي رجل يذكر قومه في مجتمعه ويعرفهم بمأساة فلسطين آنذاك، نجده لا يخرج في صياغة خطابه الدعوي عن الأسلوب السائد والمألوف في اثارة الترغيب في متلقي خطابه. فيستشهد بآي من الكتاب، وبأحاديث نبوية في الحث على التآزر والتواد والتراحم بين المسلمين فيقول: «وممن يجب الاهتمام بهم اليوم اخواننا عرب فلسطين الذين منذ اصيبوا بالاستعمار وابتلوا بالصهيونية وهم في عذاب وشقاء مقيم، ثم يستشهد بأبيات من شعر الشاعر محمد صادق عرنوس الذي يقول:

«لا يوجد اليوم في الدنيا مصابونا

أحق بالعطف من جرحى فلسطينا».

ثم يشير الناخي الى ان قضية فلسطين تخص عامة شعوب

العالم الاسلامي وليس العرب وحدهم: «ان مسألة فلسطين تهم المسلمين كافة في مشارق الأرض ومغاربها على اختلاف مللهم ونحلهم وتباين أصولهم وعناصرهم)، ثم يقول ان اعتداء اليهود على فلسطين اعتداء على الأمة العربية.. ثم يذكر الممارسات الجهنمية التي يقوم بها الانجليز واليهود فيها من أجل الاستيلاء على المسجد الأقصى، ويتمثل ببيت من قصيدة اندلسية تحكي ضياع الاندلس من أيدي العرب والمسلمين:

«لمثل هذا يذوب القلب من كمد
ان كان في القلب اسلام وايمان».

ثم لم يفت الناخي ان يعطي فكرة عن حركة عرب الخليج من أجل فلسطين في مجال نصرتها والدفاع عنها فيقول: «ما من بلد من البلدان العربية ولا قطر من الأقطار الاسلامية إلا وقد سعى أهله لجمع اعانة وقدموها لاخوانهم منكوبي فلسطين، وفي مقدمة عرب الخليج اخواننا الكويتيون جزاهم الله خيراً، فقد جمعوا نحواً من اربعين ألف روبية، وقدموها لاخوانهم المنكوبين في العام الماضي، وقد نوهت عنهم الجرائد بالذكر ان امرأة من المحسنات في الكويت تبرعت بثلاثة آلاف روبية في هذه الاعانة فمرحى لهذه الأريحية الفذة ومرحى مرحى لهذه المؤمنة».

هذا ما كشف عنه الناخي من قوة حركة الخليجيين في نصرة اخوانهم الفلسطينيين. ان في حديثه عن هذا الموضوع رد واضح آخر على مقولة ان الناخي كان غافلاً عن مجريات قضية فلسطين آنذاك.. ولم يكن متابعاً لها حتى قرأ كتاب «النار والدمار في

فلسطين»؟! أيكون كذلك من قال في خطبته بجامع الشارقة الآتي:

«وفي مقدمة عرب الخليج اخواننا الكويتيون جزاهم الله خيراً فقد جمعوا نحواً من اربعين ألف روبية، قدموها لاخوانهم المنكوبين في العام الماضي». يذكر ذلك ثم يتبعه بشيء من التفصيل فيخبر مستمعيه في الجامع بالمرأة الكويتية الجليلة التي تبرعت بثلاثة آلاف روبية من اجل فلسطين. أليس من يقول هذا وقبل عام من وقوفه خطيباً بالجامع هو من متابعي وراصدي قضية فلسطين آنذاك؟

ان شيئاً مما حدث في الكويت حدث مثله في البحرين.. ربما بصورة اكثر تنظيما فقد شكلت لجنة عام ١٩٣٩ لانقاذ ايتام فلسطين برئاسة وزير المعارف الأول الشيخ عبدالله بن عيسى الخليفة وامانة سر عبدالله الزائد وظلت تجمع التبرعات وترسلها الى جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة عن طريق رئيس اللجان العام الاستاذ عبدالحميد سعيد.. رئيس الجمعية الذي كان يوقع ايصالات التبرعات باسمه، ولا شك ان الامارات برموز الثقافة والتجارة فيها - بمن فيهم الناخي قد استطاعوا ان يسهموا آنذاك في مساعدة اخوانهم الفلسطينيين.. ربما بأكثر مما فعل الكويتيون أو البحرينيون، ولكن لم نعثر حتى الآن على اشارة كتابية عن ذلك.. وقد ظهر فيما بعد ان ما جمع من تلك التبرعات كان كبيراً، رغم كساد تجارة اللؤلؤ بظهور اللؤلؤ الياباني ونشوب الحرب العالمية الثانية.

وحينما نقترب مع الناخي من اتمام خطابه الدعوي عن فلسطين نراه يدخل في حلقة تساؤلات استفزازية مثيرة يقوم فيها باستفزاز نخوة مستمعيه.. ليشدهم معه في تقمصه هو لحالة استفزازية

استنفارية ربما جديدة عليه ولكنها مسته باحساس ذي غليان داخلي أفرز أسئلة كاد يصبها الناخي في قالب ابداعي فيقول:

من لم تهمه مسألة فلسطين.. فماذا عسى ان يهمه؟ من لم تستفزه حوادث فلسطين.. فماذا عسى ان يستفزه؟ من لم يحرك عواطفه ويثير شعوره أنين شكوى فلسطين.. فماذا عسى ان يحركه ويثيره؟ من لم تؤلمه وتبكيه مصيبة فلسطين.. فما عسى ان يؤلمه ويبكيه..؟ من لم تدم فؤاده حالة فلسطين.. فماذا عسى يدميه..؟

من لم يحس ويشعر بواجبه الديني نحو فلسطين.. فماذا عسى ان يحس ويشعر؟!

ثم لا يتوقف الناخي عن صب سيل تساؤلاته فيختم خطابه الدعوي في خطبته بجامع الشارقة بالدخول في حالة ندمية بكائية قائلا:

ايها المسلمون .. أين الدين، اين الاسلام، أين الاخوة الاسلامية، أين الرابطة الدينية، أين التواد، أين التراحم، أين التعاطف، أين الغيرة الدينية.. أين الحمية الاسلامية.. أين الشهامة العربية.. أين الشفقة على الانسانية؟

الى هنا ونأتي الى نهاية استقرائنا الموجز للخطاب الدعوي عند الناخي، ذلك الذي رافق حركته الثقافية.. ولم يتخل عنه لا في خطابه الأدبي الذي سنأتي الى محاولة استقرائه في الفصل التالي ولا في خطابه عبر رسائله ـ منه واليه ـ تلك التي كان مجملها يشي بكل ذلك.

هوامش الفصل الرابع

١ ـ أول ادارات رسمية ثلاث للشؤون الاسلامية في الخليج العربي تأسست عام ١٩٢٨ وكانت كلها في البحرين وهي كالتالي: ادارتان للأوقاف، وثالثة لأموال القاصرين.. ومن قبل ذلك كانت اختصاصات هذه الدوائر وامثالها منوطة برؤساء القضاء الشرعي ببلدان الخليج.

٢ ـ مجلة الفتح القاهرية العدد ٥٩٠ عن محمد أسد العام ١٩٣٨/١٢.

٣ ـ نفس المصدر بالمجلة اعلاه.

٤ ـ نفس المصدر بالمجلة اعلاه.

٥ ـ نفس المصدر بالمجلة اعلاه.

٦ ـ مجلة الفتح القاهرية العدد ١٣٥١/٢٩٨هـ.

٧ ـ انظر ص ١٥٤ نابغة البحرين ـ عبدالله الزائد ـ طبع البحرين ١٩٨٨.

٨ ـ انظر هامش رقم ٢٤ من الفصل الثالث/ البيئات الثلاث.

٩ ـ نابغة البحرين/ عبدالله الزائد ـ ص ٨٢ طبع ٢ البحرين عام ١٩٨٨.

الفصل الخامس

١ ـ مقدمة
٢ ـ احتجاجية ـ معشر الفئران
٣ ـ شيء من الانتقاءات الشعرية
٤ ـ مجموعة انتقاءات الناخي
٥ ـ الناخي في شيء من شعره
٦ ـ هوامش

الخطاب الأدبي عند الناخي

مقدمة:

لم يكن الخطاب الدعوي عند الناخي ـ حتى محاولاته الابداعية فيه ـ ليخرج عن الاتجاه الاسلامي إلا قليلا وبعفوية تامة دون الشعور بذلك. ونظرا لمرافقتي الحميمة لذلك الخطاب بالاستقراء والتحقيق فقد اكتشفت ان هناك بعض جذور ابداع تكمن بين ثنايا خطاب الناخي الدعوي.. متمثلة في ذلك الأسلوب الأدبي الذي كان يظهر بين الفينة والأخرى في سرديات ذلك الخطاب.. مثلما اثبتناه من نص في آخر فقرات النموذج الثالث منه(١) الذي لم يحاول الناخي آنذاك ان يدرك ما للابداع في الشعر والأدب.. من دور في ايصال رأيه الابداعي الى الناس. ربما لم تكن لمسمى الابداع معرفة عند مثقفي الامارات آنذاك.

لقد قام الناخي بمد جسوره الخاصة في الثقافة والشعر والأدب.. وفي تنمية علاقاته برموز الفكر والقلم في البلاد العربية والاسلامية.. سواء كانوا دعاة اسلاميين أو غير ذلك من زعماء وشعراء وأدباء.. وقد نجح إذ قام باتصالاته المكثفة بكل مواقع اولئك الرموز فأصبح معروفاً أجلّ المعرفة بها. وقد رفد ذلك برسائله ولقاءاته.. ربما المتباعدة منها أو القريبة.. كان باعه طويلاً في ذلك.. بحيث اصبح فيما بعد جهة دعوية خيرية معروفة وموثوقة تبوأت الشارقة به وباخوانه رموز الاصلاح الاسلامي ممن ذكرنا اسماءهم في فصل سابق موقعاً مرموقاً منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية.

هذا في حركته الدعوية الاسلامية إلا انه لم يكن على هذا المستوى في حركة الفكر والأدب والشعر في الامارات، وهذا ما سنبحث عنه مثلا من بين شعراء النهضة العربية الحديثة في الامارات في النصف الأول من القرن العشرين(٢) فكتاباته في الفتح.. وربما في صحف أخرى.. مثل خطبه ومحاضراته تلك التي بها عمق ابداعي ليس بالكبير.. وكذلك هو في شعره القليل.. ولم يستطع الناخي اكتشاف موهبة له في الانتاج الفكري الابداعي المعروف ولم يخرج مقروءا على مستوى المقالة الأدبية أو القصة سوى حكاية صغيرة وضعها على لسان فأر دعاه زعيم الفئران.

لقد ضحى الناخي بزهرة حياته في التعليم وهو دور رسالي عظيم وخاصة في زمان كان المعلم فيه غاية في الاخلاص والتفاني في تأدية واجبه.. وفي مكان مثل الخليج العربي والبلاد العربية عرضة للهجرة من بلاده الى أماكن بعيدة في ظروف صعبة في المواصلات والعيش، وفي مثل هذه الظروف لم يستطع الناخي - ولا من هم في مثل حالته كمعلم واع - ان ينتج نصاً ابداعياً وافياً عن معاناته في التعليم آنذاك التي لا شك انها معاناة ثرية، وقد كان من الممكن ان يرث الاماراتيون ذلك وان يستفيد قراء العربية من رؤية الناخي الى الكون والحياة عبر تجربة حياته الثقافية في البلاد أو الخليج والهند.. تلك التي ان التمسنا له العذر في الكتابة عنها قبل الحرب العالمية الثانية فلا عذر له وقد عاش بعدها أكثر من ثلث قرن.. وفي محيط حضري متطور في وسائل الاتصال والنشر وفي فترة شاركه الظهور فيها أدباء وشعراء من الامارات والخليج لهم سمعتهم المرموقة في البلاد العربية(٣).

احتجاجية الفئران

مع ماتقدم فإن جذوراً من الابداع كانت تظهر - كما اسلفت - في ثنايا الخطاب الدعوي للناخي وسنحاول الكشف عنها في نموذج أو آخر مما كتب نثراً كان أو شعراً، فقد تبين لي من استقراء بعض ما يماثل نصوصاً ابداعية عنده.. انه كان يصدر فيها عن مجامر جمر يصطلي بها من الداخل فيكتمها ولا يكاد يبين اضطراراً.. لقد أسعفه ذلك الاصطلاء حين الجأه الى وسيلة يستطيع بها ان يفتح كوة من مخزونه الملتهب ليخرج منها بعض شواظها في إبانة ذات سردية قصصية أفرزت نصاً وضعه الناخي على لسان فأر دعاه زعيم الفئران.. قدم الناخي للنص، فقال:

«صورة للمحاضرة التي ألقاها زعيم الفئران في ناديهم الأدبي عشية ليلة الاثنين ٦ شعبان ١٣٩٣هـ الموافق ٣ ديسمبر ١٩٧٣، وكان الذي حضر هذا الاحتفال من الناس حوالي مائة.. ومن الفئران ما لا يقل عن ألفي فأر..!!».

لقد سمى الناخي النص محاضرة واجراه على لسان فأر.. ألبسه في البدء ثوب شارح عرض حاله وأنطقه بالآتي:

«ايها المواطنون: معشر الفئران الاشاوس.

ابناء وطني، اخوتي:

طالما سكتنا! وطالما تغاضينا، وطالما عفونا، وطالما تنازلنا عن حقوقنا وواجباتنا.. ولكن أبى الله إلا ان يطغى الانسان، وان يتمادى في غيه وظلمه وجوره.

أردنا ان نعيش كما يعيشون في جزء من هذه الأرض التي خلقها الله لنا ولهم.

اردنا ان نعيش في أسرابنا وتحت الجدران معرضين انفسنا للهلاك والبرد والدوس بالأقدام وعرضة للامطار والرطوبات راضين بالقليل، متنازلين عن جميع النعم التي خولها الله لبنى آدم، فهم في نعيم ونحن في جحيم، لا نكاد نخرج من اسرابنا لاستنشاق الهواء بضع دقائق إلا وقد انهال علينا من في البيوت من كبير وصغير من ذكر وانثى، ينقضون انقضاض الصقر على صيدته والأسد على فريسته..!! بدون حق وبلا رحمة وشفقة هذا ديدنهم، وهذا دأبهم.. !! يسعون في القضاء علينا واستئصال شأفتنا بلا هوادة.. يحاربوننا حرب ابادة تقتيلاً وتجريحاً بالحديد والعصي وبالألواح وبالنعال وبكل شيء يؤذي ويؤلم ويقتل.. ! طالما نحن قابلنا هذه الاعمال الفظيعة منهم، وطلبنا منهم ايقافها ومنعها، ولكن ابى الله إلا ان يتمادوا في غيهم وضلالهم وفي جورهم وظلمهم وعدوانهم».

ذلك ما يزيد قليلاً على نصف النص فقد اضطررنا الى فصله الى نصفين بسبب انه يبدو كذلك.. ففي النصف الأول يرى النص وكأنه رقعة مرافعة يقدمها زعيم الفئران.. أما النصف الثاني فيبدو مغايراً لذلك.. إذ تأتي الصياغة فيه وكأنها القرار النهائي الذي كان قد اتخذه الزعيم بعدما يئس من نجاح مرافعته.

ولن نتعامل هنا مع غير استقراء النصف الأول من النص.. الذي لسنا هنا ايضا مهتمين بالكشف عن خلفية الباعث الذي حدا بالناخي الى كتابته.. ربما تكون حادثة معينة أو ان تكون افراز تراكم مخالفات سلوكية أو اجتماعية رآها تضرب في نسيج مجتمعه المحافظ.. أو ربما ما كان يشعر به من ضغوط ممارسات سلطوية بريطانية على شعبه في الامارات أو البلاد العربية مما قد لا يعنينا الآن ذلك.

ما يعنينا هنا هو التعامل مع النص كمحاولة ابداعية كتبها الناخي عام ١٩٧٣ ولا نعلم عن خلفيتها شيئا كما قلنا سوى انها كتبت في بداية المناخ الثقافي الذي بدأ يطل آنذاك على الامارات بعد استقلالها مباشرة، ولا نعلم أي المواقع كتب الناخي فيها النص.. هل هي الشارقة أو الامارات الأخرى أو خارجها.

ومعلوم ان نص الناخي هذا رمزي الاشارة يتلخص النصف الأول منه في ابراز مشهد من مشاهد تنازع البقاء ليس بغريب تناوله من كتّاب آخرين كابن المقفع في كليلة ودمنة.. وما فعله الناخي هنا انه نقل بعض همومه في رد شكله في لوحة انطباعية ابرز فيها حركة عصيان ولدتها ضغوط.. فبدأت التحرك في ابداء آراء احتجاجية ذات تصور شكلي وتبرمي من ظلامات تعسفية حاقت بفئة مسالمة، إلا انها غير ذلك في جانب تحصيل معاشها وفي جانب ما يشعر به الانسان من نكدها وتنغيص حياته اجتماعياً وصحياً.

وما نود هنا اكتشافه في هذا المجال هو ماهية ذلك التكوين الذهني الذي تشكل عند الناخي بهذه الصورة الاحتجاجية قبل ان يطرحه في لوحة تمثل حركة عصيان.. وكيف وقع انتخابه على الفئران دون أي حيوان آخر مشاكس.. كل هذا التساؤل تجيب عنه اللوحة بأنها لوحة احتجاجية ذات مشهد واحد يتكثف في النصف الأول من الاحتجاجية «معشر الفئران».

تلك كانت محاولة استقراء النصف الأكبر من احتجاجية (معشر الفئران). أما النصف الأصغر منها.. فهاك نصه أدناه:

(واخيراً حيث لا يجدي الصالح معهم ولا التفاهم مع عقلائهم وزعمائهم.. صممنا على محاربتهم وعدائهم، وكلنا لهم الصاع

بالصاع حتى يرتدعوا عما هم فيه من الحرب والعدوان الأثيم.. أهبنا بشعوبنا ان توحد كلمتها، وان تعبىء صفوفها وان تقف لهم بالمرصاد آناء الليل واطراف النهار.. ولتقريض أرجلهم وأيديهم، ولأكل كتبهم وثيابهم ومفروشاتهم، وجميع حوائجهم وأمتعتهم.. كلوها بأضراسكم الحادة، مزقوها بأرجلكم.. خربوا لهم كل شيء.. وحينذاك سيعرفوننا جيداً من نحن معشر الفئران).

ذلك - هو النصف الأصغر من نص «معشر الفئران» الذي شكله الناخي في رؤية انتقالية من عصيان مدني احتجاجي ظهر - كما قلنا - في صورة مرافعة بها قدر كبير من الشكوى والتبرم.. الى مرحلة اجراء تنفيذي من قبل المحتجين.. وهي نقلة مواجهة مهمة.. يشي المنظر العام بها انه صادر عن ذهنية اضطرت ان ترد على ما اعتبرته ضغوطاً.. فلم تجد من وسيلة سوى ترك الاتجاه السلمي والانتقال الى المقاومة الفعلية.

يأتي الناخي بهذه اللوحة للنصف الصغير من معشر الفئران وكأنه يقول على لسانه «مكره اخاك.. لا بطل».

شيء عن انتقاءات الناخي الشعرية

ليس للكتابة النقدية وخاصة الحديثة منها نصيب كبير في نقد ما نظمه الناخي من شعر قليل.. إذ انه مقل جداً في هذا الاتجاه.. إلا ان ما ظهر لنا من حس شعري عنده لمما يجعلنا نقدم - بعد الحديث عن مختاراته من الشعر العربي - بعض نماذج رصينة من شعره تستحق الكتابة عنها.. استقراء أو ربما نقداً.

لقد بدأت تجربة الناخي الشعرية مثل تجربته في الكتابة النثرية لقد عثرنا على قصيدة له مؤرخه عام ١٣٤٠ وهو وقت كان فيه على وشك التخرج من المدرسة الأثرية بالدوحة.. وكتابة الشعر مبكراً عند طلاب مدارس التعليم الأهلي الاسلامي كانت ظاهرة مألوفة كان مما يسهل عليهم ذلك تلقيهم تلك المواد الاستظهارية في مناهج علوم القرآن وعلوم اللغة والفقه التي غالباً ما تأتي متونها مرجوزة شعراً مثل العشماوية في الفقه، والاجرومية في النحو.. وما يقرر على هؤلاء الطلاب فوق ذلك من استظهار الألفيات في اللغة والنحو والصرف كألفية ابن مالك مثلاً. وقد لا يجد طلاب هذه المدارس شيئاً من المتون المقرر عليهم حفظها إلا وهي مرجوزة او مقروضة شعراً، لذلك فإن المخزون الاستيطاني الذهني عند اولئك الطلاب، واساتذتهم لا ينضح إلا شعراً لذلك فقد كان من السهولة بمكان استشهاد اولئك الطلاب بشواهد من الشعر.. اثناء كتابة بحوثهم أو تآليفهم.. أو في إلقاء دروسهم أو محاضراتهم.. أو حتى في حواراتهم الثقافية والأدبية فيما قبل وبعد تخرجهم.. أضف الى ذلك ما كانوا يشجعون عليه من استظهار المعلقات السبع وكذلك المختار لهم من الشعر الجاهلي والاسلامي.

ولقد امتد تأثير هذا المنهج الجليل فأصبح معمولاً ببعضه في مناهج نظام التعليم الحديث في الخليج العربي.. ربما حتى نهاية النصف الأول من القرن العشرين.. وقد حصل لي شيء من ذلك اثناء تحصيلي الابتدائي الذي انهيته اواخر اربعينات هذا القرن فتمتعت شخصياً بحصولي على نتائج ذهنية طيبة أثرت خلفيتي الأدبية بسيولة التعبير وسهولة الاغتراف من مخزون استظهاراتي في الشعر والأدب.

فاذا كنا نحن الجيل الثالث والرابع من طلاب نظام التعليم الحديث في الخليج العربي في مثل هذا المستوى في الاستظهار والاحاطة بمواد أساسية في منهج علم الانسانيات، فكيف بمستوى المعلمين الاوائل فيه الذين من مواصفاتهم ان منهم من كان فقيهاً أو قاضياً أو شاعراً أو أديباً، لقد لحقت فالتقيت ببقية صالحة من هؤلاء واستفدت من بعضهم.. فيما يطول فيه ويعرض الحديث عنهم وعن مناخهم العلمي.. وما مبارك الناخي ورفاقه من رموز العلم والثقافة في الامارات العربية المتحدة والخليج العربي إلا شريحة من تلامذة هؤلاء المدرسين العلماء الفقهاء من حفظة العلم اللدني والدنيوي.. اولئك الذين كانت حوافظ ذواكرهم تتسع لعشرات من الاشرطة الحفظية المختزنة في أدمغتهم.. لا في حوافظ اوراقهم أو في ادراج مكاتبهم أو سياراتهم أو بيوتهم.. يقول الشافعي رحمه الله:

علمي معي حيثما يممت ينفعني
صدري وعاء له لا بطن صندوق
ان كنت في البيت كان العلم فيه معي
أو كنت في السوق.. كان العلم في السوق

مجموعة انتقاءات الناخي الشعرية

لقد توفر لمبارك الناخي شيء مجز من مواصفات هذا المناخ العلمي الثقافي الأدبي.. فلا غرو انه أحب الشعر واحترمه وقدّر الشعراء وأجلهم ولكن أي شعر وأي شعراء؟! تجيب عن ذلك مجموعة انتقاءات الناخي الشعرية الصغيرة.. تلك التي عثرنا فيها - بعد الاطلاع الدقيق عليها - على الروح الأدبية الانتقائية لدى الناخي إذ نراها واضحة في انتقاءاته الشعرية الجلية التي تولدت من عمق قراءاته للشعر واستظهاره له.. لقد كانت مواصفات انتقاءاته الشعرية هي الحكمة، والاخلاق الجليلة والإيثار، والتضحية، والشجاعة والسخاء وانكار الذات، وما في هذه القائمة من صفات حميدة وجليلة كمخافة الله وحب الاسلام والوطن والقوم، وصلة الرحم، واحترام الكلمة المقولة لعهد أو وعد أو ميثاق.

هذه الصفات.. وما يماثلها وضعها الناخي أساساً لانتقاءاته الشعرية في مجموعته الصغيرة المخطوطة بقلمه.. لقد ذهب ولم يتمها فبقيت نموذجاً أدبياً ينم عن خلفيته الأدبية بصدق. ولم يفرق الناخي في انتقاءاته الشعرية بين شاعر وشاعر من حيث القوة والضعف في الشاعرية. كان يهتم بانتقاء الشعر الجيد، وخاصة ما كانت اغراضه تتحدث عن الكون والحياة والموت والحكمة.

كانت ساحة انتقاءاته تبدأ من حقبة الشعر الاسلامي فالأموي والعباسي، ولم ينس شعر شعراء العصر الحديث حتى النصف الأول من القرن العشرين بما فيه من شعر شعراء المهجر.. ولكنه

لم ينتق إلا شيئاً قليلاً جداً من الشعر الجاهلي كشعر عبيد بن الأبرص، وأمية بن ابي الصلت حيث انتقى لكل واحد منهما بيتاً واحداً فاختار للأول البيت:

الخير يبقى وان طال الزمان به
والشر أخبث ما أوعبت من زاد

وللثاني:

إن تغفر اللهم تغفر جماً
وأي عبد لك لا ألما ..!

وقد تميزت انتقاءات الناخي الشعرية بقلة كمية الشعر المنتقى من أي شاعر - الذي لا يعدو ان يكون بين بيت واحد وأربعة، وعلى مستوى الشعراء فقد جاءت أكثر انتقاءاته من شعر أحمد شوقي.. ولم ينتق شيئاً من شعر شعراء الخليج العربي، ومن طريف ما انتقاه كانت بعض ابيات شعرية قال انها للكاتب الانجليزي الشهير توماس وهي في الثناء على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وقد جاءت في الموسوعة كالآتي:

عُلاك يقصر عن ادراكه الكلم
فلا اللسان له حول ولا قلم
لم تشهد الأرض والأجيال من قدم
الاك معجزة دانت لها الأمم
ولم نجد آية كبرى سواك بدت
للناس في طيها الاسرار والحكم

تمضي الدهور ويمضي في تعاقبها
جيل فجيل.. وأنت المفرد العلم
لولاك لم يك من مجد ولا شرف
للعرب سام.. ولم يخفق لهم علم

ومما اختاره الناخي من شعر الشاعر أحمد بن خيران الكاتب الأبيات الآتية:

أنا شيعي لآل المصطفى
غير أني لا أرى سب السلف
أقصد الاجماع في الدين ومن
قصد الاجماع.. لم يخش التلف
لي بنفسي شغل عن كل من
للهوى قرظ يوماً.. أو قذف

ومما انتقى من شعر الدكتور أحمد زكي أبو شادي الآتي:

الحق أضيع ما يكون إذا نأى
عن نصرة المتهالك المقدام
والشعب ان جهل الحياة وقدرها
هيهات ينصف حظه الحكام
واذا تفكك في المقام تعاون
فعلى الكرامة والحقوق سلام

أما من شعر أحمد شوقي فقد انتقى شيئاً أكثر من غيره ومنه قوله:

نصحت ونحن مختلفون داراً
ولكن كلنا في الهم شرق
وللمستعمرين وان ألانوا
قلوب كالحجارة لا ترق
ويجمعنا اذا اختلفت بلاد
بيان غير مختلف ونطق

ومما اختار من شعر الشاعر جميل صدقي الزهاوي البيت الآتي:

سئمت كل قديم عرفته في حياتي
ان كان عندك شيء من الجديد فهاتِ

ومن شعر الشاعر اسماعيل صبري اختار الناخي الأبيات التالية:

إرض للناس جميعاً
مثل ما ترضى لنفسك
إنما الناس جميعاً
كلهم ابناء جنسك
فلهم نفس كنفسك
ولهم حس كحسك
واختار الناخي بيتين اثنين للأمير الصنعاني:

سأذكر ما حييت جدار قبر
بظاهر جلق ركب الرمالا

مقيم ما أقامت (ميسلون)

يُذكر مصرع الأسد الشبالا

وقبل ان نودع الناخي في نماذج قليلة من انتقاءاته الشعرية في مجموعته الصغيرة.. لابد من القول اولاً ان الناخي كان قد استعان بمجاميع من مختارات شعراء وأدباء قبله.. مثل مختارات الشاعر سامي البارودي، والشيخ محمد بهجت الأثري، ومختارات آل عبدالقادر من الأحساء.

ولم يرجع الناخي في انتقاءاته الشعرية الى مجاميع المختارات الشعرية الكبيرة المعروفة على وقته.. والتي هي إما ان يكون واضعها أديباً خليجياً كالأديب الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد بن درهم من قطر باسم «نزهة الابصار» أو ان يكون واضعها قريباً من الخليج مثل سلافة العصر للأديب الحجازي أحمد بن معصوم، واخيراً فإن قيمة ما تؤديه مثل هذه الانتقاءات الشعرية في الاستنارة بها من قبل الأدباء الناشئين في تجاربهم الشعرية لهو شيء جليل فإنها تسهم في اعطاء جرعات لاثراء خلفية الأديب الناشىء.

ومع ان الناخي كان يعيش في حقبة شعراء النهضة الحديثة في الخليج العربي.. فلم يختر لأحدهم شعراً يضعه في منتقياته.. وبعضهم من اصدقائه، ويقيمون معه في الامارات وبالشارقة ودبي بالذات وهما مدينتان متجاورتان مثل الشعراء سالم بن علي العويس.. وأحمد بن سليم، ومبارك بن أحمد العقيلي، وأكثرهم كتب الشعر في استنهاض وطنهم الخليج والبلاد العربية. ربما لم يتأثر بهم لا هم ولا بشعراء النهضة في بقية مناطق الخليج على

وقته وهم عشرات مثل خالد بن محمد الفرج وعبدالرحمن المعاودة وأبو مسلم الرواحي وعبدالعزيز بن حمد المبارك فقد تجاوزهم، وبعضهم يعيشون معه حالة المشاركة في الشعور والتطلعات النهضوية.. ولكنه لم يشعر بشيء من اشعارهم، والظاهر انه لم يطلع على بعض اشعارهم النهضوية إلا متأخراً.. ربما لأن اتجاهه الاصلاحي الخيري واستغراقه العمل فيه لم يمكنه من ان يسمع شيئاً منها تلك التي لابد وان ينفعل بها مثل قول سالم العويس في انسان الخليج العربي:

يباديك من أهل الخليج ركود
وما هو منهم غفلة وركود
منازع في أهل الخليج صحيحة
وما في مقيم في الخليج بليد(٤)

أو قول الشيخ الشاعر عبدالعزيز بن عبداللطيف المبارك:

هل من مجيب اذا دعوت الداعي
ويعي الخطاب وأين مني الواعي
وتلاعبت فتيان اوروبا بنا
كتلاعب الصبيان بالمرصاع(٥)

أو قول عبدالله الزائد في الحرية من قصيدة طويلة:

يا غادة لمخضبيها بالدما
وصل وللمستعطفين صدود

ما كان سماك الورى حرية
إلا وحر البعد عنك شديد(٦)

أو قول مسلم الرواحي في مقصورته:

فيا صباحاه وهل من سامع
لصرختي وهل يجاب من دعا
وأصبح استقلالكم فريسة
بين كلاب النار يا أسد الشرى(٧)

أو قول الشاعر خالد محمد الفرج:

أنا شاعر لكن ببؤس بلادي
أفؤاد كم يا قوم مثل فؤادي
يا قوم ان مرضت بكم اوطانكم
كونوا من الآسين لا العواد(٨)

اولئك الشعراء الخليجيون وامثالهم الذين بعضهم فاق بشعره وشاعريته بعض معاصريه من شعراء الأمة العربية في العراق ومصر والشام والشمال الافريقي انه كان في وسع اولئك الشعراء الخليجيين الذين عايشهم الناخي في زمانه وبعضهم في مكانه، ولم يعرهم انتباهه، وفضل عليهم آخرين، ربما من ليسوا بأندادهم فوضعهم في مجموعة انتقاءاته.. كان في وسع اولئك الشعراء ان يفوزوا بشعرهم على بعض اقرانهم من الشعراء العرب وقد حقق

بعضهم ذلك في مسابقات لندن الشعرية(٩) إبان اربعينات هذا القرن.. ولسنا هنا في سبيل عقد المقارنات في هذا المجال، ولا اعلم حتى الآن ان كانت قد حدثت مثل تلك المقارنات.

وهكذا تحقق في اتجاه انتقاءات الاستاذ الناخي الشعرية معنى قول المثل الخليجي الدارج المعروف: «عذاري.. تسقي البعيد وتخلي القريب» وليس الناخي وحده هو الذي سقى البعيد وخلى القريب.. فكثير غيره من قادة الفكر والرأي في البلاد العربية لم يستطيعوا ربما حتى الآن ان ينقضوا معنى المثل بالنسبة للثقافة والفكر في الخليج العربي.

***

لقد كنا طلاب اربعينات القرن العشرين وخمسيناته ومن قبلنا من هم في ثلاثيناته وعشريناته.. نقرأ ونستظهر وننفعل بما اختاره لنا اساتذتنا الافاضل من البلاد العربية من شعر شعراء مثل البارودي وشوقي وحافظ ومطران، ومردم ومحرم والاخطل الصغير.. وليس من شمال افريقيا واليمن والخليج!!

وحين تعرف ابناء الخليج على اساتذتهم الأفاضل اولئك ظل هؤلاء الابناء عشرات السنين.. ربما حتى ستينات هذا القرن في معزل عن اكتشاف باحثين عن الثقافة والفن والأدب في الخليج من بين اساتذتهم اولئك.. ربما لم يدرك اولئك الاساتذة الافاضل ان من رسالتهم التعليمية التعرف على ثقافة وأدب وفن جزء من بلادهم العربية ان لم يكن من قلبها. لذلك لم يعثر طلابهم في اللغة والأدب ربما حتى سبعينات القرن العشرين على نماذج من انتقاءات اساتذتهم اولئك من شعراء الخليج مثل علي بن مقرب العيوني(١٠) وجعفر بن محمد الخطي(١١) أو السيد عبدالجليل ياسين

الطباطبائي(١٢) أو من شعر شعراء عمان ونجد وهجر أو من شعر شعراء العوامية(١٣) حيث كانت لهؤلاء وأولئك دواوين طبعت في الهند منذ اواخر القرن التاسع عشر.

ومثل ذلك ينطبق على شعر شعراء الخليج خلال النصف الأول من القرن العشرين.. فلم ير طلاب الأدب العربي في الخليج منتقيات اساتذتهم أو اخصائيي منهج الأدب العربي وواضعيه نماذج من شعر معري الخليج صقر الشبيب(١٤) أو سالم العويس(١٥) أو خالد الفرج(١٦) أو محمد بن عيسى الخليفة(١٧) أو عبدالمحسن بن محمد الصحاف(١٨) وحين نحاول تحليل هذه الظاهرة نجد ان هناك عوامل تتعلق بمناهج الثقافة والأدب في الخليج التي كان لنفوذ دولة الحماية البريطانية دور فيها، وعوامل أخرى تتعلق بمعوقات بالطبع والنشر ووسائل الاتصال.

ولكن اذا اوغلنا في تحليل هذه الظاهرة نجد لا شيء هناك من معوقات تقف أمام المعلم الباحث الذي يسعفه ادراكه ان لابد له من وضع مفترض من الاسئلة مثل انه جاء الى منطقة من مناطق بلاده العربية ليعطي فيها تعليماً وتنويراً، أليس لهذه المنطقة ثقافة وأدب وفن عربي هو جزء من كل عربي أليس لهذه المنطقة شيء من ذلك؟! أين شعراؤها وأدباؤها؟ ان مثل هذا المعلم الباحث المستكشف كان نادراً بين معلمينا العرب في الخليج خلال النصف الأول من القرن العشرين وربما حتى ستيناته كما اسلفنا. عدا ما قام به بعض المعلمين العرب الافاضل الذين حاولوا ان يشذوا عن قاعدة عدم الاهتمام بالثقافة والفن والأدب في الخليج آنذاك مثل الاستاذين عبدالله بن محمد الطائي، وعبدالفتاح محمد الحلو حيث نشر الأول في مجلة صوت البحرين ١٩٥٠ ـ ١٩٥٤

كتابات مسلسلة عن ثقافة وأدب الخليج. ثم اخرج ذلك في عام ١٩٧٢ في كتاب (الأدب المعاصر في الخليج العربي).

أما الثاني فله في ذلك كتاب شعراء هجر الذي اصدره عام ١٩٥٩ والذي كان له صدى كبير في الاوساط الثقافية العربية، ثم ما كان من الاستاذ ياسين الشريف(١٩) في اعادة نشر ديوان عبدالجليل الطباطبائي.

فأين هي تلك المعوقات أمام المستكشف الباحث اذا علمنا انه ومنذ مفتتح القرن العشرين كانت أدوات الطباعة الحجرية، والآلية موجودة في البصرة والبحرين، اضافة الى ما كان يفعله الخليجيون من طباعة كتبهم وكراساتهم على مطابع الهند الآلية والحجرية، لقد كانت هناك كتب ودواوين شعر خليجية ظهرت آنذاك نتيجة لذلك مثل ديوان جعفر بن محمد الخطي وعلي بن مقرب العيوني، وعبدالجليل الطباطبائي، ومطبوعات عُمانية وشرق افريقية عربية.

وابتداء من عام ١٩٢٢ ظهر المطبوع الخليجي المحلي مثل مجاري الهداية للربان راشد بن مقبل البنعلي في البحرين، ثم ديوان ابراهيم العريض الأول الذكرى عام ١٩٣٠ يليهما ديوان عبدالرحمن المعاودة(٢٠) عام ١٩٤٢، ثم الطبعة البحرينية الجديدة لديوان عبدالجليل الطباطبائي، كل ذلك خلال النصف الأول من القرن العشرين حيث كان لمطبعتي البحرين الحجرية والآلية من ١٩١٣ الى ١٩٤٨ دور في ذلك ومع هذا لم يكن لمعلمينا الافاضل وفيهم المتفوقون والأدباء والشعراء آنذاك.. وربما حتى الآن دور في رصد ذلك يوازي حركتهم الرسالية في التعليم.

***

لم يكن من اولئك من تعرف على الاستاذ الشيخ القطري عبدالرحمن بن أحمد عبدالله بن حمد بن درهم مؤلف نزهة الأبصار ذي المجلدين الضخمين.. وربما الثلاثة، ولا التعرف على أحمد بن سند صاحب سبائك العسجد، ولا الفنان عبدالله الفرج الشاعر في النمطين الفصيح والنبطي ولا عن شعراء القطيف في مؤلف شعراء العوامية. كما أسلفنا ـ كذلك فلم يكن لتاريخ الثقافة والفن والأدب خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين حظ في تعرف طلاب الخليج عليه، مثلما كانوا يتعرفون باستمرار على نتاج مصر والشام والعراق من الآداب والفنون والعلوم.. لم يكن هناك شيء من التوازن في هذا الأمر.

لذلك لم يكن الاستاذ الناخي كمعلم ليشذ عن تلك القاعدة فيسقي القريب.. فهو وأمثاله من الاساتذة والمدرسين محكومون بتطبيق مناهج الأدب العربي وتاريخه تلك التي وضعت من قبل اخصائيي التعليم ومفتشيه واغلبهم كانوا من اساتذتنا العرب الافاضل، وليس من الغريب اذا قلنا انه كان لأساتذتنا الخليجيين اسهام في تجاوز الثقافة والفن والأدب في الخليج العربي وتاريخ ذلك دون أن يدركوا انه كان من الضروري ان يعطوا طلابهم جرعات لا من تلك الثقافة والفن والأدب فحسب، بل من تاريخها.. مما نتج عنه ضعف وضحالة في حصيلة معلوماتهم عن ثقافة بلادهم وأدبها وتاريخها سواء كان مكتوباً أو مروياً. وقس على ذلك ما يتعلق بالتاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي.

ولسنا هنا معنيين بتفاصيل متعلقة بأهمية استيعاب ثقافة وفن وأدب الخليج وتاريخ ذلك من قبل طلاب اجياله الآنية واللاحقة وانما جئنا بموجز عن ذلك محاولة منا للكشف عن قصور في هذا المجال الذي ربما تلافاه المعنيون به، أو في الطريق الى ذلك.

الناخي في شيء من شعره

حين نحاول استقصاء البدايات الأولى للناخي في قول الشعر لا نجد شيئاً من تلك البدايات، ولكنا عثرنا على أربع قصائد له ناضجة في المبنى والمعنى، وذلك يدل على انه مر بتجارب قبلها منذ كان في عشرينات عمره، بدليل ان قصيدته التي جاءت عام ١٩٢٢، ربما كانت الأولى فقد جاءت عادية في توصيف الوزن والقافية ووحدة المعنى، وقد حرص الناخي ـ كما سيأتي ـ على تاريخ كتابته لقصائده ولكنه لم يهتم بوضع عناوين لها.. وسنحاول عنونة كل منها على حدة حسبما يشي به القصد الذي هدف اليه الناخي ولا ننسى ان للناخي فوق هذه القصائد الأربع ابيات شعرية كتبها حسب ظروف الحالة النفسية التي ألمت به نتيجة تأثره بأحداث معينة.

ولن يعوقنا عن محاولة استقراء شعر الناخي كونه مقلاً جداً أو ان يكون تقريرياً. أو ليس فيه إبداع حسب بعض مقاييس النقد الحديث.. فهو عندنا ابداع بحد ذاته.. وان كان ليس لنا ولا لذويه حظ في العثور على أكثر مما عثرنا عليها من شعره.. فإن من شعراء العرب من يسمون قديما بشعراء الواحدة، وبذلك يمكن ان يكون الناخي ـ اضافة الى كونه أديباً وكاتباً ـ شاعراً ايضاً.. فليس بالاكثار من الشعر يقوم الشاعر.. انما قد يكون لدى الشاعر المكثر سعة في المساحة الشعرية تكون معرضة دائماً لظهور اضاءات ابداعية فيها.. ويبقى صدق الشعور والرؤية الواضحة وتحديد موقف الشاعر من الاحداث حوله، وسرعة بديهته، واكتشافه للمتغيرات ربما قبل وقوعها، واعطاء اشارات عنها حسب

رؤيتـه.. وهـي رؤية مشـاعة بين الشـعراء سـواء كـانوا مـقلين أو مكثرين. لذلك فقد يكون الشاعر مبشراً ومنذراً وموجهاً حسب قوة الشاعرية عنده.

ان الشـاعرية ليسـت وقفاً على شـعراء الكلمـة حسب المفـهوم المتبادل فالقاصون والمسرحيون والفنانون بأنماطهم المتعددة شعراء.. والحرفيون والمهنيون والأدباء والمهندسون والحقوقيون لهم شاعريتهم.. وهكذا فلكل شاعريته التي يجب ان يكتشفها.

وما يمكن ان يتعرض له هؤلاء في نظري من خسارة في العائد المادي في حياتهم العملية لا يمكن ان يساوي خسارتهم لشاعريتهم المنتمية لانسانيتهم والتي يجب ان يكتشفوها ليستمتعوا بها في الانحياز للحق والصدق، ولينعموا برؤية صحيحة لواقع الكون والانسان والحياة تؤدي الى طمأنتهم بأنهم ينتهجون جادة الصواب. لذلك فإن شعراء الكلمة هم المرشحون دائما لاستثمار شاعريتهم في استخدامها فيما ذكرناه، وما نحن فيه الآن هو الحديث عن الناخي في شعره كشاعر كلمة.

يقول في أول أسطر كتبها بخط يده فوق أول منظومة له قوله:
في قصيدة يأس .. وأمل

كم ذا على الضيم نصبر أيها العربُ
ماذا الشقاء وماذا الذل والنصبُ
بئست حياتكمو يا قوم فانتبهوا
من الرقاد فإن القوم قد وثبوا
واستعبدوكم فصرتم كالرقيق لهم
يقضون فيكم بما شاءوا وما طلبوا

فأين احساسكم بل أين غيرتكم
وأين رابطة الاسلام يا عربُ
الموت والله خير من حياتكمو
فحالكم هكذا يقضي به العجبُ
بالأمس كنتم ملوكاً لا نظير لكم
والغرب من بأسكم يخشى ويرتهبُ
واليوم عدتم الى حال مبكية
يرثي لها الشرق والاسلام ينتحب
لم لا نقلد آباء لنا سلفوا
مجدهم يشهد التاريخ والكتبُ
تلك الحياة فلا هم ولا حزن
ما جاء يحميهم حام ومغتصب

قصيدة الناخي «يأس .. وأمل» في اطارها العام نموذج من الشعر الاستنهاضي.. وهي تشي بأنها صادرة عن حس شكوى وتبرّم مما وجده الناخي من سوء حال الأمة العربية، وقد لا تأتي مثل هذه القصيدة في توجهها الانتقادي إلا من شعور بالاحباط لا يمكن ان يصدر إلا عن رؤية واعية لم تتكون عند الشاعر دون جهد في استيعاب ما مر به أو قرأ عنه او سمعه من احداث مأساوية اصابت العرب واهمها سقوط العراق والشام ومصر والشمال الافريقي، تحت براثن الاستعمار الانجليزي والفرنسي والايطالي، بالاضافة الى الخليج العربي والسودان وزنجبار.

ونتيجة لخيبة الأمل التي اكتنفت الناخي كشاعر فقد تفلتت من قلمه تلك الكلمات الجامحة الجارحة مثل: الشقاء، الذل، العنت،

الاستعباد، واخيراً الموت، تفلتت هذه الكلمات منه وهو يستنهض إحساس الأمة ويذكرها بماضيها التليد الموسوم بالحركة والنشاط، والعزة والكرامة وهو حين يوغل في السرد البكائي عبرها يقول:

الموت والله خير من حياتكمو..
أو: بالأمس كنتم ملوكاً لا نظير لكم..
أو: واليوم عدتم الى حال مبكية..

ثم يعود فيقدم البدائل لهذه الحالة التي ينقد افرازاتها مثل الشقاء والذل والعنت والاستعباد واخيراً موت الاحساس بكل ذلك، لذلك فهو يستنهض امته العربية لتأخذ بأسباب العزة والكرامة التي كانت تستخدمها في الماضي حيث عاشت في رفعة ومنعة وسمو.. وهذا ما كان ينشده الناخي من حياة كريمة لأمته.

هذا هو الناخي في قصيدته البائية التي تتكون من تسعة ابيات.. وهي حسب علمي لم يقم صاحبها بنشرها لا هي ولا قصائده التالية، والظاهر ان الناخي ما كان يهتم بذلك .. كما كان يهتم بنشر مقالاته كما فعل مع الفتح. كما أسلفنا.

***

نأتي الآن الى قصيدة الناخي الثانية تلك التي قالها عام ١٩٣٧ يخاطب بها قومه، وكما هي العادة لم يضع الناخي عنواناً لها لذلك فقد اخترنا لها عنوانا يشي بما يعنيه من دعوة قومه الى الخروج من مأزق التخلف أنذاك فجاء كالآتي باسم «خطاب من أجل الوطن». والقصيدة تتألف من تسعة عشر بيتاً.. وبذلك تكون أطول

قصيدة قالها الناخي، وهي ظهرت ومناخ التحرك الوطني في الخليج من اجل المطالبة بالمشاركة من قبل مواطنيه في شؤون ادارته. وقد برز ذلك في نماذج في كل من الكويت ودبي والبحرين بين ٣٧ و١٩٣٨ فالى الناخي في:

خطاب .. من أجل الوطن

دعني أفكر في قومي وأوطاني
وانثر الدمع احزاناً بأحزان
ولا تلمني على نصحي وتذكرتي
قد جاء للنصح تحريض بإديان
ولا تلمني اذا ما قمت منتصباً
أتلو الخطاب بايضاح وتبيان
ما كنت اطلب جاهاً لا ولا نشباً
إلا معزة اخواني وأوطاني
لولا الهموم وما في النفس من همم
لضاقت الأرض في عيني كأرداني
ولا بقيت بهذا الحال مكتئباً
دله الفؤاد وجوماً طيل أزماني
ولا ظللت بجسمي هازلا نحفا
وللنحافة ما أودى وأوهاني
متى ارى الوطن المحبوب منتبهاً
من الرقاد مجداً غير وسنان
محلقاً في سماء العز متبعاً

درب النجاة وما في أرضه واني
يسعى وينشر في الانحاء أغرسة
غرساً من العلم لا غرساً من البان
لولا العلوم تعالى الله ما نهضت
قوم من الجهل أو عزت بسلطان
ولا سمت دولة في الغرب قاهرة
يعنو لها الشرق من قاص ومن دان
لا خطت خطوة نحو العلا ابداً
ولا أعادت لمجد زائل فاني
ولا رأيت لها في اليمّ من جزر
يحيرك الصنع من علم واتقان
بوارج قد تريك الهول في زمن
أيام تقذف نيرانا بنيران

قسم على اليم كالأبراج ناهضة
منها وآخر غواص كحيتان
وكم رأيت لها في الجو طائرة
كالصقر يعدو على صيد وغزلان
وكم سمعت بإذن ناقلاً كلما
للسامعين بايضاح وتبيان
تلك العلوم تسامت ان يحيط بها
شعب من الجهل في غي وحرمان

يحتشد في هذه القصيدة الهم النهضوي ببعض مقوماته

الأساسية كما خبرناها في الخطاب النهضوي لدى شعراء النهضة العربية الحديثة فالناخي يفصح عن نفسه بابراز صور مختلفة الألوان والاحجام مشوبة برؤية الشاعر في تلك الهموم مقدماً نماذج منها مصوراً حالات من الاظلام تمر به.

ولا تلمني اذا ما قمت منتصباً
أتلو الخطاب بايضاح وتبيان

ثم يقول:

لولا الهموم وما في النفس من همم
ما ضاقت الأرض في عيني كأرداني
ولا بقيت بهذا الحال مكتئباً
دله الفؤاد وجوماً طيل أزماني

غير ان هذه الحالة الاظلامية لا تدوم مع الناخي وهو يتلو خطابه لقومه فيتجاوزها الى اضاءة من الأمل من خلال تقمصه لحالة من التمني المبرعم بالعز والنجاة وغراس طيبة من العلم والتقدم اللذين يتعجل الناخي حضورهما فيقول:

متى أرى الوطن المحبوب منتبهاً
من الرقاد مجداً غير وسنان
محلقاً في سماء العز متبعاً
درب النجاة.. وما في أرضه واني

يسعى وينشر في الانحاء أغرسةً
غرساً من العلم.. لا غرساً من البان

وحين يفرغ الناخي من عملية غراس العلم.. لا غراس البان يبدأ في عملية التنوير في خطاب يسرد فيه ويعدد منجزاته.. نهضة وعزة وسمواً ومنجزات حضارية في البحر والبر والجو.. كل تلك المنجزات لا يمكن ان يكون للجهل نصيب فيها وانما هو للعلم.. يقول الناخي في ذلك:

لولا العلوم تعالى الله ما نهضت
قوم من الجهل.. أو عزت بسلطان
ولا سمت دولة في الغرب قاهرة
يهفو لها الشرق من قاص ومن دان
ولا رأيت لها في اليم من جزر
يحيرك الصنع من علم واتقان

ثم يعدد من انواع تلك الصناعة:
بوارج.. طائرات.. مذاييع(٢١)

***

بعد هذا نصل مع الناخي الى قصيدته الثالثة المؤرخة ايضاً عام ١٩٣٧، وهي كالعادة لم يضع لها عنوانها، وقد اعطيناها العنوان التالي: «الشعر .. النار» تمشياً مع قوله في رابع بيت منها:

فانهض بالقريض لكل قوم

فما كالشعر للأقوام نارُ

والقصيدة تتألف من ثلاثة عشر بيتاً وهي مهداة الى صديقه الشيخ عبدالله بن صالح المطوع.. وتبدأ هكذا:

عهدتك شاعراً ولك اقتدار
وشهماً ماجداً ولك افتكارُ
وللآداب بحاثاً وفياً
وللتاريخ انت له مدار
رعاك الله من خل همام
له في كل حلبة ابتكارُ
فانهض بالقريض لكل قوم
فما كالشعر للاقوام نارُ
ولا تيأس وان جهلوا وماتوا
فإن الموت يعقبه انتشارُ
وقل للغافلين متى تفيقوا
وللاطماع حولكمو قرارُ
وقل للساكنين على هوان
كفاكم ذلة وكفى عثارُ
وذكر بالعراق وما أنالت
بفضل العلم صار لها شعارُ
وتلك الشام أمست بعد ذُل
لها العز المحلق والوقارُ

ولا تنس الكنانة كيف نالت
وكيف اليوم صار لها الفخارُ
وان القدس تمشي في سبيل
لها يوم تعز به وثارُ
وان المغرب الاقصى والادنى
على رغم العدو له مثارُ
ولولا الهندُ ما بقيت بلادٌ
مكبلة وليس لها اختيارُ

تلك قصيدة الناخي «الشعر.. النار» التي يبدؤها بتقديم صديقه الشاعر - كما يقول عنه - الى قراء قصيدته.. فيصفه بأنه شاعر مقتدر وصاحب فكر.. وهو شهم وماجد وباحث في الأدب والتاريخ.. وله في كل حلبة ابتكار.. هذا في الأبيات الثلاثة الأولى.. أما في الرابع فيقرر الناخي ان المطوع نتيجة معرفته به كشاعر له اقتدار في الشعر.. ربما كان المطوع شاعراً مكثراً.. لذلك فهو يخاطبه ويهيب به ان يوظف موهبته ذات الابتكار في خدمة قومه باستنهاضهم، مؤكداً له ان تأثير الشعر الصادق في النفس كتأثير وهج النار في مصطليها.. وان لا يلتفت الى الجهلة.

ثم يحرض الناخي صديقه المطوع ان يكشف في شعره عن أطماع الاجانب ويبرزها للغفلة، والسذج من العرب الذين لم يفيقوا بعد من غفوتهم عما يحيط بأوطانهم من اخطار، وان يخاطب اولئك المستمرئين الذلة والهوان فيقول:

وقل للغافلين متى تفيقوا
وللاطماع حولكمو قرار
قل للساكنين على هوان
كفاكم ذلة.. وكفى عثار

وحين يقول الناخي ذلك يحاول ان يضرب المثل بالعراق والشام في استخدام العلم.. حسب رؤيته لحال هذين القطرين آنذاك.. أحسب انني اشارك الاستاذ الناخي في اعجابه الشديد واندهاشه آنذاك في تقدم هذين القطرين علمياً فكل مثقفي الخليج كانوا متأثرين يومها بذلك خاصة حينما لا يكون للمقارنة بينهما وبين الخليج من سبيل وخاصة في التعليم والثقافة ولا يقف الناخي عند الاستشهاد بهذين القطرين.. بل يضيف عليهما مصر والقدس.. والمغرب الأقصى والأدنى. ومعلوم ما قصده الناخي من اضافة هذه الاقطار الثلاثة.. فإنه يشملها الحال الذي يشمل العراق والشام في مجال الثقافة والفن والأدب والتعليم آنذاك.. يكفي ان يكون جل المعلمين العرب الاوائل الذين قادوا مسيرة التعليم الأولى في الامارات العربية المتحدة خاصة والخليج العربي عامة من هذه البلدان العربية.. التي عناها الناخي في قصيدته «الشعر .. النار».

استهواء الأحزان

واخيراً، نصل مع الاستاذ مبارك الناخي الى ما نعتقد انه القصيدة الرابعة.. وهي كأخواتها الثلاث السابقات ليس لها عنوان، لذا فقد وضعنا لها عنواناً حسب ما يشي الهدف من كتابتها. وليس يضيرها ان وضع لها عنوان آخر.. لذلك، فإن ما يمكن به عنونتها حسب رؤيتنا هو: «استهواء الاحزان». لقد اخذنا هذا العنوان من قول الشاعر في عجز البيت الأخير من القصيدة (ضاقت بي الأرض واستهوتني أحزان) التي جاءت نتيجة تأثر الشاعر باحداث اضطرابية مرت بساحل عُمان ابان ثلاثينات القرن العشرين، واشار الشاعر الى اكثرها تعميما وأقلها تخصيصاً وتصريحاً.. ان ابداع الناخي لهذه القضية ومرور نصف قرن على ذلك ليضفي عليها نكهة التاريخ السياسي المحلي الراصد لأحداث محلية اضطرابية في بعض مراحلها.

وقبل ان نقوم باستقراء القصيدة نضع نصها أمام القارىء من أجل ان تكون لديه المامة لما سنطرحه من استقراء عنها. علماً بأن الناخي استخدم كثيرا في هذه القصيدة كلمة عُمان على اطلاقها آنذاك كمسمى قديم لبلاد ساحل عمان.. التي هي اليوم الامارات العربية المتحدة، وقد جاء ذلك في الأبيات الثاني والرابع والخامس من القصيدة فالى نصها:

كل البلاد بها للأنس عنوان

وفي مرابعها للنفس سلوانُ

إلا عُمان فأكدار بساحتها
ذل مقيم وللبأساء ألوانُ
كل البلاد لها بالسعد مقتبل
وفوق أدواحها للورق ألحانُ
إلا عمان فإن الأنس مرتحل
عنها ومنتقل والعز والشانُ
إلا عُمان فما يقضي اللبيب بها
من ساعة أو نهار وهو جذلانُ
في كل يوم وساعات بها غير
نهب وسلب لذا قتل وعدوانُ

***

بئس الحياة اذا كانت منغصة
لا يرتجى وطر منها ولا شأنُ
بئس الحياة اذا ما العز فارقها
وبئس حاملها في الارض انسانُ

***

هيا بني وطني للاعتصام يداً
هيا بني وطني للخير أعوانُ
صونوا البلاد عن الأعداء واتحدوا
فالخلف ذل وتمزيق وخسرانُ
خذوا مثالاً من اليابان نهضتها
حتى غدت ولها في الغرب ترنانُ
أهاب بالقوم (ميكادو) وعلمهم
ان الحياة صناعات وعرفانُ

شيدوا المدارس للتعليم واندفعوا
الى التعلم أفواجاً ووحدانُ

***

لا أبتغي نهضة والدين منفصل
عنها.. كما نهضت تركُ وايرانُ(٢٢)
كنا قديماً وكان العز يتبعنا
وكل اقطارنا بالعلم تزدانُ
كنا قديماً وهذا الكون يعرفنا
بأننا فيه سادات وتيجانُ
تلك الحياة اذا ما كنت اذكرها
ضاقت بي الأرض واستهوتني احزانُ

***

هكذا جاء نص «استهواء الأحزان» الذي يبدو الناخي في أبياته الأولى في قمة حزنه وأسفه لما يجري في ساحل عُمان آنذاك خلال ثلاثينيات القرن العشرين.

نهب وسلب.. كذا قتل وعدوان
و/ذل مقيم وللبأساء ألوان
و/ لا يرتجى وطر منها ولا شأن

وفي محاولة مقارنة ذلك بضده قال:

كل البلاد بها للأنس عنوان
وفي مرابعها للنفس سلوانُ

كل البلاد لها بالسعد مقتبل
وفوق ادواحها للورق ألحانُ

ولا أخال الناخي قد حمل موضوع الأحداث التي جرت بساحل عُمان في ثلاثينات القرن العشرين فوق ما لا يحمل.. فإن فقدان الانسان الأمن والاطمئنان في بلده وبين أهله لهو مصيبة مخيبة للاستقرار مطيحة بالتنمية.

لقد عبر الناخي في الأبيات الثمانية الأولى من القصيدة عن سخطه وألمه وشجبه واستنكاره لتلك الأحداث باعطاء رؤيته فيها.. ولا أحسب انها رؤية الناخي وحده فلابد وان تكون الأكثرية الصامتة من سكان ساحل عمان آنذاك تشاركه رؤيته تلك.. فالناخي يكون هنا المعبر عنهم.. ربما الوحيد الذي هاله انحسار الأمن في بلاده فأفصح عن رأيه فيه لكنه ليس بالضرورة ان يكون المسجل الوحيد لرأي في تلك الأحداث.. فقد يكون هناك ـ في زمان ومكان الناخي من سجل رأيه في احداث ذلك الاضطراب الأمني ولم نستطع الوصول اليه.

وحين ندخل في تفاصيل رواية الناخي لتلك الأحداث نجده يأتي بنماذج من أنشطتها العدوانية فيقول:

في كل يوم وساعات بها غير
نهب وسلب.. كذا قتل وعدوان

وتكتمل صورة تلك الاحداث عنده حين يكشف لنا عن حياة بئيسة أصبحت تلف مواطنيه من جراء تلك الأحداث

.. فهو يذم تلك الحياة التي اضحت قلقة نغصة فيقول:

بئس الحياة اذا كانت منغصة
بئس الحياة اذا ما العز فارقها

***

هذا استقراء موجز للأبيات الثمانية الأولى من قصيدة «استهواء الأحزان» للناخي وهي أبيات ليس فيها غير خطاب أدبي يصور كما قلنا الحياة البئيسة عنده.. أما بقيته فتكاد تمثل القسم الثاني منها.. الذي هو في عمومياته، وفي الستة الأبيات الأولى منه لا يخرج عن ان يكون خطاباً وطنياً صريحاً.. يدخل فيه الناخي خيمة شعراء النهضة العربية الحديثة في الامارات العربية المتحدة خلال النصف الأول من القرن العشرين، وينضم اليهم في اطلاق نداءاتهم الى امتشاق سلاح العلم والمعرفة.. انك لواجد في خطاب الناخي الوطني في «استهواء الأحزان» تلك الروح المشتركة ذات الخواطر المتواردة بينه وبين الشعراء النهضويين امثال خالد الفرج وسالم العويس وعبدالله الزائد وعبدالرحمن المعاودة ورضى الموسوي(٢٣).

ولا يبدو الناخي في هذه القصيدة انه انتقل نقلة جادة او مفاجئة الى الفصل الثاني من القصيدة، وان تراءى ذلك لأول وهلة.. فلا شيء من ذلك سوى تحوله السلس من لخطاب أدبي الى مزج خطاب وطني نهضوي يبدؤه بقوله:

هيا بني وطني للاعتصام يداً
هيا بني وطني للخير.. أعوان

ثم يفصح الناخي عن التزامه بوحدة القصيدة فيأتي بالبديل السديد عما كشف عنه من الحالة البئيسة من جراء الاضطراب الأمني في ساحل عُمان آنذاك فيقول ان بديل ذلك هو:

صونوا البلاد عن الأعداء واتحدوا
فالخلف ذل وتمزيق وخسران
خذوا مثالاً من اليابان نهضتها
حتى غدت ولها في الغرب ترنان

ثم يستطرد في تقديم نماذج من ذلك البديل فيقول:

شيدوا المدارس للتعليم واندفعوا
الى التعلم افواجاً ووحدان

وحين يصل الناخي الى خامس بيت من المفصل الثاني من «استهواء الأحزان» يطبع خطابه النهضوي بطابع الرائد الذي لا يكذب أهله.. ذلك الموحد غير المفرق الذي يمارس دعوته الاصلاحية التي تدعو الى توحيد المسلمين على الحق والصدق.. ومحاولة الاسهام في تجنيبهم المنزلقات التي تعترض مسيرة تقدمهم فهو يعاف نهضة عربية تكون منفصلة عن روح الدين الاسلامي الحنيف فيقول:

لا ابتغي نهضة والدين منفصل
عنها كما نهضت ترك وايران

هو يريد من متلقي خطابه الوطني النهضوي ان يتذكروا نهضة

اسلافهم العرب والمسلمين ويتخذوا منهم القدوة في استثمار الرسالة العظيمة التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم حتى اصبحوا ولعدة قرون سادة العالم فبفضل هذه الرسالة العظيمة لا تزال اعلام الأمة العربية والاسلامية ترفرف حتى الآن على مشارف بعض القارات والمحيطات في العالم يقول الناخي:

كنا قديماً وكان العز يتبعنا
وكل اقطارنا بالعلم تزدان
كنا قديماً وهذا الكون يعرفنا
بأننا فيه سادات وتيجان

لذلك فالناخي حين يشخص بثاقب بصره المقرب لبانوراما تلك الحقب الشماء في تاريخ العرب والمسلمين ينظر اليها فكأنه يبصر صورتها من ابعادها الثلاثة فيصف فيها حياتها الرافلة بالعز والسؤدد فيقول عنها:

تلك الحياة اذا ما كنت أذكرها
ضافت بي الأرض واستهوتني أحزان
***

الى هنا وتنتهي محاولتنا الموجزة في استقراء شعر الناخي في قصائده الأربع.. التي تعد بعض نماذج من شعر الامارات العربية المتحدة خلال النصف الأول من القرن العشرين.. بيد انها نماذج لا تضارع في الرؤية والخيال والافصاح عن الذات وعن المكنون..

بصورة واضحة كما هي في شعر شعراء النهضة الحديثة في الامارات المعروفين امثال سالم العويس وأحمد بن سليم والشيخ صقر القاسمي ومبارك العقيلي.. فأولئك ظهروا في مجتمع الامارات شعراء اصلاء ليس كمثلهم أصوات معبرة عن حركة الحياة في وطنهم الخليج وفي أمتهم العربية.

وكان يمكن لمبارك الناخي ان يكون مثلهم، أو ان يبز بعضهم لو انقطع او تفرغ الى قول الشعر.. واستطاع استخدام نتائج معاناته الاجتماعية والثقافية في تقديمها شعراً للمتلقين.. فهو كان غنياً بتجربته في رصد ظواهر الأحداث الثقافية والسياسية والتعليمية والاجتماعية في الخليج العربي والبلاد العربية طيلة ثلاثة ارباع القرن العشرين، فقد استطاعت بعض آرائه الحصيفة من خلال رصداته الجيدة لأحوال العرب والمسلمين ومعاناتهم سياسياً واجتماعياً.. وما مسه هو بالذات من تلك المعاناة.. ان تعطينا رؤية واضحة عن حركة الحياة والانسان في مجتمعه في الخليج وبعض البلاد العربية.

ويبقى في النهاية القول ان حديثنا هنا عن شعر الناخي ليس فيه شيء عن نقد تجربته كشاعر إلا لماماً، وانما هو حديث عن كاتب ومعلم لامع واصلاحي كبير اتخذ من كتابة الشعر في مناسبات قليلة جسرا من جملة جسور أقامها لاسماع صوته الى الآخرين.. هذا الصوت هو جزء أساسي من أصوات مثقفي الامارات التي رفعوها منذ مفتتح القرن العشرين ولايزالون من أجل الاعلان عن رؤيتهم للانسان والكون والحياة.

أبيات متفرقة للشيخ مبارك بن سيف الناخي

آمنت بالله رباً لا شريك له
له المعزة والاجلال والقدر

***

يا خير من قدم البلاد ومرحبا
بالناسك العلامة المفضال

***

وما العلم إلا نعمة وسعادة
وما الجهل إلا آفة وبلاء

***

وما العمر إلا مدة ثم ينقضي
بما فيه من خير وما فيه من شر

***

وقيمة المرء بالاخلاق ترفعه
بين الأنام وتعليه فيرتفع

***

وقيمة المرء ما جادت به يده
عن طيب نفس وعن جود وعن كرم

***

لا غير الله ملكاً أنت صاحبه
ولا دهته من الأحداث دهياء

***

وما الوقت للانسان إلا حياته
تمر به الساعات واليوم والشهر

***

فقدم اذا ما استطعت من كل صالح
لدينك أو دنياك.. هذا هو العمر

***

همام ماجد لبق وجيه
كريم الأصل ذو أدب فريد

***

ان الشباب هو الحياة ونورها
فإذا مضى أصبحت في انكاد

***

نكد على نكد وضعف شامل
ينسيك عن أهل وعن أولاد

***

سليل النقي وابن الأكارم والعلا
ومن هو بالخيرات يُسمى ويذكر

***

آل العويس رجال لا نظير لهم
في الجود والفضل والاحسان والكرم

***

من علية القوم في أصل وفي حسب
وفي مكارم أخلاق وفي شيم

***

هم عزة القوم هم فخر أشاوسة
من كل أروع ماضي العزم والهمم

***

في حفيدته:
خلا البيت من هند وأظلم بعدها
وكان مضيئاً في الظلام ومسفرا

***

وفي نهاية المطاف مع الأستاذ الناخي في هذا الكتاب .. آمل أن يجد فية المهتمون بتاريخ الثقافة والفن والأدب ببعض مايبحثون عنه في هذا المجال ، كما آمل قريباً أن أتمكن من إصدار رسائل الناخي مدروسة في كتاب مستغل والله من وراء القصد.

مبارك الخاطر

١ ـ الخطاب الدعوي عند الناخي/ النموذج الثالث محاضرة «في سبيل فلسطين».. في «من لم تهمه مسألة فلسطين.. فما عسى ان يهمه؟!».
٢ ـ شعراء النهضة العربية الحديثة في الامارات اواخر القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، بحث للمؤلف ألقي في محاضرتين: الأولى في المجمع الثقافي بأبوظبي في منتصف يناير ١٩٩٦، والثانية بالشارقة «اتحاد كتّاب الامارات» اواخر ديسمبر ١٩٩٦.
٣ ـ المصدر نفسه اعلاه.
٤ ـ المصدر نفسه اعلاه.
٥ ـ شعراء هجر ص ١٧٧ ـ اصدار البحرين لعبدالفتاح الحلو ـ طبع القاهرة ـ مطبعة الفجالة ١٩٥٩.
٦ ـ ديوان ـ عبدالله الزائد ـ اصدار منتدى عبدالله الزائد الأدبي. ص ١٠٥ ـ طبع البحرين ١٩٩٦.
٧ ـ شعراء النهضة العربية الحديثة في عمان ـ بحث للمؤلف ألقي في محاضرة بوزارة الثقافة والتراث القومي العُمانية بمسقط في ٦ مايو ـ ١٩٩٦.
٨ ـ ديوان الشاعر الكويتي خالد الفرج ص ١٢٥ ـ مطبعة الترقي بدمشق ـ عام ١٩٥٤ ـ البيتان من قصيدة ألقاها الشاعر بالنادي الأدبي بالمحرق ـ البحرين ـ ليل ٢١ نوفمبر ١٩٢٦.
٩ ـ مسابقات لندن الشعرية بحث مخطوط للمؤلف خاص بتلك المسابقات في الخليج العربي من ١٩٤٠ الى ١٩٤٤.
١٠ ـ اعلام العوامية في القطيف ـ مطبعة النجف عام ١٣٨١هـ.
١١ ـ المصدر نفسه اعلاه.
١٢ ـ الشاعر/ السيد عبدالجليل بن السيد ياسين بن السيد ابراهيم الطباطبائي ١١٩٠ ـ ١٢٧٠هـ شاعر وعالم ديني كبير.
* له ديوان شعر طبع بعنوان «ديوان الخل والخليل» لأول مرة في بومبي بالهند ثم طبع مرة ثانية عام ١٩٣٨ بمطبعة البحرين بالمنامة ثم طبع مرة

ثالثة عام ١٩٦٧ بالقاهرة بتحقيق الاستاذ ياسين الشريف وتوجيه من حاكم البحرين الشيخ سلمان بن حمد الخليفة.
والشاعر الطباطبائي جاء من البصرة صغيراً عام ١٢٠٤هـ الى الزبارة بقطر ابان حكم آل خليفة، ولما اتخذوا البحرين عاصمة لهم انتقل معهم، ثم انهم جعلوه سكرتيراً لحكومتهم وبقي في هذا المنصب زهاء نصف قرن، وقد ناب عن حكومة البحرين عام ١٨٢٠ في توقيع اتفاقية الساحل المتصالح. وفي عام ١٨٤٣ هاجر الى الكويت حتى عام ١٨٥٤ حيث ادركته منيته فدفن بها.
١٣ ـ اعلام العوامية ـ انظر هامش رقم(١٠).
١٤ ـ الشاعر الكويتي الكفيف ـ صقر الشبيب ١٨٩٤ ـ ١٩٦٣ ـ درس في الكتّاب في الكويت، ثم ذهب الى الاحساء وجاء باجازة محدث من علمائها له ديوان مطبوع ـ انظر أدباء الكويت في قرنين لخالد سعود الزيد من ص ١١٧ الى ١٥٩ ـ الطبعة الثالثة ١٩٧٦ الجزء الأول.
وقد اصدر الدكتور احمد بن محمد العلي من الكويت دراسة مستفيضة عن صقر الشبيب وعن شعره بعنوان «شعر صقر الشبيب» طبع ١٩٨٦.
١٥ ـ الشاعر سالم علي العويس.. انظر الفصل الأول ـ هامش رقم ٣.
١٦ ـ الشاعر الكويتي خالد بن محمد الفرج الملقب بشاعر الخليج العربي ١٨٩٨ ـ ١٩٥٤ ـ انظر ص ١٦٤ ـ ٢٠٣ من أدباء الكويت في قرنين، ولشاعر الخليج عدة مؤلفات منها: ديوان خالد الفرج ـ الجزء الأول ـ مطبعة الشرق بدمشق عام ١٩٥٤ عام وفاته، ولقد صدرت عدة دراسات خاصة عن الشاعر منها دراسة للشاعر الكويتي خالد سعود الزيد، واخرى للكاتب السعودي المعروف عبدالله أحمد الشباط.
ومن مؤلفات الشاعر: ١ ـ كتاب ديوان النبط، ٢ـ كتاب أحسن القصص، ٣ ـ كتاب الخبر العيان في تاريخ نجد وما جاورها من البلدان، في ثلاثة اجزاء.
١٧ ـ الشاعر الوائلي ١٨٧٩ ـ ١٩٦٤ الشيخ محمد بن عيسى بن علي آل الخليفة، نشأ بمدينة المحرق وتعلم بها، وهو شاعر رومانسي ويعد رحالة في زياراته الكثيرة الى البلاد العربية واوروبا وجنوب شرق آسيا والامريكتين، نشر له شعر في بعض صحف البلاد العربية. ثم لما صدرت

جريدة البحرين عام ١٩٣٩ اختصها بكثير من شعره.
* شجع المسرح البحريني ودعمه مادياً ومعنوياً، وقد عين عضواً في لجنة الخليج العربي للتحكيم في مسابقات لندن الشعرية. له ديوان كبير طبع مرتين آخرهما بمطبعة حكومة البحرين. وقد تقلد عدة مناصب رسمية في بلاده وله صلات ثقافية كثيرة مع بعض رموز الثقافة والأدب في البلاد العربية مثل الاستاذ محمد كرد علي والشاعر محمد الفراتي من سوريا ومحيي الدين الخطيب من مصر.
١٨ ـ الشاعر عبدالمحسن محمد الصحاف من البحرين ١٨٧٤ ـ ١٩٣١ نشأ بمدينة المحرق ودرس بمدارسها الدينية ثم غادرها الى الاحساء وسنه لا تتعدى العشرين من أجل الاستزادة في العلم ولم يمكث بها طويلاً حيث غادرها الى مكة المكرمة للحصول على الاجازة في الفقه.
كتب الشعر وهو صغير.. حتى وصل به الى ان يكون أحد شعراء الملك الحسين بن علي ملك الحجاز آنذاك. وقد نشر له شعر كثير في الصحف الحجازية وله لامية مطولة اسماها «لامية البحرين» انظر مؤلف «المغمورون الثلاثة» ص ٤٩ ـ ١٢٧ للمؤلف اصدار البحرين ١٨٨٩.
١٩ ـ الاستاذ ياسين محمود الشريف من فلسطين ولد حوالي ١٩٣٠ ـ داعية اسلامي اصلاحي، خريج الأزهر الشريف.
* عمل في التعليم بالاردن، ثم دعي الى البحرين فدرس بها حتى اصبح مديراً للهداية الثانوية بالمحرق، ثم ذهب الى قطر ليكون سفيراً لدولة فلسطين بها ولا يزال.
٢٠ ـ الشاعر البحريني عبدالرحمن قاسم المعاودة/١٩١١ ـ ١٩٩٦ ولد بالمحرق ونشأ وتعلم بها، والتحق ببعثة البحرين الطلابية الى الجامعة الامريكية في بيروت عام ١٩٢٨. أسس بعض المدارس الأهلية منها الاصلاح والارشاد بالمحرق والاصلاح بالشارقة، له ما عرف في البحرين والخليج بمسرح المعاودة حيث عمل به من ١٩٣٣ الى ١٩٥٣ مخرجاً وكاتباً له بين تسع وعشر مسرحيات تاريخية ـ انظر المسرح التاريخي في البحرين للمؤلف ص ٦٣ ومن ٨٢ الى ١٧٤ ـ وللمعاودة ثلاثة دواوين شعرية: ديوان المعاودة ١٩٤٢ طبع مطبعة البحرين ـ لسان الحال طبع دار

الكتاب - بيروت ١٩٥٤ - دوحة البلابل في جزءين - طبع دار الثقافة بيروت ١٩٦٠.

٢١ - مذاييع - جمع مذياع.

٢٢ - يعني ما يعرف آنذاك عن نظامي تركيا وايران اللذين كان يدير رحاهما كمال اتاتورك وشاه رضا بهلوي ومحاولتهما تحويل بلديهما الى نمط في السياسة والحياة الاجتماعية شبيه بالنمط الأوروبي.

٢٣ - الشاعر رضى الموسوي ١٩١٦ - ١٩٧٧ شاعر بحريني ولد بقرية الخميس، ثم انتقل الى المنامة وفيها تعرف على الاستاذ ابراهيم العريض فكان يحضر حلقته الأدبية اليومية بإحدى المقاهي.

* زاول مهنة التدريس مدرساً فمديراً وبدأ نشر شعره في جريدة البحرين ١٩٣٩ - ١٩٤٤ وصحف البحرين الأخرى.. واستمر كذلك حتى وفاته، شارك في مسابقات لندن الشعرية وفازت احدى قصائده «الشرق والغرب يلتقيان» بإحدى جوائزها.

* له ديوان شعر بعنوان «سيف ووتر» تحقيق الاستاذ حسن جواد.

١ ـ ملف بأوراق مبارك سيف الناخي من ذخائر آل الناخي برعاية الاستاذة شيخة مبارك الناخي.
٢ ـ ملف بأوراق مبارك الناخي ـ من ذخائر المؤلف.
٣ ـ الأديب الشاعر مبارك سيف الناخي وصورة الوطن في شعره ـ الاستاذة الباحثة شيخة مبارك الناخي ـ بحث مقدم لندوة الثقافة والعلوم ـ جائزة سلطان العويس ـ الدورة السابعة ١٩٩٦.
٤ ـ الأدب المعاصر في الخليج العربي للاستاذ عبدالله محمد الطائي ـ اصدار المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ معهد البحوث والدراسات العربية ـ القاهرة ١٩٧٤.
٥ ـ شعراء هجر من القرن الثالث عشر الى القرن الرابع عشر ـ مطبعة الفجالة الجديدة ـ القاهرة ١٩٥٩.
٦ ـ نزهة الابصار، المجلدان الأول والثاني، للاستاذ الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله بن درهم ـ منشورات المكتب الاسلامي بدمشق ـ غير مؤرخ.
٧ ـ سلافة العصر في محاسن الشعراء في كل مصر ـ للعلامة السيد علي صدر الدين المعروف بابن معصوم ـ الطبعة الأولى ١٣٣٤ هجرية.
٨ ـ الوجهة الذهبية ـ للدكتور محمد محمود بهزاد ـ مطبعة نهضة مصر.
٩ ـ امارة الزبير بين هجرتين (ج ٣) للاستاذين عبدالرزاق عبدالحسن الصانع وعبدالعزيز عمر علي ـ الطبعة الأولى ١٩٨٨.
١٠ ـ أدباء الكويت في قرنين (ج ١) للاستاذ خالد سعود الزيد ـ ط ٣ ـ منشورات دار السلاسل ـ الكويت ١٩٧٦.
١١ ـ لمحات من ماضي الزبير ـ للاستاذ محمد سعيد الرقراق ـ ط ١ ـ ١٩٩٤.
١٢ ـ الكتابات الأولى الحديثة لمثقفي البحرين ـ ١٨٧٥ ـ ١٩٢٥ للمؤلف ـ مطابع المختار الاسلامي ـ القاهرة ١٩٧٨.
١٣ ـ من هنا بدأت الكويت ـ الاستاذ عبدالله الحاتم ـ مطابع دار القبس ـ الكويت ١٩٨٠.

١٤ ـ القاضي الرئيس قاسم بن مهزع ـ للمؤلف ـ ط ٢ ـ مطبعة حكومة البحرين ١٩٨٦.
١٥ ـ دولة الامارت العربية المتحدة وجيرانها ـ دكتور محمد موسى عبدالله ـ دار القلم ـ الكويت ـ ط ١ ـ ١٩٨١.
١٦ ـ المسرح التاريخي في البحرين للمؤلف مطبعة حكومة البحرين ١٩٨٥.
١٧ ـ تاريخ الكويت ـ للاستاذ عبدالعزيز الرشيد ـ تحقيق يعقوب عبدالعزيز الرشيد ـ منشورات مكتبة الحياة ـ بيروت ١٩٧٨.
١٨ ـ سيف ووتر ـ شعر رضى الموسوي ـ تحقيق الاستاذ حسن جواد الجشي ـ مطبعة حكومة البحرين.
١٩ ـ نابغة البحرين ـ عبدالله الزائد ـ للمؤلف ـ ط ٢ ـ ١٩٨٨.
٢٠ ـ ديوان خالد الفرج ـ ج ١ ـ مطبعة الشرق ـ دمشق ١٩٥٤.
٢١ ـ المغمورون الثلاثة للمؤلف ـ ط ١ ـ مطبعة حكومة البحرين ١٩٨٩.
٢٢ ـ شيخ الأدباء ابراهيم محمد الخليفة للاستاذة مي الخليفة ـ ط ١ ـ ١٩٩٣ ـ الناشر رياض الريس ـ لندن.
٢٣ ـ ديوان عبدالله الزائد ـ تحقيق المؤلف ـ مطبعة حكومة البحرين ١٩٩٦.
٢٤ ـ ديوان المعاودة ـ شعر عبدالرحمن قاسم المعاودة ـ اصدار مطبعة البحرين ١٩٤٢.
٢٥ ـ دوحة البلابل ـ شعر عبدالرحمن المعاودة ـ دار الثقافة ـ بيروت ١٩٦٠.
٢٦ ـ لسان الحال ـ شعر المعاودة ـ دار الكشاف ـ بيروت ١٩٥٤.
٢٧ ـ ديوان الشيخ محمد بن عيسى بن علي الخليفة ـ تحقيق د. علي ابا حسين ـ مطبعة حكومة البحرين ـ ١٩٨٧.
٢٨ ـ المنتدى الاسلامي ـ للمؤلف ـ مطبعة حكومة البحرين ـ ١٩٨١
٢٩ ـ من الشعر القطري ـ تحقيق الاستاذ عبدالبديع صقر طبع ـ ١٩٦٩.

ملحق

"التعليم في قطر منذ نصف قرن"

كان التعليم في قطر قبل خمسين سنة كما هو في سائر بلاد الخليج كالكويت والبحرين وبلدان ساحل عُمان، وحتى المملكة العربية السعودية.

ففي كل بلد عدة مدارس منها ما هي للبنين ومنها ما هي للبنات. أما مدارس البنين فيدرس فيها القرآن الكريم. والأصول الثلاثة وأدلتها، ويليها شروط الصلاة وواجباتها وأركانها، والقواعد الأربع. كما يعلم فيها الخط (الكتابة) والعمليات الأربع ويراد بها (الجمع والطرح والضرب والقسمة).

وأما مدارس البنات فيدرس فيها القرآن الكريم والأصول الثلاثة وشروط الصلاة.. وواجباتها واركانها والقواعد الأربع فحسب، ويطلقون على المدرس الذي يدرس بهذه المدارس اسم (مطوّع) أو (معلم) كما يطلقون على المدرّسة اسم (مطوّعة) أو (معلمة).

كما يوجد في كل بلد من مشايخ العلم المتضلعين في العلوم الشرعية، كالتفسير والحديث والفقه والفرائض، وغيرها من العلوم كالنحو والصرف، وهؤلاء المشايخ لهم حلق للتدريس إما في مسجد من المساجد، أو في بيوتهم.. والطلاب الذين يدرسون عليهم تتراوح أعمارهم من سن الخمس عشر سنة الى ثلاثين سنة. أما قطر فلم يكن لها نصيب كما لغيرها من وجود العلماء الذين نعنيهم ونشير اليهم ممن وطنوا أنفسهم لتعليم الناس وبث العلم. فكان في قطر الشيخ عبدالله بن أحمد الدرهم والشيخ محمد بن حمدان، وكانا يليان منصب القضاء فحسب، ولم يتصديا للتعليم،

وكانا في عهد الشيخ قاسم بن محمد الثاني جد الأسرة الحاكمة الأول رحمه الله.

وكان الشيخ قاسم ركناً من اركان التوحيد وعلماً من اعلام العقيدة السلفية، وكان مضرب المثل في الجود والكرم والبذل ومحبة العلم والعلماء، وتلقيهم واحترامهم واكرامهم يفدون اليه من جميع البلاد، ويقصدونه من شتى الأقطار فينيلهم من فضله ويرفدهم من غناه. وكانت قطر في عهده مأمّاً للعلماء كما بينا طوال ايام السنة.

ولكن سرعان ما قيض الله لقطر بعد وفاة حاكمها المحبوب الشيخ قاسم بسنتين العالم النحرير والفقيه الشهير والفرضي القدير الشيخ محمد بن عبدالعزيز المانع رحمه الله إذ وفد عليها من البحرين في سنة ١٣٣٣ هجرية(١) بدعوة وطلب من حاكم قطر الشيخ عبدالله بن قاسم الثاني جد الأسرة الحاكمة رحمه الله ونجل الحاكم الراحل. وبمساعي بعض الأعيان القطريين وفي مقدمتهم خليل بن ابراهيم الباكر ومحمد بن ابراهيم الباكر ووالدهما ابراهيم بن صالح الباكر وغيرهم. فما كاد الشيخ محمد المانع رحمه الله يصل قطر حتى استقبله الحاكم والأعيان وابناء عمه استقبالاً رائعاً ورحبوا به الترحيب اللائق وعينوا له بيتاً للسكنى. كما عينوا له بيتاً آخر وجعلوه مدرسة لتعليم الناس وبث العلم. وما كاد الشيخ يوطن نفسه للتعليم واستقبال الراغبين في العلم حتى هرع الناس من داخل البلاد، ومن كافة البلاد المجاورة من الكويت والمملكة العربية السعودية. ومما هو جدير بالذكر مقدم بعثة الطلاب العُمانيين من ساحل عُمان.

وكان الشيخ محمد المانع قبل مقدمه الى قطر، قد اجتمع في

البحرين بالمحسن الكبير والوجيه الشهير الشيخ علي بن محمد المحمود رحمه الله، والد الأستاذ الشيخ محمد بن علي المحمود وقرروا التعاقد معه للذهاب الى الشارقة لكي يؤسس بها مدرسة ويتولى التعليم فيها، وكان الواسطة في هذا الاجتماع والاتفاق والتعاقد المحسن الكبير والتاجر الشهير (مقبل العبدالرحمن الذكير) من اعيان (عنيزة) القصيم بالمملكة العربية السعودية.

وكان المشار اليه يقيم آنذاك بالبحرين فما كاد علي المحمود بعد هذا يطرق سمعه خبر وصول الشيخ محمد المانع الى قطر واستقراره بها والقائه عصا التسيار، وعدوله عن الذهاب الى الشارقة. حتى فكر وسعى من فوره في تأليف بعثة من خيرة الطلاب وهم من مختلف البلدان الساحلية، وارسالهم الى قطر لكي يتلقوا ويدرسوا العلم على يد الشيخ محمد المانع. وكان قد تكفل بالانفاق عليهم اثناء دراستهم وقيامهم بقطر وفي ذهابهم وايابهم. وكان قد كلف لاستقبالهم في قطر صديقاً له هو الوجيه الكريم الخير (عبدالرحمن بن حسن فخرو) رحمه الله فقام باستقبالهم خير قيام واحتفى بهم الاحتفاء التام، وكانوا يأوون الى مجلسه العامر نهاراً وليلاً لتناول وجبات الطعام.. فما كادت البعثة التعليمية العُمانية هذه تصل قطر لأول وهلة حتى استقبلها الشيخ محمد المانع وحاكم البلاد، والأهلون استقبالاً رائعاً، واحتفوا بهم الاحتفاء التام، ومازالوا يوالون الدراسة ويتلقون العلم برغبة صادقة وجد واجتهاد ومثابرة ونشاط حتى نالوا قسطاً وافراً من العلم النافع في العلوم الشرعية وغيرها كالتفسير والحديث والتوحيد والعقيدة والفقه وغيرها من العلوم، وبفضل وجود الشيخ محمد المانع رحمه الله بقطر عرف الناس التوحيد وما يناقضه،

كما عرفوا العقيدة السلفية التي كان عليها السلف الصالح من الرعيل الأول وميزوا ما يناقضها من عقيدة الأشاعرة والجهمية، كما عرفوا البدع والخرافات والشركيات، وأخذوا يحاربونها ويقاومونها ويدعون الناس الى تركها والابتعاد عنها. كما قد تبين للناس ما للعلم من قيمة وفائدة وما فيه من نور وهدى، وما لحامله (لصاحبه) من ميزة وقدر وشرف وسؤدد..

ظل طلاب البعثة العُمانية يترددون في كل سنة على قطر لمواصلة دراستهم طوال ست أو سبع سنوات. وعندما يأتي فصل الصيف يذهبون الى أوطانهم لزيارة اهليهم واقاربهم وجماعتهم ليقضوا هناك شهري الصيف ثم يعودوا الى قطر وهكذا دواليك. ولقد ادرك طلاب البعثة العُمانية في غضون هذه السنوات القليلة من العلم النافع ما علم به الخاص والعام والقريب، واخذوا ينشرون علمهم في اوطانهم بين اهليهم وجماعتهم فمنهم من باشر التعليم ومنهم من قام بالوعظ والارشاد ومنهم من ولّي القضاء، فاستنارت البلاد واستفادت العباد.

ثم نعود فنتكلم عن التعليم في قطر منذ خمس وعشرين سنة، في سنة ١٣٦٦ هجرية(٢) قدم الى قطر الاستاذ الشيخ محمد بن علي المحمود بقصد ان يفتح مدرسة بقطر على الطريقة الحديثة ويتولى التعليم فيها. وما كاد يصل قطر حتى سعى في فتح مدرسة اسماها (المدرسة الحمدية) وهي في عهد حاكم قطر الشيخ حمد بن عبدالله الثاني رحمه الله.

وفي سنة ١٣٦٩ هجرية(٣) بدا المسؤولون في قطر يفكرون في فتح مدرسة حكومية تضم جميع الطلاب الذين بالدوحة، وبالفعل فتحوا مدرسة ابتدائية وذلك في سنة ١٣٧٠ هجرية(٤)، وفي سنة

١٣٧١ هجرية(٥) بدأت الحكومة تتوسع في مضمار العلم والتعليم شيئاً فشيئاً الى ان شكلت وزارة المعارف بصورة رسمية ومازالت قطر منذ ان أسست فيها وزارة المعارف بصورة رسمية تسير نحو العلم والتعليم ونشر الثقافة والشؤون التربوية بخطوات واسعة حثيثة مما هي عليه الآن من التقدم والازدهار الملموس في جميع المجالات حتى اعترف بها رسمياً، كما انها انضمت الى منظمة اليونسكو في عام ١٣٨٢هجرية ـ ١٩٦٢ ميلادية، واصبح لها كيان مرموق بين الأمم، ولم تقتصر قطر على بث العلم والتعليم ونشر الثقافة في ربوعها فحسب؛ بل ساهمت في نشر العلم والتعليم نحو جاراتها الشقيقة من بلدان ساحل عمان فأسست لها مكتباً واطلقت عليه (مكتب بعثات قطر التعليمية بساحل عُمان) وجعلت مركزه بدبي وذلك في عام ١٣٧٨ هجرية ـ ١٩٥٨ ميلادية فأخذ في تأدية مهمته والقيام بواجبه خير قيام. وان لقطر فضلاً كبيراً وأيادي كثيرة نحو جاراتها الشقيقة مما لا يتمارى فيه اثنان ولا يتجاهله انسان. وان هذه النهضة العلمية اليوم التي بارك الله خطاها يرجع الفضل فيها للمسؤولين من حاكم البلاد المفدى الشيخ احمد بن علي الثاني، وولي عهده ونائبه المحبوب الشيخ خليفة بن حمد الثاني وسمو وزير المعارف الشيخ قاسم بن حمد الثاني، ومن يليهم من المسؤولين الذين يواصلون عمل النهار بالليل ويكرسون اوقاتهم ويبذلون جهودهم للسير بالمعارف الى المستوى الرفيع والهدف السامي لتؤدي رسالتها بصدق واخلاص وهمة ونشاط.

وان الأمل في الله وطيد ان نرى لهذه الدولة الفتية عزا مطرداً وتوفيقاً باهراً وان نرى شعاع العلم ينبثق منها في ربوعها ونحو جاراتها وما هو إلا التعاون والاخلاص والعمل المتواصل وبالعلم

ولا شك ترتقي البلاد وتزدهر وتسعد العباد.

واذا عمت المعارف قوماً   قلّ فيهم مع الزمان الشرور

مبارك الناخي

الهوامش:

١ - ١٣٣٣هـ - ١٩١٥م.
٢ - ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م.
٣ - ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م.
٤ - ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م.
٥ - ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.

ملحق

بصور وكتابات تتعلق

بمبارك الناخي



مبارك الناخي يتوسط الرئيس جمال عبد الناصر
والسيد سيف بن عبد الرحمن الشامسي
في مقابلة للرئيس أثناء أحدى زيرات الناخي للقاهرة

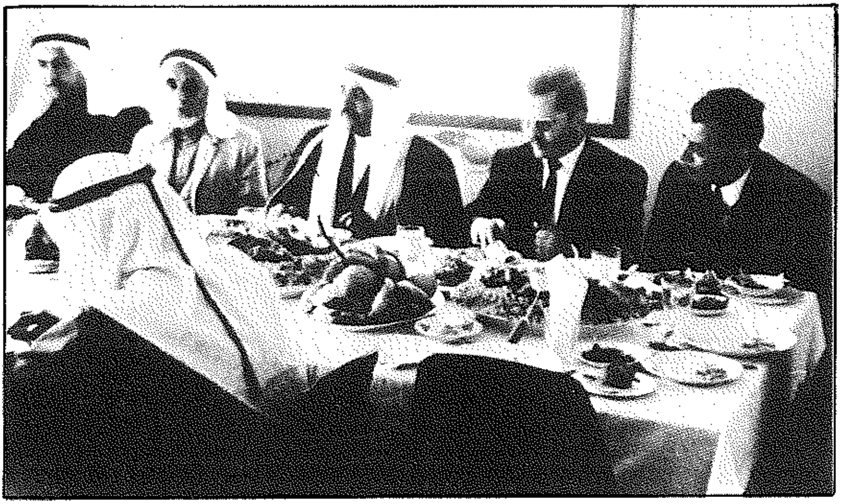


الناخي في زيارة لسمو الشيخ صقر بن محمد القاسمي

حاكم إمارة رأس الخيمة

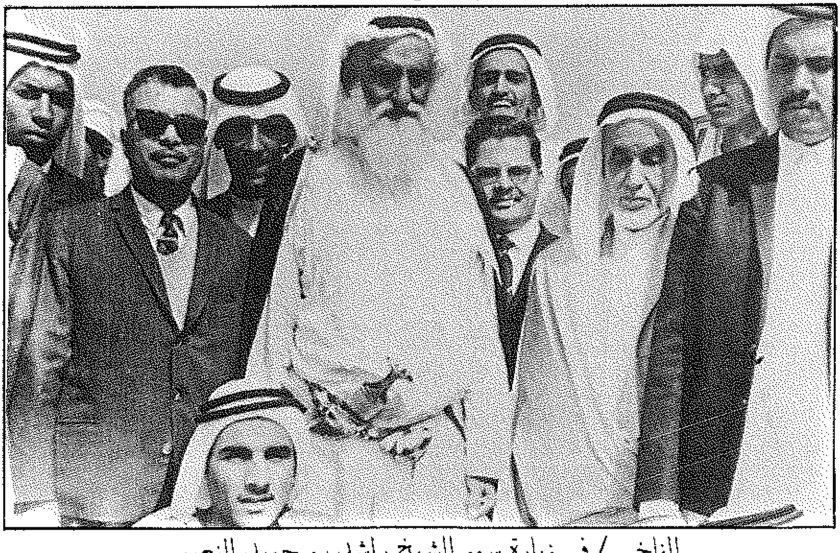


الناخي / يتوسط مجموعة من أصحابه وتلاميذته خلال ستينات القرن العشرين



الناخي بصحبة سمو الشيخ خالد بن محمد القاسمي

حاكم إمارة الشارقة على مائدة طعام عام ١٩٦٩



الناخي / في زيارة سمو الشيخ راشد بن حميد النعيمي

حاكم إمارة عجمان السابق عام ١٩٦٩

بسم الله الرحمن الرحيم

حكومة الشارقة

مركز الدعوة الاسلامية

الرقم ....

التاريخ ....

الموافق ....

المرفقات ....

الموضوع : ....

THE CALL TO ISLAM, CENTER

SHARJAH - United Arab Emirates

السيد / مبارك الناخبى

* ولقد جذبت القضية الفلسطينية — التى كانت عاملا رئيسيا فى توحيد المشاعر العربية فى الشرق الاوسط — الاهتمام السياسى فى الساحل كذلك — وبصفة خاصة جذبت اهتمام الشعب المتعلم هناك •

* وقد عُقد اجتماعٌ فى المسجد الرئيسى فى الشارقة — كرد فعل لانعقاد المؤتمر الاسلامى الفلسطينى فى القدس عام ١٩٣٠ •

•• وفى مسجد الشارقة الكبير تحدث شابان من ابناء الشارقة المتعلمين هما مبارك الناخبى وابراهيم المدفع والقيا كلمات تفيض حماسا ووطنية • وتم جمع التبرعات فى الشارقة بعدها من اجل القضية الفلسطينية •

Address: Zahra Street, SHARJAH
United Arab Emirates
P. O. Box No. 1087
Telephone: 56311
Telex: 8206 ISLAM SH.

العنوان: شارع الزهراء - الشارقة
دولة الامارات العربية المتحدة
صندوق بريد رقم ١٠٨٧
هاتف : ٥٦٣١١
تلكس : ٨٢٠٦ «اسلام» — ش

بسم الله
ابراهيم بن محمد المدفع

Phone Office 2215
Resi. 8336
P. O. Box 77

تليفون المكتب [redacted]
المنزل ٤٤٤٨٦١ [redacted]
ص. ب ٧٧

الشارقة . الخليج العربي

Ebrahim Mohamed Almidfa
SHARJAH - Arabian Gulf.

Date .... التاريخ ....

تابع :

وصار يباباً وهو بالأمس عامر ... مصايف في تلك الربا ومرابع
وأفدح من هذا وأعظم نكبة ... إذا قصفت جوف البلاد المدافع
ومنها يد البغي التي تعرفونها ... فضاقت بأهلها الفضا وهو واسع
إذا طلبوا حقاً أصيب عزيزهم ... وسدت عليهم في الديار المهاجع
وجوزوا بتقتيل وسجن ومغرم ... ورابط نفي عن الأصل شاسع
وكم من يتيم مزق الذعر قلبه ... فبات خلاءً وهو عريان جائع
وأرملة ريعت بفقد أليفها ... ثوت بجوار القبر والطرف دامع
وشمطاء لم يترك لها الدهر سلوة ... سوى واحد يسعى لها وهو وادع
يذكّى كذبح الشاة ظلماً أمامها ... فتصرخ واغوثاه والقلب جازع

أصيخوا لصوت الحق أبناء (لندن) ... اذا كان فيكم حافظ العهد سامع
أهذا هو العدل الذي تدعونه ... كذبتم فما جاءت بهذا الشرائع
افيقوا رجال العرب من سنة الكرى ... أيهنأ نوم والديار بلاقع
ألستم أباة الضيم في كل موقف ... وأصلب عوداً من تحطم الجوامع
إذا قيل أيّ الناس أقوى شكيمة ... أشارت إليكم بالأكف الأصابع
فلا تأمنوا كيد اليهود فانهم ... مدى الدهر للمستعمرين صنائع
فكيف تقرون الهوان بداركم ... فما مثلكم شعب على الذلّ خاضع

بسم الله

ابراهيم بن محمد المدفع

الشارقة - الخليج العربي

Ebrahim Mohamed Almidfa.

SHARJAH - Arabian Gulf.

Phone Office 2215
Resi. 8336
P. O. Box 77

تليفون المكتب ٢٢١٥
المنزل ٤٤٤٨٦٨٣٣٦
ص. ب ٧٧

Date ....

التاريخ ....

إن أهالي الشارقة كانوا ولازالوا في الطليعة لاهتمامهم بالقضايا العربية ففي سنة ١٩٣٦م إبان ابتداء الثورة في فلسطين قاموا بجمع التبرعات مساعدة لإخوانهم في فلسطين وجمعوا ما مقداره ألفين جنيه استرليني (ذهباً) وأرسلوها إلى السيد أمين الحسيني بواسطة السيد محمد علي الطاهر صاحب جريدة الشورى بالقاهرة وذلك عن طريق الهند إلى عدن ومنها إلى القاهرة لصعوبة المواصلات وأرسلوا معها هذه القصيدة التالية

ابراهيم محمد المدفع

أرقت وشفتني الهموم النوازع	بجنبي ومن حولي خليٌّ وهاجع
وبتّ أخا سهدٍ طويلاً حنينه	إلى مجده الخالي وهل ذاك راجع
ولولا يسلي الهم عني تجلدي	وصبرٌ عليه النفس منذ أنا يافع
لذبت أسىً من بعض ما أنا واجد	ولكن مثلي لا تهزّ الزعازع
بليت بليلٍ حالك اللون دامس	له منظر في صفحة الكون رائع
غياهب غطش يزجي لبعض بعضها	لها مثل أمواج البحار تدافع
يذكرني ليلي أموراً أهمها	مصاب وخطب في فلسطين واقع
بلاد أناخ الجور فيها بكلكلٍ	وقد خربت فيها القرى والمزارع

بسم الله الرحمن الرحيم

مبارك بن سيف الناخي

Mobarak Bin Saif Al-Nakhi

Tel. Res. 22641
P. O. Box 85
SHARJAH U.A.E.

تليفون المنزل ٢٢٦٤١
ص. ب ٨٥ – الشارقة
دولة الامارات العربية المتحدة

التاريخ ليوم الثلاثاء ٤ ربيع الثاني ١٤٠٣هـ الموافق ٢٧ يناير ١٩٨٣م Date

كلمة - مارتن - لوثر* الفرنسي MARTEN LUCHER
ما سعادة الأمم بكثرة أموالها ولا بقوة استحكاماتها ولا بجمال
مبانيها وإنما سعادتها بأبنائها الذين تثقفت عقولهم وبرجالها
الذين حسنت تربيتهم واستقامت أخلاقهم ففي هؤلاء
قوتها الرئيسية وعظمتها الجوهرية.

أخوكم المخلص
مبارك بن سيف الناخي

* لعل المقصود داعية الحقوق المدنية مارتن لوثر كنغ الذي
تم اغتياله في امريكا.

MERCREDI 2 AOUT — الأربعاء آب ٢ أغسطس — WEDNESDAY 2 AUGUST

ولئن كبرت فوالى بين جوانحي
قلبًا فتي النبضات والإحساس
للشيخ فؤاد الخطيب
رحمه الله تعالى

وله أيضًا:

ان لم تكن بيننا الأرحام جامعة
ان المودة في الدنيا هي الرحم

الا وان لم يكن ما بيننا نسب
فرتبة الود تعلو رتبة النسب
الصداقة والصديق
وأخ لود لا أخ لولادة
وأمس من نسب الولاد ودا د

LUNDI 31 JUILLET — الإثنين تموز ٣١ يوليو — MONDAY 31 JULY

ان الشباب هو الغنى فاذا مضى
واقسم لا ينفك فقرك بادي
لايليا (ابو ماضي) الشاعر
اللبناني.

ان الشباب هو الحياة ونورها
فاذا انطفا لاقيت كل عناء
ان الشباب هو الحياة وروحها
فاذا مضى لاقيت كل عناء
لا حبذا الشيب الوفي وحبذا
ظل الشباب الخائن الغدار
وطري من الدنيا الشباب وروقه
فاذا انقضى فقد انقضت أوطاري!!
لأبي الحسن التهامي المتوفى سنة ٤١٦

MARDI 1 AOUT — الثلاثاء آب ١ أغسطس — TUESDAY 1 AUGUST

ورب أخ قصي العرق فيه
دنو عن أخيك من الولاد
والمرء ما عاش حيًا يستهان به
ويعظم الرزء فيه حين يفتقد
آلة العيش صحة وشباب
فاذا وليا عن المرء ولى
لأبي الطيب المتنبي
المتوفي سنة (٣٥٤)
والحياة الصبا فان هو ولى
ولت الطيبات بالاجال

السمو معناه الشرف والعلو والارتفاع — بسم الله الرحمن الرحيم — الزبرقان: بالكسر القمر — الملوان: الليل والنهار وكذلك الجديدان

مبارك بن سيف الناخي
Mobarak Bin Saif Al-Nakhi
Tel. Res. 22641 — تليفون المنزل ٢٢٦٤١
P. O. Box 85 — ص. ب ٨٥ – الشارقة
SHARJAH U.A.E. — دولة الامارات العربية المتحدة

دولة الامارات العربية المتحده

التاريخ يوم الخميس ١٣ جمادى الاولى ١٤٠١ الموافق Date ١٨ مارس ٩٨١

نصائح - وفوائد للأخت الفاضلة الأديبة النابهة عالية بنت صلاح الدين السيكلي المحترمه

نصائح - وفوائد

الانسان انما يسمو ويشرف ويعتز بتقوى الله عز وجل وبقوة ايمانه وسلامة قلبه وبلطفه ولين عريكته وسعة صدره وباخلاقه وآدابه وحضارته وحسن سلوكه مع الناس وادخال السرور عليهم والنفع لهم تكون المحبة والمودة له فيما بينهم

يقال: اعز الله هذا الدين برجلين لا ثالث لهما: أبو بكر رضي الله عنه يوم الردة واحمد بن حنبل يوم المحنة يوم الابتلاء بالقول بخلق القرآن، القرآن كلام الله العزيز منزل غير مخلوق منه بدا واليه يعود يقول الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه: من قال ان القرآن مخلوق فهو كافر

اخوكم المخلص
مبارك بن سيف الناخي
الشارقه ص. ب ٨٥

المستشرق هو من تبحر في لغات الشرق وآدابه وهو في قاموس اكسفورد باللغة الانكليزية:

ORIENTALIST

الشارقه ص ب ٨٥
دولة الامارات العربية المتحده

بسم الله الرحمن الرحيم / استجابة لطلب الصديق الأستاذ مبارك الخاطر / أقول:

أسست في سنة [illegible] مدرسة محمد الشامسي من وجوه أعيان الشارقة وعالمها عام ١٣٥٥ هـ [illegible] مدرسة الإصلاح [illegible] [illegible] [illegible] فاضل آل [illegible] ١٣٧ [illegible] (قتنه) [illegible] يوسف وعبد الرحمن [illegible]

وبتاريخ ١٣٦٢ هـ كان [illegible] وبعد [illegible] كلفت مدرسة الإصلاح للشيخ محمد علي المحمود بمناسبة طول الحرب العالمية الثانية وتأثرها واشتغال الناس [illegible] الأزمة [illegible] المدرسة وتولت الجمعية الخيرية بالتموين والأرزاق ولما حضر سلطان [illegible] عرفت أنه طلب المعاودة من البحرين فأوجب العائدة للحاكم سلطان صقر فاستجاب [illegible] لرأيه [illegible] المعاودة [illegible] في الشارقة وهو [illegible] الوجيه [illegible] الثانوية [illegible] جداً [illegible] واستعمل [illegible] الدرس [illegible] المعاودة [illegible] ولكن [illegible] أرباب الحكم من تصرفات كل [illegible] والأستاذ المدير [illegible] المناسبة [illegible] المدرسة [illegible] الأسنة [illegible]

ثم طلب من محمد علي المحمود بترك المحرق ويعود الى [illegible] الإصلاح من جديد فاستجاب على سلطان [illegible] العشيرة من أهل الشارقة [illegible] [illegible] للاقتصار على المدرس [illegible] [illegible] ٢/١٦ [illegible] وفقد [illegible] واستمرت [illegible] الإصلاح القاسمية واستمر محمد علي المحمود [illegible] الطلاب من [illegible] من الشيخ قاسم [illegible] سعد [illegible] ١٣٦ [illegible] [illegible] الإصلاح [illegible] [illegible] الرياضيات [illegible] للطلاب وذلك سنة ١٣٦٦هـ [illegible] المناسبة فإنه [illegible] الإصلاح القاسمية وكان ذلك في أول [illegible] ١٣٦٤هـ وكان [illegible] المدرسة [illegible] وفاضل [illegible]

نص [illegible] الشيخ محمد علي المحمود

الدعوة الى الاسلام

قرأت في (الفتح) غير مرة أنباء عما يقوم به الداعية الاسلامي الفذ مولانا (محمد عبد العليم الصديقي الهندي) الذي يجوب الاقطار ويتجشم المتاعب والاخطار في سبيل الدعوة الى الاسلام وتبيين محاسنه وهدايته، وما هدى الله على يديه من مختلفي الامم والاديان بهذه البلاد فسرني ذلك جداً ودعوت الله أن يكثر في العلماء من أمثاله، ليقوموا بهذا الواجب الديني ويحذوا حذوه، ويسيروا على طريقته المثلى من بث الدعوة الى الاسلام ونشره بين الامم فجزى الله أخانا العلامة الهندي على هذا العمل المبرور والسعي المشكور الجزاء الاوفى وأثابه بما هو أهله، وياليت أن كثيراً من العلماء يتصدون للدعوة الى الاسلام، ويسعون في نشره بين مختلفي الاقوام لكان قد انتشر الاسلام بسرعة واهتدى كثيرون بهدايته ودخلوا في دين الله أفواجا، ولكنهم وياللاسف في شاغل عن هذا كله، وفي اعراض عما أخذ عليهم من الميثاق الا من شاء الله وقليل ما هم

فيا علماء الاسلام، الاسلام في حاجة الى دعاة ينبثون في مشارق الارض ومغاربها خفافاً وثقالا، واني لاقترح على أرباب الغيرة والدين من اخواني المسلمين في انحاء المعمور أن يسعوا في تأسيس جمعية في (مصر) يطلقون عليها اسم (جمعية الدعوة الى الاسلام) ويجعلون لها فروعاً في كل عاصمة من عواصم الغرب وفي كل بلدة من بلدان الشرق. وعلى رأس كل سنة يقدم اليها كل فرع من فروعها بياناً باعماله وما أنتجه طيلة شهور السنة مع تعيين اسم المهتدي وجنسه ومسكنه، وعقب ذلك تصدر هي كتاباً سنوياً بأعمالها في المركز وأعمال فروعها اعتماداً على ما جاءها من التقارير

أما التي تكون في عواصم الغرب فهي تقوم بوظيفة الدعوة ونشر الاسلام وتبيين محاسنه وهدايته بين أهلها، والتي تكون في بلدان الاسلام فتقوم بارشاد العامة ووعظهم وحثهم على التمسك بالكتاب والسنة وتحذيرهم من مخالفة أوامر الله، لان كثيراً من أبناء المسلمين لا يعرفون من الاسلام الا اسمه فينشأون جاهلين بدينهم ومن السهل اضلالهم وتشكيكهم في أمر دينهم، لانهم لم يتمسكوا من الاسلام بلبابه وجوهره ولما ترسخ العقيدة في قلوبهم، بل هم مسلمون ولكن بالاسم، ومن خطل الرأي ان لا نعيرهم التفاتة أو نتعداهم الى غيرهم. جزماً بأنهم مسلمون، والمسلم يستحيل عليه أن يرتد عن اسلامه ويصير الى دين من الاديان، بل قد أضل دعاة الالحاد والمبشرون الجم الغفير من أبناء المسلمين واحداثهم وألقوهم في بؤر الشكوك والالحاد والزندقة ففي مصر اليوم كثير ممن ذكرت، وفي الهند والشام والعراق عدد ليس بالقليل

الشارقة (الخليج الفارسي) مبارك بن سيف الناخي

ابن شرق الاردن ونجد

« ورد من وزارة الخارجية بمكة المكرمة برقيا ان ما نشرته الصحف عن احتلال ابن رفادة وجماعته الحربية ومحاصرتهم المويلح وأسرهم ضباطاً وجنوداً من خفر الحدود، كل ذلك كذب لا أصل له البتة. وان الحقيقة هي أن ابن رفادة المذكور وجماعته نازلون منذ اثنى عشر يوما في مكان يسمى الشريح قرب العقبة وانهم ما زالوا حتى هذه الساعة (١٠ صفر) قابعين في مكانهم. وانه لغني عن البيان ان السيف الذي سبق له أن أدب ابن رفاده وغيره ممن يساقون لايذاء فقراء البدو وللافساد بين المسلمين لا يزال في القبضة التي دفعت به الاذى وردت به كيد الخائنين »

المسلم في الفتنة

قال الحسن البصري رحمه الله: كن في الفتنة كابن لبون (أي كابن الناقة في العام الثاني من عمره) لا ظهر فيُركب، ولا لبن فيحلب »

بين مصر وايران

طلبت الحكومة الايرانية الى الحكومة المصرية قبول تبادل الوثائق والمستندات بين الحكومتين بحيث تعتمد كلتاهما ما يصدر في أرض الاخرى بين الافراد من المستندات القضائية والادارية

مجلة «الفتح» ، القاهرة ، العام ١٤ ، العدد ٦٦٧ ، ٢ رجب ١٣٥٨ هـ
١٩٣٩

في سبيـــــــــــل فلسطين

خطبة ألقاها الفاضل الغيور الشيخ مبارك بن سيف الناخي في جامع الشارقة من ثغور الخليج الفارسي

أيها المسلمون ،

قال ربكم عز وجل ﴿ إنما المؤمنون اخوة ﴾ وقال نبيكم عليه الصلاة والسلام « مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد : اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » وقال « المسلمون كرجل واحد ان اشتكى عينه اشتكى كله » وقال : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » وشبك بين أصابعه . وقال « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم »

وممن يجب الاهتمام بهم اليوم اخواننا عرب فلسطين الذين منذ أصيبوا بالاستعمار وابتلوا بالصهيونية وهم في عذاب أليم وشقاء مقيم

أيها المسلمون ،

لا يوجد اليوم في الدنيا مصابونا
أحق بالعطف من جرحى فلسطينا
صرعى التعدّي ضحايا الظلم ما برحوا
لكل أمر يفاجي مستعدينا
قوم أبوا أن يضيع الحق فاندفعوا
بخير ما ملكوا عنه يحامونا
قوم أحيط بهم في عقر دارهم من لامهم منه ان شئت يجنونا
قوم أهينوا فذادوا عن كرامتهم وهل رأيت أبيا يقبل الهونا[1]

أيها المسلمون ،

ان مسألة فلسطين تهم المسلمين كافة في مشارق الأرض ومغاربها على اختلاف ملهم ونحلهم وتباين أصولهم وعناصرهم ، لا فرق بين عربي وهندي وفارسي ولا بين تركي وصيني وجاوي الكل في المسجد الأقصى سواسية

مصر تشاطر فيه الهندّ والصينا

لأن اعتداء اليهود اعتداء على الأمة العربية والمقدسات الاسلامية فاليهود يحاولون الاستيلاء على مكان البراق الشريف وانتزاعه من أيدي المسلمين وهو وقف اسلامي منذ سنة ٦٩٦ من وقف الملك الأفضل أكبر أنجال صلاح الدين الأيوبي رحمه الله وهو جزء من المسجد الأقصى لا يتجزأ ولو كره المستعمرون ، واذا تم لهم ذلك فسيحاولون الاستيلاء لاقدر الله على المسجد الأقصى نفسه ثالث الحرمين وأولى القبلتين ، هذا من جهة ومن جهة أخرى يسعون في تأسيس وطن قومي لهم في فلسطين وذلك بقوة الانكليز ومدافعهم ورشاشاتهم ودباباتهم وطياراتهم ، ولولا وجود هذه القوات الجهنمية والآلات النارية لما رسخت لهم بها قدم ، تحقيقاً لوعد بلفور المشئوم الصادر في ٢ نوفمبر ١٩١٧

بلفور بالوطن القومي أطمعهم بوعد بلفور صار الكل مفتونا

لهذا وذلك قام اخواننا عرب فلسطين لردّ عادية اليهود وصدّ عدوانهم وايقافهم عند حدهم وافهامهم بأن مكان البراق والحي المجاور له هو وقف من أوقاف المسلمين لا ينازعهم فيه منازع ولا يشاركهم فيه مشارك ، وأن ما يسعون له من تأسيس الوطن القومي اليهودي في فلسطين لا يمكن بحال من الأحوال ولا يتأتى لهم بوجه من الوجوه ، فحدثت من جرّاء هذا اضطرابات مشئومة وحوادث معلومة وفتن كقطع الليل المظلم ، عانى في خلالها اخواننا عرب فلسطين العذاب المهين والشقاء المبين ، وذاقوا أنواع العذاب وصنوف الآلام وأبلوا فيها بلاء حسنا . جاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الاسلام والمسلمين ، في سبيل الدفاع عن المسجد الأقصى ومكان البراق ، بذلوا مهجهم الغالية وأراقوا دماءهم الطاهرة في سبيل هذا المقدس الاسلامي العظيم ، والجود بالنفس أقصى غاية الجود . فكم زهقت أرواح شبان ، وكم اهريقت دماء كهول وشيوخ ، وكم أطفال يتمت وكم نساء آمت ، فمن قتل وتجريح وتخريب وتدمير

(١) من قصيدة للاستاذ الشاعر محمد صادق عرنوس نشرتها له الفتح

لمثل هذا يذوب القلب من كمد ... ان كان فى القلب اسلام وايمان

كل هذا أوقعه اليهود والانكليز باخوانكم عرب فلسطين حراس المسجد الأقصى وجنود دفاعه وذواد حياضه، ذلك المقدس الاسلامى الذى يقدّسه كافة المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها. عرب فلسطين قليلون بأنفسهم ، ولكنهم كثيرون بأخوانهم البالغ عددهم زهاء أربعمائة مليون مسلم : ربهم واحد ، ونبيهم واحد ، وقبلتهم واحدة ، يألمون لآلامهم ويفرحون لفرحهم

أيها المسلمون ،

ما من بلد من البلدان العربية ولا قطر من الأقطار الاسلامية إلا وقد سعى أهله لجمع اعانة وقدموها لاخوانهم منكوبى فلسطين كل بحسب استطاعته ومقدرته ، وفى مقدمة عرب الخليج اخواننا الكويتيون جزاهم الله خيراً ، فقد جمعوا نحواً من أربعين ألف روبية وقدموها لاخوانهم المنكوبين في العام الماضى ، وقد نوهت عنهم الجرائد بذلك وشكرهم العالم الاسلامى ، ومما هو جدير بالذكر أن امرأةً من المحصنات فى الكويت تبرعت بثلاثة آلاف روبية فى هذه الاعانة ، فرحى لهذه الأريحية الفذة وصرحى صرحى لهذه المؤمنة . هكذا تكون المرأة المسلمة ، هذا هو الاسلام ، هذا هو الدين ، هذا هو الايمان

ولو كان النساء كمثل هذى ... لفضلت النساء على الرجال

فاذا كنا لا نجود بأنفسنا فى سبيل الدفاع عن المسجد الأقصى الذى هو ثالث الحرمين وأول القبلتين ومن مكان البراق الشريف لبعده أو عدم مناسبة الظروف ، فلنجد بجزء يسير من أموالنا لاخواننا المنكوبين ، لأن المسألة مسألة دينية والاعتداء الحاصل اعتداء على المقدسات الاسلامية . لهذا جئت أذكركم بواجبكم الدينى والانسانى نحو اخوانكم عرب فلسطين ، وان الأمل فى الله ثم فيكم لجميل أن تمدوا اخوانكم وأن يبذل كل منكم ما تطيب به نفسه وتجود به أريحيته فى هذا السبيل الذى يحتم على كل ذى ذرة من ايمان ألا يتأخر عنه ، وفى ذلك ما يرضى الله ورسوله ويشكره عليه العالم الاسلامى

أيها المسلمون ،

من لم تهمه مسألة فلسطين فماذا عسى أن يهمه ؟ من لم تستفزه حوادث فلسطين فماذا عسى أن يستفزه ؟ من لم يحرك عواطفه ويثر شعوره أنين شكوى فلسطين فماذا عسى أن يحركه ويثيره ؟ من لم تؤلمه وتبكيه مصيبة فلسطين فماذا عسى أن يؤلمه ويبكيه ؟ من لم تدم فؤاده حالة فلسطين فماذا عسى أن يدميه ؟ من لم يحس ويشعر بواجبه الدينى نحو فلسطين فبماذا عسى أن يحس ويشعر ؟ فيا للهول مما يجرى هناك من الأعمال الوحشية الشنيعة في كل ساعة وحين ، ويا للفظائع المنكرة تعمل وترتكب في اخواننا الفلسطينيين ، فمن تيتيم عائلات ، ومن جرح وعراء ، ومن تخريب وتدمير ، إلى غير ذلك مما يفتت الأكباد ويذيب القلوب

أيها المسلمون ،

أين الدين ، أين الاسلام ، أين الاخوة الاسلامية ، أين الرابطة الدينية ، أين التواد ، أين التراحم ، أين التعاطف ، أين الغيرة الدينية ، أين الحمية الاسلامية ، أين الشهامة العربية ، أين الشفقة على الانسانية ؟ هذا يومها ، هذا داعيها يناديكم ويهيب بكم ويستصرخكم ويستغيثكم أن هلموا وأقبلوا وتعاونوا على البر والتقوى وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الدفاع عن المسجد الاقصى

وفي الختام أضرع الى الله عز وجل أن يعز الاسلام والمسلمين وأن ينصر اخواننا عرب فلسطين

اليأس من الزعماء فى سوريا

كتب الاستاذ الحقوقى (أبو اسامة) مقالة افتتاحية فى وصيفتنا مجلة (التمدن الاسلامى) التى تصدر من دمشق قال فيها :

« رجائى الى شيوخ السياسة أن يعتزلوا الساحة ، وأن يتركوا العمل لغيرهم ، ونحن نسأل الله لهم الدعة والراحة فى هذه العزلة . وندائى الى الشباب أن يبنى شخصيته بساعديه ، فلا يسلس قياده لعاجز ضلوا وأضلوا فى آخر أمرهم : قد يكون من العقوق أن ننكر الفضل على بعض القادة من شيوخ السياسة ، وقد يكون من قلة الدراية ألا نسترشد بجهاد هؤلاء المسنين . أما الفرق كبير بين قيادتين : قيادة الدليل الذى يعصب عينيك ثم يسير بك فى الطريق وقيادة المصباح الذى ينشر حولك النور ـ مهما كان هزيلا ـ ثم يتركك تلتمس بنفسك الطريق . فى الاولى شلل للارادة ، وتعطيل للتفكير ، وحرمان من النور . وفى الثانية شحذ للعزيمة ، وبعث للشخصية ، وتكوين للاستقلال

الشيخ محمد أسد ـ النمساوى

اسلامه، وشيء من ترجمة حياته

زرتُ في سنة ١٣٥٤ مدينة (بومباى) الهند وأمضيت عيد الحج بها ، وفي ثانى يوم من أيام العيد ذهبت الى أصدقائى الافاضل أبناء المولوى شرف الدين أصحاب المكتبة القيمة لأهنئهم بالعيد وعند ما أستقر بى الجلوس ، وتجاذبنا أطراف الحديث ، أخبرنى الشيخ عبد الصمد أكبر أنجال شرف الدين بأنه يوجد هنا رجل من المسلمين الجدد ، نمساوي الاصل وله خدمات جليلة نحو الاسلام والمسلمين ، فقلت اذن أود ملاقاته والتعرف به شخصيا ، ورجوته أن يكون واسطة فيما بيننا لعقد هذا التعارف والاخاء ، وعند ما أردت الانصراف منه ضرب لى موعداً للقاء في جامع القصاب الكبير ، حيث يؤديان فريضة الجمعة، ولما أن حان وقت الصلاة هرعت الى الجامع المذكور لأؤدى فريضة الجمعة ، ولما انتهت الصلاة اذا بالشيخ عبد الصمد ومعه الشيخ محمد أسد قد أقبلا فقمت للسلام عليهما ومددت يدى لمصافحة الشيخ محمد أسد قائلا : «أهنئكم أولا وقبل كل شيء بالهداية الاسلامية وأكثر الله فى المسلمين أمثالكم وأشكركم على ما تسدونه وتقومون به من خدمات نحو الاسلام والمسلمين »



لهذا جئت أعرّف اخوانى المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها وأخص من بينهم قراء الفتح الكرام بالشيخ محمد أسد النمساوى الاصل الذى تشرف بالهداية الاسلامية هو وزوجته وربيبه عام ١٣٤٤ فى (برلين) عاصمة الالمان على أثر بحثه الاديان وتطوافه كثيراً من البلاد العربية والشرقية ، وكان يسمى فى الاول (ليوبولد ويس Leo Pold Weiss) وتسمى بمحمد أسد ، وكان يبلغ من العمر اذ ذاك خمساً وعشرين سنة ، وزوجته وكانت تدعى فى الاول (الزا ويس Elsa Weiss) وتسمت بعزيزة ولها من العمر سبع وعشرون سنة ، و ربيبه وكان يدعى فى الاول (هنرى شيمن Hnry Scheiman) وتسمى بأحمد وله من العمر أربع سنوات ، وكانوا يدينون قبل الاسلام باليهودية

وقد طاف أخونا الشيخ محمد أسد كثيراً من البلاد العربية والشرقية ففى سنة ١٣٣٩ زار مصر ، وفلسطين ، وشرق الاردن ، ودمشق ، ثم عاد الى مصر ومنها الى تركيا ومن تركيا قفل راجعا الى ألمانيا ومن ألمانيا عاد ثانية الى مصر ومنها الى الشام ، فالعراق فايران فأفغانستان ، ومنها رجع أدراجه الى (ألمانيا) وذلك فى سنة ١٣٤٤ وفى هاتيك السنة تشرف بالهداية الاسلامية كما بينت آنفا ، وكانت ترافقه فى كلتا رحلتيه قرينته (الزا ويس) أو (عزيزة) بعد الاسلام ، وكان مراسلا لبعض الصحف فى ألمانيـا ، وبعد أن أعلنوا اسلامهم مكثوا زهاء عشرة شهور ، ثم جاءوا الى مصر ولبثوا بها خمسة أشهر تقريبـا ، ثم ذهبوا الى مكة المشرفة لأداء فريضة الحج وركن من أركان اسلامهم ، وبعد أن أكملوا حجهم وأتموا نسكهم أراد الله ولا راد لقضائه أن يختار زوجته فوافاها الاجل المحتوم ، ودفنت هناك فى أشرف بقعة وأقدس أرض وظل الشيخ محمد أسد هو وربيبه بعد الحج فى مكة المكرمة زهاء أربعة شهور ونصف ، ثم ذهب الى المدينة المنورة ولبث بها قريبا من خمسة عشر يوما ثم توجه الى نجد بدعوة من جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، وجاء أولا الى حائل ، فالقصيم فالرياض ولبث بها نصف السنة ، ومن الرياض ذهب الى رنية وبيشه ، ثم عاد الى مكة المكرمة ، وبعد انقضاء الحج قصد الطائف

وقضى بها نحواً من ستة شهور ، ثم عاد الى المدينة المنورة وألقى بها عصا التسيار وذلك فى سنة ١٣٤٨ وكان برافقه فى رحلته هذه ربيبه أحمد ، ومنها أرسله الى ألمانيا لتلقى علوم الهندسة

وبقى الشيخ محمد أسد بالمدينة مكبا على طلب العلم الشريف ، ودرس اللغة العربية وكان يحسن من قبل التكلم بها قليلا ، ولكنه بعد أن درسها صار يجيدها كأحد أبنائها ، وفيها تزوج بامرأة عربية من قبيلة (العجمان) وكانوا نزحوا الى المدينة المنورة من حائل كما أخبرنى هو بذلك وولدت له ولداً أسماه (طلال) وبقى بالمدينة الى سنة ١٣٥١ ثم قصد الهند هو وزوجته العربية وجاء أولا الى ــ كراتشى ــ فامرتسر ــ فلاهور حيث استقام بها ستة شهور تقريبا ، ومنها توجه الى دهلى ولبث بها نحواً من سبعة أشهر وكان كثير التجوال والتطواف فى أنحاء الهند ، ومن دهلى ذهب الى كشمير وألقى بها عصا التسيار

ومن خدماته الجليلة نحو الاسلام والمسلمين ، أن ألف كتابا بالانجليزية وطبعه سماه (اسلام ات ذي كروس رود ــ Islam at The Cross Road) أى : الاسلام فى مفترق الطرق ، وذلك فى سنة ١٣٥٣ ومن خدماته أيضا أن قام بترجمة صحيح البخارى إلى اللغة الانجليزية مع شرح جديد له ويقع فى ثلاثين جزءاً وقد طبع منه الجزء الأول ويهدى به أنه يسعى فى طبع بقية الأجزاء وذلك فى سنة ١٣٥٤ وقصده الوحيد من الترجمة لصحيح البخارى افهام اخواننا مسلمى الهند ــ الذين لا يعرف معظمهم اللغة العربية ــ معنى الأحاديث النبوية وما اشتملت عليه من أوامر ونواهى وفوائد وحكم ، وفقه الله لخدمة الاسلام والمسلمين ، وأكثر الله فى المسلمين من أمثال هؤلاء المسلمين الجدد وصدق الله العلى العظيم ﴿ وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾ . وأخونا الشيخ محمد أسد فى منتصف العقد الرابع ، ويقيم الآن فى كشمير وقد جلب مطبعة للطبع والنشر سماها ــ دار النشر عرفات وهذا عنوانه : ــ

محمد أسد ــ دار النشر عرفات ــ سرينكر ــ كشمير ــ الهند

Mohammad Asad
The Arafat Publications Srinagar
Kashmir, (India)

الشارقة ــ عمان ــ بالخليج الفارسى : ١٠ ذى القعدة سنة ١٣٥٦

مبارك بن سيف الناخى

تجار بيروت
يقاطعون البضائع الانجليزية واليهودية

اجتمع يوم الجمعة الماضى فريق من تجار بيروت ، وبحثوا فى تنفيذ مقاطعة البضائع اليهودية والبريطانية ، واتخذوا قرارا أرسلوه الى وكلاء المصانع الانجليزية واليهودية يعلنون فيه مقاطعتهم هذه البضائع ابتداء من اليوم تلبية لما يدعو اليه الواجب نحو اخوانهم عرب فلسطين الذين وقفوا يدافعون عن الأراضى المقدسة ومهد المسيح والحرم الشريف ، معاهدين الله والوطن والقومية العربية بأن لا يعودوا عن مقاطعتهم ما دامت فى فلسطين دماء عربية تهرق ، وأحرار يلقون على أعواد المشانق فى سبيل مقاومة المطامع الاستعمارية

هذا وقد حمل الينا بريد الشام بطاقتين صور فى احداهما مدفع رشاش مرفوع على طاقات من الأقمشة وأمامه فتى من شباب فلسطين ينطلق عليه رصاص ذلك الرشاش . وكتب تحت الصورة: « أيها الوطنى ، ان كل قرش يربحه منك الصهيونيون والانكليز ثمنا لبضائعهم يصنعون به رصاصة تخترق صدرك أو صدر أخيك». وصور فى البطاقة الثانية أم تخيط أقمشة فى يدها ، وأمامها طفل يسألها : هل تخيطين لى ثوبا يا أماه ؟ وهى تجيبه : لا يابنى .. أخيط أربطة لجرحى الثورة العربية فى فلسطين !.. »

الخط الحجازى

تلقت جريدة (فتى العرب) الدمشقية برقية من صاحبها الموجود الآن فى مكة يزف فيها البشرى بنجاح المفاوضات بين صاحب الجلالة الملك ابن سعود والسيد شكرى القوتلي وزير المالية السورية على اعادة الخط الحجازى الى سابق عهده

وبهذه المناسبة نصحح خطأ كان تسرب الينا من مراسل الأهرام فى بيروت قبل بضعة أسابيع عن سفر جميل بك مردم الى الحجاز مع أن الذى سافر إلى الحجاز هو شكرى بك القوتلى . وقد لقى من الحفاوة فى البلدتين الطاهرتين ما دل على وثيق الروابط بين أجزاء الوطن العربى الواحد

توفي اليوم رجل من علماء الشارقة هو الشيخ مبارك بن سيف الناخي رحمه الله وأسكنه الجنة عن عمر يناهز ٨٥ عاما .

وبوفاته ووفاة الشيخ عبدالله بن علي المحمود — نودع جيلا من علماء السلف الذين اثروا الحياة الاجتماعية في هذه المنطقة بالعلم الديني ، المرتكز على العقيدة السلفية الصحيحة والمتمثل في رجال لهم شجاعة وحسن ادراك للامور مع سلوك اقرب الى سلوك الزهاد الصالحين .

نشأ الشيخ مبارك في مدرسة « علي المحمود » التي كانت المنطلق الواضح للتربية والتعليم في هذه البلاد — ثم ارسل كمبعوث الى قطر ليتلقى العلم هناك على عالم نجد (الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع) الذي استقدمه حاكمها « الشيخ عبدالله بن ثاني » للتعليم — ليتلقى عليه علوم الحديث والتفسير واللغة والتوحيد — ورجع بعد عدة اعوام للبلاد واتصل بعديد من رجال الدعوة والفكر في العالم بالمراسلة من امثال الشيخ محب الدين الخطيب والشيخ محمد رشيد رضا — في مصر والشيخ محمد بهجت البيطار في الشام وبعلماء المغرب واشترك في مجلة الفتح الزهراء واغرم بشراء الكتب ومتابعة ما ينشر عن الحركة الاسلامية — ولما ظهرت قضية فلسطين وقرأ كتاب « النار والدمار في فلسطين » الذي اصدرته بعض الجماعات المصرية انفعل وظل يخطب في المساجد والاندية مشهرا باعمال الانجليز وداعيا للجهاد في سبيل الله .. حتى كتبت عنه التقارير بهذا المعنى على انه من اعداء الامبراطورية .. واتصل بالشيخ (مجد الزهاوي كبير علماء العراق وبعلماء نجد والكويت وغيرها — وكان يجد لذته في طلب العلم وكان الى جوار ذلك اديبا يقرض الشعر ويقدم نصائحه واعتراضاته لحكام المنطقة في شكل قصائد شعرية (لا يتسع المقام لنشرها) . ثم طلبته حكومة قطر للتدريس فاشتغل مدرسا بمدرسة صلاح الدين فترة ثم عين امينا للمكتبة فاستفاد من تصنيفه للكتب واسهم في انشاء دار الكتب القطرية .. وقضى في قطر زهاء عشرين عاما ثم عاد الى الشارقة بعد ان اصابه المرض وظل قائما بالدعوة محافظا على ما الزم به نفسه الى ان ادركته الوفاة بالامس رحمه الله .

كان الشيخ مبارك مشهورا بالكرم والسخاء بيته مفتوح مطروق وكان معروفا بالشجاعة والانفعال بهموم المسلمين الفردية والعامة لا يكاد يفتح معه موضوعا حتى ينقلك بلباقة الى قصة ... ويعلق بما اوتي من حافظة قوية ... وللشواهد التاريخ .

واكثر ما كان يشرحه ما تزال ... في العقيدة وانحراف في السلوك ... يستحقها الا الفضلاء ... قطر والوافدين اليها من تلاميذ ... يزالون يعرفون فضله ويؤثرونه ... الشارقة .

واهتم كذلك بتربية ابنائه وصبغهم بصبغة الايمان ، منهم المقدم سيف بن مبارك المسؤول عن الامن العام في شرطة ... الوطني ومنهم المقدم الركن ابراهيم بن مبارك نائب مدير المشتريات ... العامة لوزارة الدفاع — كما ربى ... علمية حسنة واصهر الى عائلات المحمود والسامسي و ...

رحمك الله يا مبارك وجعلك كاسمك مباركا في الدنيا والاخرة وإنا لله وانا اليه راجعون .

أخوك في الله

عبد البديع صقر

قصيدة في رثاء الراحل الشيخ مبارك بن سيف الناخي

في رثاء عزيز فاضل وشيخ جليل وصديق لي عاصرته ... عشرين عاما تقريبا وداعية اسلامي معروف في الاوساط الاسلامية العربية وسواها والنبيه في المنثور ، والمنظوم ، وصريح في النصيحة وقول الحق ، وصادق في الفعل والقول ، ونادرة من نوادر عصره وزمانه ذلكم هو فقيدنا الراحل الشيخ مبارك بن سيف الناخي الشارقي تغمده ربنا بواسع رحمته واسكنه بلطفه وفضله وكرم رضوانه الاكبر برفقة سيدنا رسول الله ورفقة آله وصحبه والتابعين لهم باحسان — صلى الله تعالى على رسوله الامين ورضي عن آله وصحبه واتباعهم اجمعين .

من نظم الفقير الى الله تعالى

محمد سعيد الشيخ صالح الفضلي

مات شيخ العلم في شارقة من ذوي ...
آه ... حل في شارقة فاجع ...
فقدت شارقة من افقها كوكبا ...
وعليه بات من اسرته ...
كان في الحق حساما ماضيا ...
كان ... ضيغم في غابها ...
كان في التوحيد يدعو شعبه ...
كان بحرا بالقوافي زاخرا ...
كان برا ، ونقيا ... نهج بنسك ...
مايروح النسك يحضى غير من اورثني الهمة والنفس الحصانا
كان في الشعر اميرا مالكا لقوافيه له الصعب استلانا
هتف الموت فلبى راضيا يرضي الله وأولاه الأمانا
وطوى تسعين عاما فطوى سفر مجد حل بالقبر مكانا
ان عرش الشعر اسى اسف بعده يبكي مزاياه الحسانا
لك ابراهيم وسيف العزا بأبيه الغالي حبا وحنانا
وكذا السيف ... به والندا طاب له الذكر وزانا
وكذا الاسرة في مجموعها وكذا الاصهار بل كل الحزانى
... سيف فقده ماالنبا ... الشكل فاشجانا بكانا



مبارك بن سيف الناخي في ذمة الله

- انتقل الى رحمة الله فجر امس الاول الشيخ والدارس الجليل مبارك بن سيف الناخي وذلك عن عمر يناهز الخامسة والثمانين .

وقد امضى الفقيد الكريم حياته في اعمال البر والتقوى كما كان على صلة دائمة بعلماء الإسلام في مصر والعراق وسوريا والمغرب كما كانت له مواقفه الشجاعة ضد الاحتلال البريطاني للخليج العربي .

وقد شارك في نشر التعليم بالخليج حيث امضى عشرين عاما من حياته مدرسا في قطر عاد بعدها الى الشارقة ليواصل جهاده الوطني والاسلامي .

- واسرة صحيفة « الخليج » اذ تتقدم بخالص العزاء لابناء الفقيد الكبير ترجو لاسرته ومحبيه الصبر والسلوان .

-(كلمة في رثاء الفقيد ص ٢)

في ذكـــراه

مـــن رواد اليقظـــة
الشـيـخ مبـــارك الناخـــي

بقلم:
عبدالوهاب قتاية



● الشيخ مبارك الناخي

مرور الكرام الوجماء، مرت مجليل من رواد النهضة الفكرية في مجتمع الإمارات، هو رجل العلم والأدب والرأي الشجاع والعمل الوطني والبر، المرحوم الشيخ مبارك بن سيف الناخي.

والمفارقة.. لم تجد الذكرى – في منابر الإعلام الثقافة المتوافرة – من يلتفت إليها ويوليها شيئا من الاهتمام، ولو بكلمات قلائل، أو سطور معدودة في إحدى الصفحات الصحفية التي تحتفي بذكريات الشعراء الفنانين والأدباء.

وقد يتعلل في التبرير المعروف من الكتابة عن الذكرى، بندرة المعلومات المتاحة عن الرجل، ودوره وفكره وأدبه، فإن ذلك قد يصدق بالنسبة للكتاب من غير أبناء الإمارات، فإنه لا يصدق على أبناء الإمارات، الأمر الذي يدخل مواقفهم في دائرة التقصير. وهو تقصير ليست ضحيته ذكرى الناخي وحدها، وإنما ذكريات معظم الرواد الأجلاء، الذين [illegible]

[illegible]

والحق أن البيتين يعبران عن حياة صاحبهما ورسالته [illegible] في خدمة الإسلام بالعلم، وتنوير الأذهان، ومقاومة التخلف والاستبداد والاستعمار.

●

[illegible]

بعض نتاجات المؤلف:

١ ـ شذرات من حياة الزائد الأدبية ـ مجلة الخميلة ١٩٥٢.
٢ ـ مقالات في الأدب القطري ـ مجلة العروبة القطرية ـ ١٩٧٢.
٣ ـ بحوث في حلقات عن دعم البحرين للمجهودات الحربية العربية والاسلامية من ١٩١١ الى ١٩٧٣ ـ مجلة المواقف البحرينية ١٩٧٣.
٤ ـ مقدمة في التطور الفكري لمثقفي البحرين من اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين بحث مقدم لمؤتمر الدراسات التاريخية المنعقد في ابوظبي عام ١٩٧٩ ـ منشور.
٥ ـ طباعة البحرين من ١٩١٣ الى ١٩٤٨ ـ بحث مقدم لمؤتمر البحرين عبر التاريخ المنعقد في المنامة عام ١٩٨٣م ـ منشور.
٦ ـ الكتابة للطفل ـ بحث مقدم للمؤتمر الثالث لرابطة الأدب الاسلامي العالمية ـ ١٩٨٩.

(ج) المؤتمرات والأنشطة العلمية الأخرى:

١ ـ مؤتمر الشباب العالمي الاسلامي ـ المنعقد في طرابلس ـ ليبيا عام ١٩٧٣.
٢ ـ مؤتمر الدراسات التاريخية للخليج المنعقد في ابوظبي عام ١٩٧٩.
٣ ـ مؤتمر السيرة النبوية المنعقد بالدوحة عام ١٩٧٩.
٤ ـ مؤتمر الدعوة والدعاة الأول بالمدينة المنورة.
٥ ـ الحلقة العالمية الرابعة لدراسات الخليج مارس ١٩٨١.
٦ ـ مهرجان الشباب العربي السادس ـ المنعقد في الرياض ١٩٨٣.
٧ ـ مهرجان شعراء الأمة العربية ببغداد ١٩٨٤.
٨ ـ مهرجان الشباب العربي السابع المنعقد بالخرطوم ـ جمهورية السودان من ١٩٨٧/١١/٣ لغاية ١٩٨٧/١١/١٣.
٩ ـ مهرجان الشعر العربي في دول الخليج العربية المنعقد في الرياض من ٣ الى ١٠ فبراير ١٩٨٨م.
١٠ ـ المؤتمر التأسيسي لرابطة الأدب الاسلامي العالمية نوفمبر ١٩٨٩ في اسطنبول.

(د) بحوث ودراسات أخرى:

١ ـ الطبقة الأولى من أدباء البحرين في قرنين ـ مخطوط ـ ١٧٥٠ ـ ١٩٥٠.
٢ ـ مقدمة في تاريخ التعليم في البحرين ١٩١٩ ـ ١٩٨٤.
٣ ـ مقدمة في تاريخ البلديات في البحرين ١٩١٨ ـ ١٩٨٤.
٤ ـ مقدمة في تاريخ الصحة في البحرين ١٨٩٤ ـ ١٩٨٤.
٥ ـ مقدمة في تاريخ الشرطة في البحرين ١٨٩٦ ـ ١٩٨٤.

٦ ـ مفهوم اصطلاحي جديد للتراث الاهلي ـ ١٩٨٣.
٧ ـ مقدمة في العلاقة الفكرية والثقافية بين المملكة العربية السعودية والبحرين ـ منشورة ـ ١٩٨٦.
٨ ـ محاضرة بعنوان «مقدمة اعلامية ـ تراثية وحضارية عن البحرين» ألقيت بالخرطوم ١٩٨٧.
٩ ـ محاضرة عن البحرين .. تراث وحضارة ـ ألقيت بالرياض عام ١٩٨٣ ضمن أنشطة مهرجان الشباب العربي السادس.
١٠ ـ ندوات وأمسيات شعرية أخرى بأندية البحرين ومسارحها.
١١ ـ محاضرة عن مدينة المحرق ألقيت بجمعية تاريخ وآثار البحرين في ١٩٨٩/١٢/٢٧.
١٢ ـ انسانية الانسان بين الوسائل والاهداف ـ بحث مقدم للجنة العقد العالمي للتنمية الثقافية.

(هـ) معلومات أخرى:

١ ـ اتجاهان اثنان رافقا صاحب البطاقة منذ بدء ممارسته للكتابة احدهما اتجاه في كتابه الشعر والآخر في كتابه التاريخ الأدبي والثقافي في البحرين والخليج العربي. الآن الاتجاه الآخر أصبح منذ اواخر الخمسينات وحتى الآن هو الأكثر سيطرة عليه.
٢ ـ شارك صاحب البطاقة في التمسرح في مضمار المسرح التاريخي، وذلك على خشبات مسرح الاندية في البحرين ابان اوائل الخمسينات.
٣ ـ شارك في اوائل الخمسينات في أول برنامج لتعليم الكبار في البحرين الذي تبنته وقامت به بعض اندية البحرين مجتمعة آنذاك.
٤ ـ شارك في تأسيس رابطة الأدب الاسلامي التي ظهرت الى الوجود في ٩ يناير ١٩٨٦ بمدينة لكنو بالهند.

فهرست

رجل ... ومولد قرن